Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



39144

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

PT 25 Halabi 3/2/45
©
14

الرسالة القشيرية

تأليف

الإمام أبي القاسم عبد الكريم
ابن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري
النيسابوري الشافعي
(٣٧٦ — ٤٦٥)

وبالهامش :

منتخبات من شرح شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا
الأنصاري الشافعي

الطبعة الأولى

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م / ٨٧١

45-33141

892.791
A6353

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

[قرآن كريم]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرّد بجلال ملكوته ، وتوحد بجمال جبروته ، وتعزّز بعلوّ أحديته ، وتقدّس بسموّ صمديته ، وتكبر فى ذاته عن مضارعة كل نظير ، وتنزّه فى صفاته عن كل تناه وقصور ، له الصفات المختصة بحقه ، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه ، فسبحانه من عزيز ، لاحدّ يناله ، ولا عدّ يحتاله ، ولا أمد يحصره ، ولا أحد ينصره ، ولا ولد يشفعه ، ولا عدد يجمعه ، ولا مكان يمسكه ، ولا زمان يدركه ، ولا فهم يقدره ، ولا وهم يصوّره ، تعالى عن أن يقال كيف هو أو أين هو ، أو اكتسب بصنعه الزين ، أو دفع بفعله النقص والشين ، إذ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، ولا يغلبه حىّ وهو الخبير القدير .

أحمده على مايولى ويصنع ، وأشكره على مايزوى ويدفع ، وأتوكل عليه وأقنع ، وأرضى بما يعطى ويمنع ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة موقن بتوحيده ، مستجير بحسن تأييده ، وأشهد أن محمدا عبده المصطفى ، وأمينه المجتبى ، ورسوله المبعوث إلى كافة الورى ، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجى ، وأصحابه مفاتيح الهدى ، وسلم تسليما كثيرا .

هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوازن القشيرى إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

أما بعد : رضى الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من عباده ، بعد رسله وأنبيائه ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وجعل قلوبهم معادن أسراره ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره ، فهم الغياث للخلق ، والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق ، صفاهم من كدورات البشرية ، ورقاهم إلى محالّ المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ، ووفقهم للقيام بآداب العبودية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية ، فقاموا بأداء ماعليهم من واجبات التكليف ، وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقليب والتصريف ، ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار ، ولم يتكلوا على ماحصل منهم من الأعمال ، أوصفا لهم من الأحوال ، علما منهم بأنه جلّ وعلا يفعل مايريد ، ويختار من يشاء من العبيد ، لايحكم عليه خلق ، ولا يتوجه عليه لمخلوق حقّ ، ثوابه ابتداء فضل ، وعذابه حكم بعدل ، وأمره قضاء فصل .

ثم اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحىّ غير نسائها

حصلت الفترة فى هذه الطريقة ، لابل اندرست الطريقة بالحقيقة ، مضى الشيوخ الذين كانوا بهم

اهتداء

بسم الله الرحمن الرحيم
(ملكوته) أى ملكه العظيم كما أفادته المبالغة المنبئ عنها زيادة اللفظ (جبروته) أى قهره لغيره على وفق إرادته فالجبار من تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار فى كل شئ ولا تنفذ فيه مشيئة غيره ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد يكون الجبار بمعنى جابر كل كسير . وأشار بهذا مع ماقبله إلى أنه تعالى متصف بالصفات السلبية مثل أنه ليس بجسم ولاعرض ولا فى مكان ولا زمان وبالصفات الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء لأن صفات الجلال صفات قهر والقهر يستفاد من السلب وصفات الجمال صفات لطف واللطف يستفاد من الإيجاد وجمع بينهما ليكون العبد بين الخوف والرجاء (قضاء فصل) أى لا تردّد فيه وهؤلاء الموصوفون بما ذكرهم المقربون المتصفون بالإحسان . فى الخبر الصحيح « ماالإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك » والأمة درجاتهم متفاوتة وينقسمون إلى أصحاب اليمين وإلى المقرّبين كما دلّ عليه الكتاب العزيز فمن صحّ إيمانه

اهتداء ، وقلّ الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطه واشتدّ الطمع وقوى رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام ، وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا فى ميدان الغفلات ، وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات ، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان ، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال ، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال ، وادّعوا أنهم تحرّروا عن رقّ الأغلال ، وتحققوا بحقائق الوصال ، وأنهم قائمون بالحق تجرى عليهم أحكامه وهم محو وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية ، واختطفوا عنهم بالكلية ، وزالت عنهم أحكام البشرية ، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية ، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا والنائب عنهم سواهم فيما تصرّفوا بل صرفوا . ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوّحت ببعضه من هذه القصة وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء أو يجد مخالف لثلبهم مساغا إذ البلوى فى هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة . ولما كنت أؤمل من مادّة هذه الفترة أن تنحسم ، ولعلّ الله سبحانه يجود بلطفه فى التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى فى تضييع آداب هذه الطريقة ، ولما أبى الوقت إلا استصعابا وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تماديا فيما اعتادوه واغترارا بما ارتادوه أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه فعلقت هذه الرسالة إليكم أكرمكم الله وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة فى آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم وما أشاروا إليه من مواجيدهم وكيفية ترقيهم من بدايتهم إلى نهايتهم لتكون لمريدى هذه الطريقة قوّة ومنكم لى بتصحيحها شهادة ولى فى نشر هذه الشكوى سلوة ، ومن الله الكريم فضلا ومثوبة ، وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره وأستكفيه وأستعصمه من الخطأ فيه وأستغفره وأستعينه وهو بالفضل جدير وعلى مايشاء قدير .

فصل فى بيان اعتقاد هذه الطائفة فى مسائل الأصول : اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ماهو حق القدم ، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم ، ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد رحمه الله : التوحيد إفراد القدم من الحدث ، وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال أبو محمد الجريرى رحمه الله : من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف يريد بذلك أن من ركن إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرّقاتها مايشق بتأمله بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شأو ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير .

ونحن نذكر فى هذا الفصل جملا من متفرّقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول ، ثم نحرّر على الترتيب بعدها مايشتمل على مايحتاج إليه فى الاعتقاد على وجه الإيجاز والاختصار إن شاء الله تعالى .

وعمل بما أمر به شرعا فهو من أصحاب اليمين ومن قلت غفلاته وتوالت منه نوافله وطاعاته وتوالى على قلبه ذكره ودعواته فهو المقرّب والمحسن ويعبر عنه بالصوفى الذى صفا عن الأخلاق المذمومة وتخلق بالأخلاق المحمودة حتى أحبه الله وحفظه فى جميع حركاته وسكناته كما جاء فى الخبر : « ما تقرّب المتقرّبون إلىّ بمثل أداء ماافترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » الحديث : أى بى يسمع وبى يبصر الخ : أى أحفظه فى تصرّفاته فلا يخطئ فى شىء منها وفى آخره فان دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته (القدم) يقال للقدم الذاتى وهو مالا يحتاج وجوده إلى غيره وللقدم الزمانى وهو مالا يكون وجوده مسبوقا بالعدم وللقدم الإضافى وهو مايكون وجوده أكثر من وجود آخر فيما مضى كوجود الأب مع وجود ابنه (الحدث) بمعنى الحدوث والحدوث يقال للحدوث الذاتى

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن موسى السلامى يقول سمعت أبا بكر الشبلى يقول الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف وهذا صريح من الشبلى أن القديم سبحانه لاحد لذاته ولا حروف لكلامه . سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سئل رويم عن أوّل فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو فقال المعرفة لقوله جل ذكره ـ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ـ قال ابن عباس إلا ليعرفون . وقال الجنيد إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فان من لم يعرف ملكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه . أخبرنى محمد بن الحسين قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا الطيب المراغى يقول : للعقل دلالة وللحكمة إشارة وللمعرفة شهادة فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد أن صفاء العبادات لاينال إلا بصفاء التوحيد . وسئل الجنيد عن التوحيد فقال إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى الصوفى قال أخبرنا عبد الله ابن على التميمى الصوفى يحكى عن الحسين بن على الدامغانى قال سئل أبو بكر الزاهر ابادى عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه . وقال أبو الحسن البوشنجى رحمه الله التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفى الصفات . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال سمعت محمد بن محمد بن غالب قال سمعت أبا نصر أحمد ابن سعيد الاسفنجانى يقول قال الحسين بن منصور ألزم الكل الحدث لأن القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذى بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه والذى يؤلفه وقت يفرقه وقت والذى يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذى الوهم يظفر به فالتصوير يرتقى إليه ومن آواه محل أدركه أين ومن كان له جنس طالبه مكيف أنه سبحانه لايظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم ينفه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لاصفة له وفعله لاعلة له وكونه لا أمد له تنزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله علاج بانيهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده فالحروف آياته ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه كيف يحل به ما منه بدا أو يعود إليه ما هو أنشاه لا تماقله العيون ولا تقابله الظنون قرب به كرامته وبعده إهانته علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر الطوسى السراج يحكى عن يوسف بن الحسين قال قام رجل بين يدى ذى النون المصرى فقال أخبرنى عن التوحيد ما هو فقال هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شىء صنعه ولا علة لصنعه وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله وكل ماتصور فى وهمك فالله بخلاف ذلك . وقال الجنيد : التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد فى أزليته لاثانى معه ولا شىء يفعل فعله . وقال أبو عبد الله بن خفيف : الإيمان تصديق

وهو كون الشىء مسبوقا بغيره والزمانى وهو كونه مسبوقا بالعدم والإضافى وهو ما يكون وجوده أقل من وجود آخر فيما مضى وهو تعالى منزه عنه بالمعانى الثلاثة وهى من الاعتبارات العقلية التى لاوجود لها فى الخارج (طالبه) أى تطلبه (مكيف) أى له لأن الجنس تحته أنواع تتميز عنه بفصول وهذه كلها من صفات المخلوق والخالق ميزه عنها وأما نحو قوله صلى الله عليه وسلم للجارية « أين الله » وقولها له فى السماء مع تقريره لها عليه فمؤول

القلوب بما علمه الحق من الغيوب . وقال أبو العباس السيارى : عطاؤه على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك فهو استدراج فقل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى وأبو العباس السيارى كان شيخ وقته . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول غمز رجل رجل أبى العباس السيارى فقال تغمز رجلا ما نقلتها قط فى معصية الله عز وجل . وقال أبو بكر الواسطى من قال أنا مؤمن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير إلى إشراف واطلاع و إحاطة فمن فقده بطل دعواه فيها يريد بذلك ماقاله أهل السنة إن المؤمن الحقيقى من كان محكوما له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بأنه مؤمن حقا غير صحيح . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا الحسن العنبرى يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول ينظر إليه تعالى المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية . وقال أبو الحسن النورى شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة . سمعت الإمام أبا بكر محمد ابن الحسن بن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت محمد بن المحبوب خادم أبى عثمان المغربى يقول قال لى أبو عثمان المغربى يوما يامحمد لو قال لك أحد أين معبودك إيش تقول قال قلت أقول حيث لم يزل قال فان قال أين كان فى الأزل إيش تقول قال قلت أقول حيث هو الآن يعنى أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان قال فارتضى منى ذلك ونزع قميصه وأعطانيه . وسمعت الإمام أبا بكر ابن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول كنت أعتقد شيئا من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت إلى أصحابنا بمكة إنى أسلمت الآن إسلاما جديدا . سمعت محمد بن الحسين السلمى رحمه الله يقول سمعت أباعثمان المغربى يقول وقد سئل عن الخلق فقال قوالب وأشباح تجرى عليهم أحكام القدرة . وقال الواسطى لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله وظهرتا به لا بذواتها كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح صرح بهذا الكلام أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى وكما أنه لاخالق للجواهر إلا الله تعالى فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول من ظن أنه ببذل الجهد يصل إلى مطلوبه فمتعنت ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتمنّ . وقال الواسطى المقامات أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات . وسئل الواسطى عن الكفر بالله أو لله فقال الكفر والايمان والدنيا والآخرة من الله و إلى الله وبالله ولله من الله ابتداء و إنشاء و إلى الله مرجعا وانتهاء وبالله بقاء وفناء ولله ملكا وخلقا . وقال الجنيد سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لى ماهو فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل وحده لا شريك له فاذا فعلت ذلك فقد وحدته . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الواحد بن على يقول سمعت القاسم بن القاسم يقول سمعت محمد بن موسى الواسطى يقول سمعت محمد بن الحسين الجوهرى يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد جاءه رجل فقال ادع الله لى فقال إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك و إلافان النداء لاينقذ الغرق . وقال الواسطى ادّعى فرعون الربوبية على الكشف

(فهو استدراج) أى لك فالأفعال كلها خيرها وشرها من الله خلافا للمعتزلة و إذا أخبرت عن نفسك بالإيمان فقل أنا مؤمن إن شاء الله ، كما روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه نظرا إلى العاقبة المجهولة لا إلى الحالة الراهنة أو إلى كمال الإيمان لا إلى أصله أو رعاية للأدب بذكر الله تعالى فى أموره أو هضما لنفسك وترك تزكيتها لاشكا فى إيمانك فانه كفر (فهو الآن كما كان) أى فلا حيث أى مكان له كما لازمان له لأنه الخالق لكل مكان وزمان (القدرة) أى القديمة وهى صفة تؤثر فى الشئ عند تعلقها به فهم وأفعالهم كلها مخلوقة لله تعالى خلافا للقدرية ولا حاجة لقوله فقال (صرح بهذا الكلام أنّ) أى ليفيد أن الخ (لاخالق للأعراض إلا الله) فجميع الجواهر والأعراض حادثة لأنها أقسام العالم إذ هو إما قائم بنفسه أو بغيره والثانى العرض والأول ويسمى بالعين وهو محل الثانى المقوم له إما مركب وهو الجسم أو غير مركب وهو الجوهر الفرد (الجهد) بفتح الجيم وضمها

(أقسام قسمت) أى المقامات المطلوبة أقسام الخ

وادّعت المعتزلة على الستر تقول : ماشئت فعلت . وقال أبو الحسين النورى التوحيد كل خاطر يشير إلى الله تعالى بعد أن لاتزاحمه خواطر التشبيه . وأخبرنا الشيخ أبوعبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت هلال بن أحمد يقول : سئل أبو على الروذبارى عن التوحيد فقال التوحيد استقامة القلب باثبات مفارقة التعطيل و إنكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة كل ماصوّره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه لقوله تعالى ـ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ـ وقال أبو القاسم النصراباذى الجنة باقية ببقائه وذكره لك ورحمته ومحبته لك باق ببقائه فشتان بين ماهو باق ببقائه وبين ماهو باق بابقائه وهذا الذى قاله الشيخ أبو القاسم النصراباذى هو غاية التحقيق فان أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه باقيات ببقائه تعالى فنبه على هذه المسئلة و بين أن الباقى باق ببقائه بخلاف ماقاله مخالفو أهل الحق مخالفوا الحق . أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت النصراباذى يقول أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات وكلاهما صفته تعالى على الحقيقة فاذا هيمك فى مقام التفرقة قرنك بصفات فعله و إذا بلغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته وأبو القاسم النصراباذى كان شيخ وقته . سمعت الأستاذ الإمام أبا إسحق الاسفرايينى رحمه الله يقول لما قدمت من بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسئلة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة وكان أبو القاسم النصراباذى قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامى فاجتاز بنا بعد ذلك يوما بأيام قلائل فقال لمحمد الفراء اشهد أنى أسلمت جديدا على يد هذا الرجل وأشار إلىّ . سمعت محمد بن الحسين السلمى يقول سمعت أباحسين الفارسى يقول سمعت إبراهيم ابن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول : متى يتصل من لاشبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظنّ عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لادرك ولاوهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان ، وأخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول حدثنى أحمد بن محمد بن على البردعى قال حدّثنا طاهر بن إسمعيل الرازى قال قيل ليحيى بن معاذ أخبرنى عن الله عزّ وجل فقال إله واحد فقيل له كيف هو فقال ملك قادر فقيل أين هو فقال هو بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا كان صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرتك عنه وأخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أباعلى الروذبارى يقول كل ماتوهمه متوهم بالجهل أنه كذلك فالعقل يدلّ على أنه بخلافه . وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى ـ إننى معكما أسمع وأرى ـ ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى ـ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ـ فقال ابن شاهين مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله . وسئل ذوالنون المصرى عن قوله تعالى ـ الرحمن على العرش استوى ـ فقال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمة كما شاء سبحانه . وسئل الشبلى عن قوله تعالى ـ الرحمن على العرش استوى ـ فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى ـ وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى ـ الرحمن على العرش استوى ـ فقال استوى علمه بكل شىء فليس شىء أقرب إليه من شىء . وقال جعفر الصادق من زعم أن الله فى شىء أومن شىء أوعلى شىء فقد أشرك إذ لو كان على شىء لكان محمولا ولو كان فى شىء لكان محصورا ولو كان من شىء لكان محدثا . وقال جعفر الصادق أيضا فى قوله ـ ثم دنا فتدلى ـ من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة إنما التدانى أنه كلما قرب منه بعده عن أنواع المعارف إذ لا دنوّ ولا بعد .

(قرنك بصفات ذاته) فاذا ذكرت الله تعالى بصفات ذاته فقد قرنك بها أى جمع قلبك عليها و إذا ذكرته بصفات فعله فقد قرنك بها وهى متسعة فبعد قلبك بالفكرة فيها عن الفكرة فى الذات وصفاتها وكل من القسمين فضل من الله تعالى عليك لكن فرق بين جمع القلب مع الحق وتفرق البال فى تفاصيل الخلق وتحرير ذلك أن صفات الذات كالعلم والقدرة قديمة عند أهل الحق وصفات الفعل كالتخليق والترزيق إضافات واعتبارات عقلية عند المحققين مثل كونه تعالى قبل كل شىء ومعه وبعده ومعبودا لنا ومميتا ومحييا لكن مبدؤها من القدرة والإرادة قديم فهى قديمة بهذا الاعتبار ومن قال إنها حادثة مطلقا يلزمه قيام الحوادث بذات الله تعالى وهو ممتنع (يوما بأيام) أى متراخيا عن ذلك بأيام

ورأيت بخط الأستاذ أبى على أنه قيل لصوفى أين الله؟ فقال أسحقك الله تطلب مع العين أين . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادى يقول سمعت أبا القاسم ابن موسى يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت الأنصارى يقول سمعت الخراز يقول : حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوّ الضمير إلى الله تعالى. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن على الحافظ يقول سمعت أبا معاذ القزوينى يقول سمعت أبا على الدلال يقول سمعت أبا عبد الله ابن قهرمان يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول: انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى أقتله فانه يقول القرآن مخلوق . وقال ابن عطاء إن الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سرا له فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك السر فى أحد من ملائكته فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها الله صورا لها صرّح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة . وقال سهل بن عبد الله : إن الحروف لسان فعل لا لسان ذات لأنها فعل فى مفعول . قال وهذا أيضا تصريح بأن الحروف مخلوقة . وقال الجنيد فى جوابات مسائل الشاميين : التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب قال هذا قول أهل الأصول إن الكلام هو المعنى الذى قام بالقلب من معنى الأمر والنهى والخبر والاستخبار وقال الجنيد فى جوابات مسائل الشاميين أيضا : تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان وما يكون ومالا يكون أن لو كان كيف كان يكون . وقال الحسين بن منصور من عرف الحقيقة فى التوحيد سقط عنه لم وكيف . أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن محمد يقول قال الجنيد: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد . وقال الواسطى ما أحدث الله شيئا أكرم من الروح صرح بأن الروح مخلوقة . قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم رحمه الله دلت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق مسائل الأصول وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما آثرناه من الإيجاز والاختصار .

فصل : قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم أدام الله عزه وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم فى مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب قال شيوخ هذه الطريقة على مايدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم فى التوحيد أن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حى أحد باق صمد وأنه عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام حىّ بحياة باق ببقاء وله يدان هما صفتان يخلق بهما مايشاء سبحانه على التخصيص وله الوجه الجميل وصفات ذاته مختصة بذاته لايقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صفات له أزلية ونعوت سرمدية وأنه أحدىّ الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولايشبهه شىء من المخلوقات ليس بجسم ولاجوهر ولاعرض ولاصفاته أعراض ولايتصوّر فى الأوهام ولايتقدّر فى العقول ولا له جهة ولا مكان ولايجرى عليه وقت وزمان ولايجوز فى وصفه زيادة ولانقصان ولايخصه هيئة وقد ولايقطعه نهاية وحد ، ولايحله حادث ولايحمله على الفعل باعث ولايجوز عليه لون ولاكون ولاينصره مدد ولاعون ولايخرج عن قدرته مقدور ولاينفك عن حكمه مقطور ولايعذب عن علمه معلوم ولاهو على فعله كيف يصنع ومايصنع ملوم لايقال له أين ولاحيث ولا كيف ولايستفتح له وجود فيقال متى كان ولاينتهى له بقاء فيقال استوفى الأجل والزمان ولايقال لم فعل مافعل إذ لاعلة لأفعاله ولايقال ماهو إذ لاجنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله يرى لاعن مقابلة ويرى

(قال) أى القشيرى الكلام) أى حقيقة (هو المعنى الذى قام الخ) وهذا هو الكلام النفسى المعبر عنه بمادقات اللسانى وأما الكلام اللسانى فمجاز عنه هذا هو المختار وقيل حقيقة فى اللسان . وقيل مشترك بينهما و بكل حال فالكلام يطلق عليهما قال تعالى — ويقولون فى أنفسهم لولايعذبنا الله بما نقول — أى بألسنتنا مما يخالف الحق فجعل القول فى النفس واللسان جميعا

غيره لاعن مماقلة ويصنع لاعن مباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنى والصفات العلا يفعل مايريد ويذل لحكمه العبيد لايجرى فى سلطانه إلامايشاء ولايحصل فى ملكه غير ماسبق به القضاء ماعلم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون وماعلم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد أن لا يكون خالق أكساب العباد خيرها وشرها ومبدع مافى العالم من الأعيان والآثار قلها وكثرها ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لاسبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه ومؤيد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والنكر وحافظ بيضة الاسلام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بخلفائه الراشدين ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بمانصب من الدلالة وأنجز ماوعد من نصرة الدين بقوله ـ ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ـ فهذه فصول تشير إلى أصول المشايخ على وجه الايجاز وبالله التوفيق .

باب فى ذكر مشايخ هذه الطريقة ومايدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة

اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لافضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة . ونحن نذكر فى هذا الباب أسامى جماعة من شيوخ هذه الطريقة من الطبقة الأولى إلى وقت المتأخرين منهم ونذكر جملا من سيرهم وأقاويلهم بما يكون فيه تنبيه على أصولهم وآدابهم إن شاء الله تعالى (فمنهم أبو إسحق ابراهيم ابن أدهم بن منصور من كورة بلخ رضى الله تعالى عنه) كان من أبناء الملوك خرج يوما متصيدا فأثار ثعلبا أوأرنبا وهو فى طلبه فهتف به هاتف ياابراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم هتف به أيضا من قربوس سرجه والله مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن دابته وصادف راعيا لأبيه فأخذ جبة للراعى من صوف ولبسها وأعطاه فرسه ومامعه ثم إنه دخل البادية ثم دخل مكة وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك وأنه رأى فى البادية رجلا علمه اسم الله الأعظم فدعا به بعده فرأى الخضر عليه السلام وقال له إنما علمك أخى داود اسم الله الأعظم أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال حدثنا محمد بن الحسين بن الحشاب قال حدثنا أبو الحسين على بن محمد المصرى قال حدثنا أبو سعيد الخراز قال حدثنا ابراهيم بن بشار قال صحبت إبراهيم بن أدهم فقلت خبرنى عن بدء أمرك فذكر هذا . وكان ابراهيم بن أدهم كبير الشان فى باب الورع . يحكى عنه أنه قال أطب مطعمك ولاحرج عليك أن لاتقوم الليل ولاتصوم النهار وقيل كان عامة دعائه اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك وقيل لابراهيم بن أدهم إن اللحم قد غلا فقال أرخصوه أى لاتشتروه وأنشد فى ذلك :

وإذا غلا شىء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

(قلها وكثرها) بضم أولهما (٨) وبكسره أى قليلها وكثيرها لايقال فكيف يكون الكافر مجبورا على كفره والفاسق على فسقه فلا يصح تكليفهما بالايمان والطاعة لأنا نقول الله تعالى أراد منهما الكفر والفسق باختيارهما فلاجبر كما أنه علم منهما الكفر والفسق باختيارهما فصح تكليفهما بماذكر (سيرهم) بكسر السين وفتح الياء أى طرقهم (الشريعة) هى ماشرعه الله تعالى من الدين (سمة) أى علامة (التصوف) هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية وسيأتى له فى بابه تعريفات أخر . وموضوعه التزكية والتصفية والتعمير المذكورات ، وغايته نيل السعادة الأبدية ، ومسائله ما يذكر فى كتبه من المقاصد ، وهذا العلم علم الوراثة الذى هو نتيجة العمل المشار إلى ذلك بخبر «من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم» وعلم الوراثة هو الفقه فى الدين والحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا ، قيل للحسن البصرى كذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا القائم ليله الصائم نهاره الذى لايدارى ولايمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله

أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول قال ابراهيم بن أدهم لرجل فى الطواف اعلم أنك لاتنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أولاها تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة والثانية تغلق باب العز وتفتح باب الذل والثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت . وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كرما فمر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال ما أمرنى به صاحبه فأخذ يضربه بسوطه فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله فأعجز الرجل ومضى . وقال سهل ابن ابراهيم صحبت ابراهيم بن أدهم فمرضت فأنفق على نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره وأنفق على ثمنه فلما تماثلت قلت يا إبراهيم أين الحمار فقال بعناه فقلت فعلى ماذا أركب فقال يا أخى على عنق فحملنى ثلاث منازل (ومنهم أبو الفيض ذوالنون المصرى) واسمه ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض بن إبراهيم وأبوه كان نوبيا توفى سنة خمس وأربعين ومائتين فائق هذا الشأن وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده إلى مصر مكرما ، وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكى ويقول إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذى النون وكان رجلا نحيفا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية . سمعت أحمد بن محمد يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون يقول: مدار الكلام على أربع حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت سعيد بن أحمد ابن جعفر يقول سمعت محمد بن أحمد بن محمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه . وسئل ذوالنون عن السفلة فقال من لايعرف الطريق إلى الله ولايتعرفه سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول حضرت مجلس ذى النون يوما وجاءه سالم المغربى فقال له يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك قال عجب لاتطيقه قال بمعبودك إلا أخبرتنى فقال ذوالنون أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى ففتحت عينى فاذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا فقلت حسبى قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى الله عزوجل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن عمر الحافظ يقول سمعت ابن رشيق يقول سمعت أبا دجانة يقول سمعت ذا النون يقول: لاتسكن الحكمة معدة ملئت طعاما . وسئل ذوالنون عن التوبة فقال توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من الغفلة (ومنهم أبو على الفضيل بن عياض) خراسانى من ناحية مرو وقيل إنه ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد مات بمكة فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة . سمعت محمد بن الحسين يقول أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر قال حدثنا الحسن بن عبدالله العسكرى قال حدثنا ابن أخى أبى ذرعة قال حدثنا محمد بن اسحق بن راهويه قال حدثنا أبو عمار عن الفضيل بن موسى قال كان الفضيل شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تاليا يتلو ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقال يارب قد آن فرجع فآواه الليل إلى خربة فاذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال قوم حتى نصبح فان فضيلا على الطريق يقطع علينا فتاب الفضيل وأمنهم وجاور الحرم حتى مات

(تماثلت) أى قاربت البرء من مرضى (المصرى) الأخميمى (توفى) يوم الاثنين ودفن بالقرافة الصغرى (فائق هذا الشأن) من فاق الرجل أصحابه إذا علاهم بالشرف والاضافة بمعنى فى (على أربع الخ) اى لايخلو كلامهم منها لأنهم إما أن يتكلموا فى معرفة الله تعالى وكماله وجلاله أو فى تصغير الدنيا والاعراض عنها أو فيما جاءت به الشرائع أو فيما يخاف منه التغيير والتحويل بعد الاستقامة فاذا عرف العبد ربه ودنياه وتمت استقامته وخاف على نفسه من الخاتمة فقد استقامت أحواله وهذا ساقط من أكثر النسخ وموجود فى بعضها هنا وفى بعضها مؤخر عن المقالة الآتية بلفظ وقال ذوالنون مدار الكلام الخ، ومن كلامه: من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لايعلم

وقال الفضيل بن عياض : إذا أحبّ الله عبدا أكثر غمه ، وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه . وقال ابن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن . وقال الفضيل : لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليّ ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه . وقال الفضيل : لوحلفت أني مراء أحبّ إليّ من أن أحلف أني لست بمراء . وقال الفضيل : ترك العمل لأجل الناس هو الرياء والعمل لأجل الناس هو الشرك . وقال أبو علي الرازي : صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه عليّ ، فقلت له في ذلك ، فقال : إن الله أحبّ أمرا فأحببت ذلك . وقال الفضيل: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي (ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي) كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب وهو من موالي عليّ بن موسى الرضا رضي الله عنه مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين وكان أستاذ السري السقطي وقد قال له يوما : إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي . سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله تعالى يقول: كان معروف الكرخي أبواه نصرانيان فسلموا معروفا إلى مؤدبهم وهو صبيّ فكان المؤدب يقول له : قل ثالث ثلاثة فيقول بل هو واحد فضربه المعلم يوما ضربا مبرحا فهرب معروف فكان أبواه يقولان : ليته يرجع إلينا على أيّ دين يشاء فنوافقه عليه ثم إنه أسلم على يدي عليّ بن موسى الرضا ورجع إلى منزله ودقّ الباب فقيل من بالباب ؟ فقال معروف ، فقالوا على أيّ دين جئت؟ فقال على الدين الحنيفي فأسلم أبواه . سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا بكر الحربي يقول سمعت سريا السقطي يقول: رأيت معروفا الكرخي في النوم كأنه تحت العرش فيقول الله عزّ وجلّ للملائكته من هذا فيقولون أنت أعلم يا رب فيقول هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي . وقال معروف : قال لي بعض أصحاب داود الطائي : إياك أن تترك العمل فان ذلك الذي يقرّبك إلى رضا مولاك ، فقلت وما ذلك العمل ؟ فقال دوام طاعة ربك وخدمة المسلمين والنصيحة لهم . سمعت محمد بن الحسين يقول :سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت عليّ بن محمد الدلال يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول : رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بقبولي موعظة ابن السماك ولزوم الفقر ومحبتي للفقراء وموعظة ابن السماك ما قاله معروف كنت مارّا بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه : من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتامّا فوقع كلامه في قلبي فأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي عليّ بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي ، فقال يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسين قال سمعت عبد الرحيم بن علي الحافظ ببغداد يقول سمعت محمد بن عمر بن الفضل يقول سمعت عليّ بن عيسى يقول سمعت سريا السقطي يقول سمعت معروفا يقول ذلك ، وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال إذا متّ فتصدّقوا بقميصي فاني أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا . ومرّ معروف بسقاء يقول : رحم الله من يشرب وكان صائما فتقدّم فشرب فقيل له ألم تكن صائما ؟ فقال بلى ولكني رجوت دعاءه (ومنهم أبو الحسن سري بن المغلس السقطي) خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن عليّ الطوسي يقول سمعت أبا عمرو بن علوان يقول :

(بحذافيرها) بالذال المعجمة أي بأسرها واحدها حذفار وفيه دليل على كمال حاله مع مولاه وأنسه به واستغراقه معه ومن هذه حاله لو عرضت عليه الجنة بما فيها لكان ماهو فيه ألذّ عنده منها فكيف بالدنيا التي كرهها مولاه وزهد عباده فيها (فتصدّقوا بقميصي الخ) ظاهره أنه لم يبق له ما يكفن فيه وكأنه أوصى بذلك حينئذ لما علم من إخوانه وأحبائه أنهم لايتركون تجهيزه بل يرغبون فيه (ومر معروف) أي وهو صائم نفلا (المغلس) بضم الميم وفتح المعجمة وكسر اللام المشدّدة وكان رضي الله عنه ملازما بيته لايخرج منه إلا للجمعة والجماعة ولايراه في غيرهما إلا من يقصده طلبا لسلامة دينه وإراحة لقلبه وبدنه

سمعت أبا العباس بن مسروق يقول بلغنى أن السرى السقطى كان يتجر فى السوق وهو من أصحاب معروف الكرخى فجاءه معروف يوما ومعه صبى يتيم فقال اكس هذا اليتيم قال سرى فكسوته ففرح به معروف وقال بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه فقمت من الحانوت وليس شىء أبغض إلىّ من الدنيا وكل ما أنا فيه من بركات معروف . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عمر الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول مارأيت أعبد من السرى أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارؤى مضطجعا إلا فى علة الموت . ويحكى عن السرى أنه قال: التصوّف اسم لثلاث معان وهوالذى لايطفىء نورمعرفته نور ورعه ولايتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أوالسنة ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله . مات السرى سنة سبع وخمسين ومائتين . سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يحكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : سألنى السرى يوما عن المحبة فقلت : قال قوم هى الموافقة وقال قوم الايثار وقال قوم كذا وكذا فأخذ السرى جلدة ذراعه ومدّها فلم تمتدّ ، ثم قال وعزته تعالى لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ثم غشى عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق وكان السرى به أدمة . ويحكى عن السرى أنه قال : منذ ثلاثين سنة أنا فى الاستغفار من قولى الحمد لله مرة قيل وكيف ذلك فقال وقع ببغداد حريق فاستقبلنى رجل فقال لى نجا حانوتك فقلت الحمد لله فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ماقلت حيث أردت لنفسى خيرا مما حصل للمسلمين أخبرنى به عبد الله بن يوسف قال سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا بكر الحربى يقول سمعت السرى يقول ذلك . ويحكى عن السرى أنه قال أنا أنظر فى أفق فى اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسودّ خوفا من الله أن يسوّد صورتى لما أتعاطاه . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسن ابن الحشاب يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول : أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت له ماهو فقال لاتسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شىء تعطى منه أحدا . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول سمعت السرى يقول أشتهى أن أموت ببلد غير بغداد ، فقيل له ولم ذلك؟ فقال أخاف أن لايقبلنى قبرى فأفتضح . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله الفوطى الطرسوسى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول : اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول : دخلت يوما على السرى السقطى وهو يبكى فقلت له مايبكيك؟ فقال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا أبتى هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا ثم إنى حملتنى عيناى فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت لمن أنت ؟ فقالت لمن لايشرب الماء المبرد فى الكيزان فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته قال الجنيد فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب (ومنهم أبو نصر بشر بن الحرث الحافى) أصله من مرو وسكن بغداد ومات بها وهوابن أخت علىّ بن خشرم مات سنة سبع وعشرين ومائتين وكان كبير الشأن وكان سبب توبته أنه أصاب فى الطريق كاغدة مكتوبا فيها اسم الله عزّ وجلّ قد وطئتها الأقدام فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية فطيب بها الكاغدة وجعلها فى شقّ حائط فرأى فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له : يابشر طيبت اسمى لأطيبنّ اسمك فى الدنيا والآخرة . سمعت الأستاذ

(فكسوته ففرح به معروف) فيه تحريض على إدخال التلميذ المسرة على المشايخ بفعل مايشيرون به ليدعوا له باجتهاد (مارؤى مضطجعا الخ) فيه تنبيه على كمال مجاهدته وملازمته الإقبال على الله تعالى بالقلب والجوارح (اسم لثلاث معان) من قامت به فهوالصوفى لأن التصوّف مشتقّ على الصحيح من الصفاء عن الكدر وقد بين المعانى الثلاث مع من قامت به فقال (وهوالذى لايطفىء نور معرفته نور ورعه) وهو الكف عن محارم الله تعالى بخلاف من يطفىء نور معرفته نور ورعه بأن أخطر الشيطان لمن أراد الله خذلانه أن عملك لايفيدك شيئا لأنه لايجرى عليك إلاماسبق لك عند مولاك فيترك العمل فالعلم بما سبق لايمنع من العمل لأنه لايدرى ماسبق له على التعيين والظاهر عنوان الباطن

أبا على الدقاق رحمه الله يقول مر بشر ببعض الناس فقالوا هذا الرجل لاينام الليل كله ولا يفطر إلا فى كل ثلاثة أيام مرة فبكى بشر فقيل له فى ذلك فقال إنى لاأذكر أنى سهرت ليلة كاملة ولا أنى صمت يوما لم أفطر من ليلته ولكن الله سبحانه وتعالى يلقى فى القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفا منه سبحانه وكرما ثم ذكر ابتداء أمره كيف كان على ماذكرناه . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبدالله الرازى يقول سمعت عبدالرحمن بن أبى حاتم يقول بلغنى أن بشر بن الحرث الحافى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يابشر أتدرى لم رفعك الله من بين أقرانك قلت لايارسول الله قال باتباعك لسنتى وخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى هوالذى بلغك منازل الأبرار . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت بلالا الخواص يقول كنت فى تيه بنى إسرائيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر عليه السلام فقلت له بحق الحق من أنت فقال أخوك الخضر فقلت له أريد أن أسألك فقال سل فقلت ماتقول فى الشافعى رحمه الله ؟ فقال هو من الأوتاد فقلت ماتقول فى أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال رجل صديق قلت فما تقول فى بشر بن الحرث الحافى فقال لم يخلق بعده مثله فقلت بأى وسيلة رأيتك فقال ببرك لأمك . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله تعالى يقول أتى بشرا الحافى باب المعافى بن عمران فدق عليه الباب فقيل من فقال بشر الحافى فقالت له بنية من داخل الدار لواشتريت لك نعلا بدانقين لذهب عنك اسم الحافى أخبرنى بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازى قال حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنى محمد بن سعيد قال حدثنى محمد بن عبد الله قال سمعت عبد الله المغازلى يقول سمعت بشرا الحافى يذكر هذه الحكاية وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الحجاجى يقول سمعت المحاملى يقول سمعت الحسن المسوحى يقول سمعت بشر بن الحرث يحكى هذه الحكاية وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفضل العطار يقول سمعت أحمد بن على الدمشقى يقول قال لى أبوعبدالله ابن الجلاء رأيت ذا النون وكانت له العبارة ورأيت سهلا وكانت له الاشارة ورأيت بشر بن الحرث وكان له الورع فقيل له فالى من كنت تميل فقال لبشر بن الحرث أستاذنا . وقيل إنه اشتهى الباقلا سنين فلم يأكله فرؤى فى المنام بعد وفاته فقيل له مافعل الله بك فقال غفرلى وقال كل يامن لم يأكل واشرب يامن لم يشرب . أخبرنا الشيخ أبوعبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال حدثنا أبوعمرو بن السماك قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا أبو بكر بن بنت معاوية قال سمعت أبا بكر بن عفان يقول سمعت بشر بن الحرث يقول إنى لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة ماصفا لى عنه وقيل لبشر بأى شىء تأكل الخبز فقال أذكر العافية وأجعلها إداما أخبرنا به محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان قال أخبرنا أبوعمرو بن السماك قال حدثنا عمر بن سعيد قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال قال رجل لبشر الحكاية المذكورة . وقال بشر لايحتمل الحلال السرف . ورؤى بشر فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفرلى وأباح لى نصف الجنة وقال لى يابشر لوسجدت لى على الجمر ماأديت شكر ماجعلته لك فى قلوب عبادى وقال بشر لايجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس (ومنهم أبوعبد الله الحرث بن أسد المحاسبى) عديم النظير فى زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا بصرى الأصل مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين قيل إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئا قيل لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى فى الورع أن لايأخذ من ميراثه شيئا وقال صحت الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم

(من الأوتاد) لأنهم الذين يحفظ بهم الدين وهو رضى الله عنه بهذه المثابة (رجل صديق) لما قاساه من الضرب والهوان لماطلب منه القول بخلق القرآن فأبى ولم ينطق بكلمة يتخلص بها مما هو فيه حفظا لدين الله ولعباده لئلا يعتقدوا فى كلام الله تعالى ما لايليق به (ببرك لأمك) فيه تحريض على برّ الأم ومثلها الأب إلا أنها أولى منه بذلك لخبر الصحيحين «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أبوك» وقد قرن الله برها ببره فقال أن أشكر لى ولوالديك

أنه قال « لايتوارث أهل ملتين شيئا » سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين ابن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت محمد بن مسروق يقول مات الحرث ابن أسد المحاسبي وهو محتاج إلى درهم وخلف أبوه ضياعا وعقارا فلم يأخذ منه شيئا . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان الحرث المحاسبى إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق فكان يمتنع منه. وقال أبو عبد الله بن خفيف اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم الحرث بن أسد المحاسبي والجنيد بن محمد وأبو محمد رويم وأبو العباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكى لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت جعفرا الخلدى يقول سمعت أباعثمان البلدى يقول قال الحرث المحاسبى من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة ويحكى عن الجنيد أنه قال مربى يوما الحرث المحاسبى فرأيت فيه أثر الجوع فقلت ياعم تدخل الدار وتتناول شيئا فقال نعم فدخلت الدار وطلبت شيئا أقدمه إليه فكان فى البيت شىء من طعام حمل إلىّ من عرس قوم فقدمته إليه فأخذ لقمة وأدارها فى فيه مرات ثم إنه قام وألقاها فى الدهليز ومر فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له فى ذلك فقال إنى كنت جائعا وأردت أن أسرك بأكلى وأحفظ قلبك ولكن بينى وبين الله سبحانه علامة أن لايسوغنى طعاما فيه شبهة فلم يمكنى ابتلاعه فمن أين كان لك ذلك الطعام فقلت إنه حمل إلىّ من دار قريب لى من العرس ثم قلت تدخل اليوم فقال نعم فقدمت إليه كسرا يابسة كانت لنا فأكل وقال إذا قدمت إلى فقير شيئا فقدم إليه مثل هذا (ومنهم أبو سليمان داود بن نصير الطائى) وكان كبير الشان أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا أبو عمر بن مطر قال حدثنا محمد بن المسيب قال حدثنا ابن خبيق قال قال يوسف ورث داود الطائى عشرين دينارا فأكلها فى عشرين سنة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول كان سبب زهد داود الطائى أنه كان يمر ببغداد فمر يوما فنحاه المطرقون بين يدى حميد الطوسى فالتفت داود فرأى حميدا فقال داود أف لدنيا سبقك بها حميد ولزم البيت وأخذ فى الجهد والعبادة . وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول :

بأى خديك تبدى البلى وأى عينيك إذن سالا

وقيل كان سبب زهده أنه كان يجالس أبا حنيفة رضى الله عنه فقال له أبو حنيفة يوما ياأبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها فقال له داود فأى شىء بقى فقال العمل به قال داود فنازعتنى نفسى إلى العزلة فقلت لنفسى حتى تجالسهم ولا تتكلم فى مسئلة قال فجالستهم سنة لاأتكلم فى مسئلة وكانت المسئلة تمر بى وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعا من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلم به ثم صار أمره إلى ماصار وقيل حجم جنيد الحجام داود الطائى فأعطاه دينارا فقيل له هذا إسراف فقال لاعبادة لمن لامروءة له وكان يقول بالليل إلهى همك عطل على الهموم الدنيوية وحال بينى وبين الرقاد . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سعيد بن عمرو قال حدثنا على بن حرب الموصلى قال حدثنا إسمعيل بن زياد الطائى قال قالت داية داود الطائى له أما تشتهى الخبز فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ، ولما توفى داود رآه بعض الصالحين فى المنام وهو يعدو فقال له مالك فقال الساعة تخلصت من السجن فاستيقظ الرجل من منامه فارتفع الصياح بقول الناس مات داود الطائى وقال له رجل أوصنى فقال عسكر

(بين العلم والحقائق) أى بين الشريعة والحقيقة ومن جمع بينهما كلم الناس بقدر مانقتضيه أحوالهم وغيره وهو من غلب عليه حاله إنما يكلمهم بما غلب عليه فلا يصلح أن يقتدى به فمن غلب عليه حال الجوع مثلا وفتح عليه به إنما يكلم الناس بحاله وليس كل سالك يصلح له ذلك فقد يكون بعض الناس إنما يفتح عليه من باب التبذل ولبس الثياب الخلقة وخدمة الفقراء لامن باب الجوع فالشيخ المقتدى به ينبغى أن يكون طبيبا عارفا بسائر الأدوية والأمراض فيداوى كل عليل بالدواء اللائق بمرضه

الموت ينتظرونك ودخل بعضهم عليه فرأى جرة ماء انبسطت عليها الشمس فقال له ألا تحولها إلى الظل فقال حين وضعتها لم يكن شمس وأنا أستحى أن يرانى الله أمشى لما فيه حظ نفسى ودخل عليه بعضهم فجعل ينظر إليه فقال أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام . أخبرنا عبدالله بن يوسف الأصبهانى قال أخبرنا أبواسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال حدثنا قاسم بن أحمد قال سمعت ميمونا الغزال قال قال أبو الربيع الواسطى قلت لداود الطائى أوصنى فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس كفرارك من السبع (ومنهم أبوعلى شقيق بن إبراهيم البلخى) من مشايخ خراسان له لسان فى التوكل ، وكان أستاذ حاتم الأصم قيل كان سبب توبته أنه كان من أبناء الأغنياء خرج للتجارة إلى أرض الترك وهو حدث فدخل بيتا للأصنام فرأى خادما للأصنام فيه قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابا أرجوانية فقال شقيق للخادم إن لك صانعا حيا عالما قادرا فاعبده ولا تعبد هذه الأصنام التى لاتضر ولاتنفع فقال إن كان كما تقول فهو قادر على أن يرزقك ببلدك فلم تعنيت إلى ههنا للتجارة فانتبه شقيق وأخذ فى طريق الزهد . وقيل كان سبب زهده أنه رأى مملوكا يلعب ويمرح فى زمان قحط وكان الناس مهتمين به فقال شقيق ماهذا النشاط الذى فيك أما ترى مافيه الناس من الجدب والقحط فقال ذلك المملوك وما علىّ من ذلك ولمولاى قرية خالصة يدخل له منها مانحتاج نحن إليه فانتبه شقيق وقال إن كان لمولاه قرية ومولاه مخلوق فقير ثم إنه ليس يهتم لرزقه فكيف ينبغى أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غنى . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا الحسين ابن أحمد العطار البلخى يقول سمعت أحمد بن محمد البخارى يقول قال حاتم الأصم كان شقيق ابن ابراهيم موسرا وكان يتفق ويعاشر الفتيان وكان علىّ بن عيسى بن ماهان أمير بلخ وكان يحب كلاب الصيد ففقد كلبا من كلابه فسمى برجل أنه عنده وكان الرجل فى جوار شقيق فطلب الرجل فهرب فدخل دار شقيق مستجيرا فمضى شقيق إلى الأمير وقال خلواسبيله فان الكلب عندى أردّه إليكم إلى ثلاثة أيام فخلوا سبيله وانصرف شقيق مهتما لما صنع فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائبا من بلخ رجع إليها فوجد فى الطريق كلبا عليه قلادة فأخذوه وقال أهديه إلى شقيق فانه يشتغل بالتفق فحمله إليه فنظر شقيق فاذا هو كلب الأمير فسرّ به وحمله إلى الأمير وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه وتاب مما كان فيه وسلك طريق الزهد . وحكى أن حاتما الأصم قال كنا مع شقيق فى مصاف نحارب الترك فى يوم لاترى فيه إلا رءوس تندر ورماح تنقصف وسيوف تنقطع فقال لى شقيق كيف ترى نفسك ياحاتم فى هذا اليوم تراه مثل ماكنت فى الليلة التى زفت إليك امرأتك فقلت لا والله قال لكنى والله أرى نفسى فى هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه . وقال شقيق إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ماوعده الله ووعده الناس فبأيهما يكون قلبه أوثق . وقال شقيق تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء : فى أخذه ومنعه وكلامه (ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى) وكان جدّه مجوسيا أسلم وكانوا ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلى وكلهم كانوا زهادا عبادا وأبو يزيد كان أجلهم حالا . قيل مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسن الفارسى يقول سمعت الحسن بن على يقول سئل أبو يزيد بأى شىء وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار . سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت عمى البسطامى يقول سمعت

(أما علمت أنهم الخ) فيه تنبيه على كمال النصح لزائره ووعظه بما ينتفع به فى آخرته من ترك الفضول لعموم الخبر الصحيح «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» وهو مالا تدعو إليه حاجة دينية (صم عن الدنيا) بزهدك فيها وإمساكك عن نعيمها (واجعل فطرك الخ) لأن ذلك سبب سلامة دينك وبدنك وعرضك ومعين على صومك عن الدنيا ومن كلامه : ماأخرج الله عبدا من ذل المعاصى إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا بشر

أبى يقول سمعت أبا يزيد يقول : عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشدّ علىّ من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت واختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد . وقيل لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كله . حدثنا أبو حاتم السجستانى قال أخبرنا أبو نصر السراج قال سمعت طيفور البسطامى يقول سمعت المعروف بعمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول قال لى أبو يزيد قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد فمضينا إليه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على مايدعيه و بهذا الاسناد قال أبو يزيد لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة الأكل ومؤنة النساء ثم قلت كيف يجوز لى أن أسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه فلم أسأله ثم إن الله سبحانه وتعالى كفانى مؤنة النساء حتى لا أبالى استقبلتنى امرأة أوحائط . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسن بن على يقول سمعت عمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده فقال ليس للزهد منزلة . فقلت لماذا ؟ فقال لأنى كنت ثلاثة أيام فى الزهد فلما كان اليوم الرابع خرجت منه اليوم الأوّل زهدت فى الدنيا ومافيها واليوم الثانى زهدت فى الآخرة ومافيها واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله ، فلما كان اليوم الرابع لم يبق لى سوى الله فهمت فسمعت هاتفا يقول يا أبا يزيد لاتقوى معنا فقلت هذا الذى أريد فسمعت قائلا يقول : وجدت وجدت . وقيل لأبى يزيد ماأشدّ مالقيت فى سبيل الله فقال لايمكن وصفه فقيل له ماأهون مالقيت نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها إلى شىء من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال أبو يزيد منذ ثلاثين سنة أصلى واعتقادى فى نفسى عند كل صلاة أصليها كأنى مجوسى أريد أن أقطع زنارى . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبدالله بن على يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلاتغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة وحكى عمى البسطامى عن أبيه أنه قال ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط ليذكر الله سبحانه على سور الرباط فبقى إلى الصباح لم يذكر فقلت له فى ذلك فقال تذكرت كلمة جرت على لسانى فى حال صباى فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى . ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى : أحد أئمة القوم لم يكن له فى وقته نظير فى المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لقى ذا النون المصرى بمكة سنة خروجه إلى الحج توفى كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين ومائتين . وقال سهل كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار وكان يقوم بالليل فربما كان يقول ياسهل اذهب فنم فقد شغلت قلبى . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول سمعت عبدالله بن عبد الحميد يقول سمعت عبدالله بن لؤلؤ يقول سمعت عمر بن واصل البصرى يحكى عن سهل بن عبدالله قال قال لى خالى يوما ألا أذكر الله الذى خلقك فقلت كيف أذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر إلى الله شاهدى فقلت ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته فقال لى قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع فى قلبى حلاوة فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ماعلمتك ودم عليه إلى

(العلم ومتابعته) أى بالأعمال لأنهما لايتمان للعبد إلا بمخالفة هواه واجتهاده فى تقواه وفى ذلك من المشقة مالايخفى لاسيما العلم المتعلق بالقلب من الرياء والعجب والكبر وغيرها من الأخلاق الذميمة والورع والزهد والإخلاص وغيرها من الأخلاق الحميدة (اختلاف العلماء) أى فى المسائل لبقيت أى على اجتهاد واحد وهو ماانفقوا عليه وكنت فى مشقة زائدة بالملازمة النوع واحد وفى نسخة لتعبت أى زيادة تعب بذلك

أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة فى سرّى ثم قال لى خالى يوما ياسهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه ؟ إياك والمعصية فكنت أخلو فبعثونى إلى الكتاب فقلت إنى لأخشى أن يتفرّق علىّ همى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أوسبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى خبز الشعير إلى أن بلغت اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى إلى البصرة أسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عنى شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن عبدالله العبادانى فسألته عنها فأجابنى وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدّب بآدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصارا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا إدام فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت عليه عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت إبراهيم بن فراس يقول سمعت نصر بن أحمد يقول قال سهل بن عبد الله : كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء طاعة كان أومعصية فهو عيش النفس وكل فعل يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس (ومنهم أبوسليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى) وداران قرية من قرى دمشق مات سنة خمس عشرة ومائتين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الدارى يقول أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن أبى حسان يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول : من أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له ، وبهذا الإسناد قال إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر ابن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول قال أبوسليمان الدارانى : ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلاأقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة ، وقال أبوسليمان : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال : لكل شئ علم وعلم الخذلان ترك البكاء . وقال : لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن . وقال : كل ماشغلك عن الله تعالى من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشئوم . وقال أبوسليمان : كنت ليلة باردة فى المحراب فأقلقنى البرد فخبأت إحدى يدى من البرد وبقيت الأخرى ممدودة فغلبتنى عيناى فهتف بى هاتف ياأبا سليمان قد وضعنا فى هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها فآليت على نفسى أن لاأدعو إلا ويداى خارجتان حرا كان الزمن أو بردا . وقال أبوسليمان : نمت عن وردى فاذا أنا بحوراء تقول لى تنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام . أخبرنا عبدالله بن يوسف الأصبهانى قال أخبرنا أبوعمرو الحولسنى قال أخبرنا محمد بن إسمعيل قال حدّثنا أحمد بن أبى الحوارى قال دخلت على أبى سليمان يوما وهو يبكى فقلت له ما يبكيك ؟ فقال ياأحمد ولم لا أبكى وإذا جنّ الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت فى محاريبهم أشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادى ياجبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى وإنى لمطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لاتنادى فيهم ياجبريل ما هذا البكاء ؟

(فوجدت لها حلاوة فى سرّى) أى تحملنى على ملازمتها وأمره بأن يقولها أوّلا ثلاثا ثم سبعا ثم إحدى عشرة على سبيل التدريج تسهيلا لانتقاله من شئ إلى ماهو أولى منه وفى ذلك تعليم وتدريج للمريد كيف يتعلم المراقبة وأوّلها ذكر الله تعالى باللسان مكررا مع حضور القلب فاذا تنبه ذكره بقلبه خاصة إن لم يكن فى ذكره بلسانه أيضا زيادة فضيلة فلهذا لما رآه منتبها قال له فيما ذكر قل بقلبك من غير أن تحرّك به لسانك وفى نقله له فى عدد الأفراد سرّ وهو أنه تعالى فرد يحبّ الفرد وكونه ثلاثا وسبعا وإحدى عشرة كأنه لكون الثلاث أقلّ الجمع والسبع عدد السموات السبع والأرضين وأيام الأسبوع والإحدى عشرة نهاية صلاة الوتر

هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه ؟ ثم كيف يجمل بى أن آخذ قوما إذا جنهم الليل تملقوا لى فى حلفت إنهم إذا وردوا علىّ القيامة لأكشفنّ لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إلىّ وأنظر إليهم (ومنهم أبو عبدالرحمن حاتم بن علوان) ويقال حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان وكان تلميذ شقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه قيل لم يكن أصم وإنما تصامم مرة فسمى به . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول : جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسئلة فاتفق أنه خرج منها فى تلك الحالة صوت فخجلت فقال حاتم ارفعى صوتك فأرى من نفسه أنه أصمّ فسرّت المرأة بذلك وقالت إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الصمم . أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى رحمه الله قال سمعت أبا على سعيد بن أحمد يقول سمعت أبى يقول سمعت محمد بن عبدالله يقول سمعت خالى محمد بن الليث يقول سمعت حامدا اللفاف يقول سمعت حاتما الأصم يقول مامن صباح إلا والشيطان يقول لى ماذا تأكل وماذا تلبس وأين تسكن ؟ فأقول آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر ، وبإسناده قيل له ألا تشتهى ؟ فقال أشتهى عافية يوم إلى الليل ، فقيل له أليست الأيام كلها عافية ؟ فقال إن عافية يومى أن لا أعصى الله فيه . وحكى عن حاتم الأصم أنه قال : كنت فى بعض الغزوات فأخذنى تركى فأضجعنى للذبح فلم يشتغل به قلبى بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فىّ ، فبينما هو يطلب السكين من خفه أصابه سهم غرب فقتله وطرحه عنى فقمت . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا نصر منصور بن محمد بن إبراهيم الفقيه يقول سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول روى عن حاتم أنه قال : من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت : موتا أبيض وهو الجوع ، وموتا أسود وهو احتمال الأذى من الخلق ، وموتا أحمر وهو العمل الخالص من الشوب فى مخالفة الهوى ، وموتا أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض . ومنهم أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ : نسيج وحده فى وقته له لسان فى الرجاء خصوصا وكلام فى المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان العكبرى يقول سمعت أحمد بن محمد بن السرّى يقول سمعت أحمد بن عيسى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول : كيف يكون زاهدا من لا ورع له تورّع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك ، وبهذا الإسناد قال : جوع التوّابين تجربة وجوع الزاهدين سياسة وجوع الصدّيقين تكرمة . وقال يحيى الفوت أشدّ من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق . وقال يحيى : الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع وقال يحيى لا تربح على نفسك بشىء أجلّ من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها . وقيل إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ فى تفضيل الغنى على الفقر فأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له فى هذا المال فخرج إلى نيسابور فوقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه . أخبرنا عبدالله بن يوسف الأصبهانى قال أنبأنا أبو القاسم عبدالله بن الحسين بن بالويه الصوفى قال سمعت محمد بن عبدالله الرازى يقول سمعت الحسين بن علويه يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول من خان الله فى السر هتك الله ستره فى العلانية سمعت عبدالله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسين محمد بن عبدالعزيز المؤذن يقول سمعت محمد بن محمد الجرجانى يقول سمعت على بن محمد يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول : تزكية الأشرار لك هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وهوان عليك من احتاج إليك (ومنهم أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى) من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبى قدم نيسابور وزار أبا حفص وخرج إلى

(حتى ينظروا إلىّ وأنظر إليهم) وذلك بكشف الحجب التى تحجبهم عن رؤيتهم له فى الدنيا أما هو فلا يحجب عن رؤيتهم لاستحالة ذلك فى حقه فلا يوصف بأنه محجوب وإن وصف بأنه محتجب لأن المحجوب مقهور والمحتجب أى المتخذ لنفسه حجابا قاهر وله تعالى سبعون حجابا من نور وظلمة على ماورد فى الخبر وفسرت حجب النور بالعلوم والوقوف عندها وحجب الظلمة بالجهالات (من احتاج إليك) أى وسألك إذ احتياج الشخص إلى الخلق وعدم الزهد فيما بأيديهم يؤدّى إلى هوانه عليهم إلا من اصطفاه الله ممن إذا احتاج إليهم ساعدوه بأنفسهم وأموالهم ودعوا الله له أن يمدّه بعونه ويغنيه عنهم وقليل ماهم بخلاف الاحتياج إلى الله وسؤاله لا هوان فيه على أحد، ومن كلام يحيى : بئس الصديق صديقا يحتاج أن يقال له اذكرنى فى دعائك وبئس الصديق صديقا يحتاج أن يعتذر إليه وبئس الصديق صديقا تحتاج أن تعيش معه بالمداراة

بسطام فى زيارة أبى يزيد البسطامى وكان كبيرا فى الفتوة وقال أبو حفص مارأيت أحدا أكبر همة ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه وكان أبو يزيد يقول أستاذنا أحمد . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول كنت جالسا عند أحمد بن خضرويه وهو فى النزع وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يابنى باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة وهذا يفتح لى الساعة لا أدرى أبالسعادة يفتح أم بالشقاوة أتى لى أوان الجواب ؟ قال وكان عليه سبعمائة دينار دينا وغرماؤه عنده فنظر إليهم وقال اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأدعنى قال فدق داق الباب وقال أين غرماء أحمد فقضى عنه ثم خرجت روحه ومات رحمه الله سنة أربعين ومائتين . وقال أحمد بن خضرويه لانوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة (ومنهم أبو الحسين أحمد بن أبى الحوارى) من أهل دمشق صحب أبا سليمان الدارانى وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين وكان الجنيد يقول أحمد بن أبى الحوارى ريحانة الشام سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا أحمد الحافظ يقول سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه وبهذا الإسناد يقول من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطل عمله وبهذا الاسناد قال أحمد بن أبى الحوارى أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة . وقال أحمد ما ابتلى الله عبدا بشىء أشد من الغفلة والقسوة (ومنهم أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد) من قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى أحد الأئمة والسادة مات سنة نيف وستين ومائتين . قال أبو حفص المعاصى بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت وقال أبو حفص إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة . وقال حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن . وقال الفتوة أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول سمعت أبا على الثقفى يقول كان أبو حفص يقول من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا نعده فى ديوان الرجال (ومنهم أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى) صحب حاتم الأصم وأبا حاتم العطار المصرى مات سنة خمس وأربعين ومائتين قيل مات بالبادية نهسته السباع . وقال ابن الجلاء صحبت سبعمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب النخشبى قال أبو تراب الفقير قوته ماوجده ولباسه ماستره ومسكنه حيث نزل . وقال أبو تراب إذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله فاذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى إسماعيل بن نجيد يقول كان أبو تراب النخشبى إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد فى اجتهاده وجدد توبته ويقول بشؤمى دفعوا إلى مادفعوا اليه لأن الله عز وجل يقول إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم قال وسمعته يقول أيضا لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أومسجد فقد سأل ومن قرأ القرآن من مصحف أوكيما يسمع الناس فقد سأل قال وسمعته يقول كان أبو تراب يقول بينى وبين الله عهد أن لاأمد يدى إلى حرام إلا قصرت يدى عنه . ونظر أبو تراب يوما إلى صوفى من تلامذته قد مد يده إلى قشر بطيخ وقد طوى ثلاثة أيام فقال له أبو تراب

تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لايصلح لك التصوف الزم السوق . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت أبا عبد الله الفارسى يقول سمعت أبا الحسين الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت أبا تراب النخشبى يقول ماتمنت نفسى علىّ قط إلا مرة واحدة تمنت على خبزا و بيضا وأنا فى سفرى فعدلت عن الطريق إلى قرية فوثب رجل وتعلق بى وقال كان هذا مع اللصوص فبطحونى وضربونى سبعين خشبة فوقف علينا رجل صوفى فصرخ وقال ويحكم هذا أبو تراب النخشبى فخلونى واعتذروا إلى وأدخلنى الرجل منزله وقدم إلى خبزا و بيضا فقلت كلها بعد سبعين جلدة . وحكى ابن الجلاء قال دخل أبو تراب مكة طيب النفس فقلت أين أكلت أيها الأستاذ فقال أكلة بالبصرة وأكلة بالنباج وأكلة ههنا (ومنهم أبو محمد عبد الله ابن خبيق) من زهاد المتصوفة صحب يوسف بن أسباط كان كوفى الأصل ولكنه سكن أنطاكية . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت أبا الأزهر الميافارقينى يقول سمعت فتح بن شخرف يقول حدثنى عبد الله بن خبيق أول مالقيته فقال لى ياخراسانى إنما هى أربع لاغير عينك ولسانك وقلبك وهواك فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل وانظر لسانك لا تقل به شيئا يعلم الله تعالى خلافه من قلبك وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين وانظر هواك لاتهوى به شيئا من الشر فاذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال فاجعل الرمادعلى رأسك فقد شقيت . وقال ابن خبيق لاتغتم إلا من شئ يضرك غدا ولاتفرح إلا بشئ يسرك غدا . وقال ابن خبيق وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب ولو أنهم أنسوا بربهم لأنس بهم كل أحد.وقال أنفع الخوف ماحجزك عن المعاصى وأطال منك الحزن على مافاتك وألزمك الفكرة فى بقية عمرك وأنفع الرجاء ما سهل عليك العمل . وقال طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب (ومنهم أبو على أحمد بن عاصم الأنطاكى) من أقران بشر بن الحرث والسرى السقطى والحارث المحاسبى وكان أبو سليمان الدارانى يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته. وقال أحمد بن عاصم إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك . وقال أحمد بن عاصم قال الله تعالى ـ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ـ ونحن نستزيد من الفتنة (ومنهم أبو السرى منصور ابن عمار) من أهل مرو من قرية يقال لها دندانقان وقيل إنه من بوشنج أقام بالبصرة وكان من الواعظين الأكابر . قال منصور بن عمار من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته فى دينه . وقال منصور بن عمار أحسن لباس العبد التواضع والانكسار وأحسن لباس العارفين التقوى قال الله تعالى ـ ولباس التقوى ذلك خير ـ وقيل سبب توبته أنه وجد فى الطريق رقعة مكتوبا عليها بسم الله الرحمن الرحيم فرفعها فلم يجد لها موضعا فأكلها فرأى فى المنام كأن قائلا قال له فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا العباس القاص يقول سمعت أبا الحسن الشعرانى يقول رأيت منصور بن عمار فى المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال قال لى أنت منصور بن عمار فقلت بلى يارب قال أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغب فيها قلت قد كان ذلك يارب ولكنى ما اتخذت مجلسا إلا بدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وسلم وثلثت بالنصيحة لعبادك فقال صدق ضعوا له كرسيا يمجدنى فى سمائى بين ملائكتى كما كان يمجدنى فى أرضى بين عبادى (ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار) نيسابورى منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور صحب سلمان الباروسى وأبا تراب النخشبى مات سنة إحدى

(الزم السوق) أى أهله هذا من باب الأمر بالصبر وكمال المجاهدة ورفع الهمة عن تناول ما لايصلح لمثله من الزهاد لأن من وصل إلى أن يصبر عن الطعام ثلاثة أيام بلياليها شغلا بالخير لايليق به خسة الهمة وتناول مايلقيه الناس ولا يأكلونه (تمنت على خبزا و بيضا) أى على ماهو الغالب على أهل الريف لأنه المتيسر عندهم غالبا (فعدلت الخ) أى لأكل ذلك من عند بعض إخوانى فأدبنى الله على كونى فسخت عزمى من ترك تمنى الشهوات (نستزيد من الفتنة) أى نطلبها ونحبها نبه بذلك على ذم المشغولين بالدنيا واستزادتهم من أموالها وأولادها وقال أحمد بن عاصم يسير اليقين يخرج الشك من القلب ويسير الشك يخرج كل اليقين من القلب وقال إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فانهم جواسيس القلوب يدخلون فى قلوبكم ويخرجون منها من حيث لايحتسبون (من مصائب الدنيا) وهى الآلام والأسقام وهلاك المال والولد ونحوها (وأحسن لباس العارفين) أى الذين غلبت عليهم أحوالهم بدوام نظرهم لمولاهم ولما سبق لهم عنده مما يجريه عليهم فى دنياهم

وسبعين ومائتين . سئل حمدون متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس فقال إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى فى علمه أوخاف هلاك إنسان فى بدعة وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها . وقال من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر . وقال من علامات أن للسلطان فراسة فى الأشرار ماخرج خوف السلطان من قلبى . وقال إذا رأيت سكرانا فتمايل لئلا تبغى عليه فتبتلى بمثل ذلك . وقال عبد الله بن منازل قلت لأبى صالح أوصنى فقال إن استطعت أن لاتغضب لشىء من الدنيا فافعل . ومات صديق له وهو عند رأسه فلما مات أطفأ حمدون السراج فقالوا له فى مثل هذا الوقت يزاد فى السراج الدهن فقال لهم إلى هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة . وقال حمدون من نظر فى سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال . وقال لاتفش على أحد ماتحب أن يكون مستورا منك (ومنهم أبو القاسم الجنيد بن محمد) سيد هذه الطائفة و إمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القوارىرى وكان فقيها على مذهب أبى ثور وكان يفتى فى حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة صحب خاله السرى والحرث المحاسبى ومحمد بن على القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت الفراغانى يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل من العارف قال من نطق عن سرك وأنت ساكت . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد إن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهو عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا فان العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى واليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها . وقال الجنيد إن أمكنك أن لاتكون آلة بيتك إلا خزفا فافعل وقال الجنيد الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان مافاته أكثر مما ناله . وقال الجنيد من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لايقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول عن الجنيد مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة وقال الجنيد علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنبأنا محمد بن الحسين رحمه الله قال سمعت أبا الحسين بن فارس يقول سمعت أبا الحسين على بن إبراهيم الحداد يقول حضرت مجلس أبى العباس بن شريح فتكلم فى الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه فلما رأى إعجابى قال أتدرى من أين هذا قلت يقول به القاضى فقال هذا ببركة مجالسة أبى القاسم الجنيد . وقيل للجنيد من أين استفدت هذا العلم ؟ فقال من جلوسى بين يدى الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأومأ إلى درجة فى داره . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يحكى

(من الذى يقول هذا) القول لأن كلا من الزانى والسارق يعرف عصيانه ويرجو توبته منه بخلاف هذا لأنه يعتقد أنه فى أرفع المقامات وأحسن الأحوال فلا يرجع عنه و إلى ذلك أشار بقوله فان العارفين الخ (فافعل) فيه الحث على التقلل من الدنيا والاكتفاء بآلة الفخار عن آلة النحاس ونحوه مما يدل اتخاذه على طول الأمل والصوف ابن وقته وموته بين عينيه فيكتفى باليسير من الدنيا (يقول به القاضى) أى تخبرنى به أنت

ذلك وسمعته يقول رؤى فى يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال طريق به وصلت إلى ربى لا أفارقه . وسمعت الأستاذ أبا على رحمه الله يقول كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته . وقال أبو بكر العطوى كنت عند الجنيد حين مات ختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله (ومنهم أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى) المقيم بنيسابور وكان من الرى صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على أبى حفص الحداد وأقام عنده وتخرج به وزوجه أبو حفص ابنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين وعاش بعد أبى حفص نيفا وثلاثين سنة . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول سمعت أبا عثمان يقول لايكمل إيمان الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء المنع والاعطاء والعز والذل . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول سمعت بعض أصحاب أبى عثمان يقول سمعت أبا عثمان صحبت أبا حفص مدة وأنا شاب فطردنى مرة وقال لاتجلس عندى فقمت ولم أوله ظهرى وانصرفت إلى ورائى ووجهى إلى وجهه حتى غبت عن عينه وجعلت على نفسى أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره فلما رأى ذلك أدنانى وجعلنى من خواص أصحابه . قال وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لارابع لهم : أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام . وقال أبو عثمان منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسخطته . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن محمد الشعرانى يقول سمعت أبا عثمان يقول ذلك . ولما تغير على أبى عثمان الحال مزق ابنه أبو بكر قميصا على نفسه ففتح أبو عثمان عينيه وقال خلاف السنة يابنى فى الظاهر علامة رياء فى الباطن . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الملامتى يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سمعت أبا عثمان يقول الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة والصحبة مع الأهل بحسن الخلق والصحبة مع الإخوان بدوام البشر مالم يكن إثما والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى رحمه الله يقول سمعت أبا عمرو ابن نجيد يقول سمعت أبا عثمان يقول من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة قال الله تعالى و إن تطيعوه تهتدوا (ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد النورى) بغدادى المولد والمنشأ بغوى الأصل صحب السرى السقطى وابن أبى الحوارى وكان من أقران الجنيد رحمه الله مات سنة خمس وتسعين ومائتين وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان. قال النورى رحمه الله التصوف ترك كل حظ للنفس . وقال النورى أعز الأشياء فى زمننا شيئان عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة . سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت أحمد بن محمد البردعى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت النورى يقول من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربن منه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول منذ مات النورى لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد وقال أبو أحمد المغازلى ما رأيت أعبد من النورى قيل ولا الجنيد قال ولا الجنيد . وقال النورى كانت المراقع غطاء على الدرّ فصارت اليوم مزابل على جيف . وقيل كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به فى الطريق ويدخل مسجدا يصلى فيه إلى قريب من الظهر ثم

(فقال طريق الخ) فيه دليل على كمال اجتهاده وملازمته لما اعتاده من الطاعة (وقال أبو بكر العطوى الخ) فيه دليل على كمال اجتهاده أيضا وملازمته أوراده إلى حين موته ومن كلامه من طلب عزا بباطل أورثه الله ذلا بحق (فى الظاهر علامة رياء فى الباطن) وهو هنا كونه أظهر الحزن والألم لئلا يذم بترك الحنو على الوالد والمحبة له فان العبد إذا لم يراقب الله فى أمره ونهيه عند نزول المصائب سبق إلى قلبه ذم الناس له إن لم يظهر الحزن بموت من يعز عليه (الصحبة مع الله) إطلاقها معه تعالى مأخوذة من خبر « أنت الصاحب فى السفر» والمراد دوام المعاملة معه تعالى (والصحبة مع الأهل) ومن الزوجة والولد والخادم والأقارب (بدوام البشر) وهو حسن الملاقاة عند الاجتماع والسؤال عن أحوالهم وإدخال المسرة عليهم (مع الجهال) يعنى عصاة المؤمنين

يخرج و يفتح باب حانوته و يصوم فكان أهله يتوهمون أنه يأكل فى السوق وأهل السوق يتوهمون أنه يأكل فى بيته بقى على هذا فى ابتدائه عشرين سنة (ومنهم أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء) بغدادى الأصل أقام بالرملة ودمشق من أكابر مشايخ الشام صحب أبا تراب وذا النون وأبا عبيد البسرى وأباه يحيى الجلاء . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد العزيز الطبرى يقول سمعت أبا عمر الدمشقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول قلت لأبى وأمى أحب أن تهبانى لله عز وجل فقالا قد وهبناك لله عز وجل فغبت عنهما مدة فلما رجعت كانت ليلة مطيرة فدققت الباب فقال لى أبى من ذا قلت ولدك أحمد فقال كان لنا ولد فوهبناه لله تعالى ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه ولم يفتح لى الباب . وقال ابن الجلاء من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد ومن حافظ على الفرائض فى أول مواقيتها فهو عابد ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحد لا يرى إلا واحدا . ولما مات ابن الجلاء نظروا إليه وهو يضحك فقال الطبيب إنه حى ثم نظر إلى مجسته فقال إنه ميت ثم كشف عن وجهه فقال لا أدرى أهو ميت أم حى وكان فى داخل جلده عرق على شكل لله . وقال ابن الجلاء رحمه الله كنت أمشى مع أستاذى فرأيت حدثا جميلا فقلت يا أستاذ ترى يعذب الله هذه الصورة فقال أو نظرت سترى غبه قال فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة (ومنهم أبو محمد رويم بن أحمد) بغدادى من أجلة المشايخ مات سنة ثلاث وثلثمائة مقرئا وكان فقيها على مذهب داود قال رويم من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه فى الأحكام و يضيق على نفسه فيها فان التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سألت رويما فقلت أوصنى فقال ما هذا الأمر إلا ببذل الروح فان أمكنك الدخول فيه مع هذا و إلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . وقال رويم قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فان كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق فمن قعد معهم وخالفهم فى شىء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه وقال رويم اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك وأنا عطشان فاستقيت من دار ففتحت صبية بابها ومعها كوز فلما رأتنى قالت صوفى يشرب بالنهار فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط وقال رويم إذا رزقك الله المقال والفعال فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فانها نعمة و إذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فانها مصيبة و إذا أخذ منك كليهما فهى نقمة (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الفضل البلخى ساكن سمرقند) بلخى الأصل أخرج منها فدخل سمرقند ومات بها وصحب أحمد ابن خضرويه وغيره وكان أبو عثمان الحيرى يميل إليه جدامات سنة تسع عشرة وثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد الفراء يقول سمعت أبا بكر بن عثمان يقول كتب أبو عثمان الحيرى إلى محمد بن الفضل يسأله ما علامة الشقاوة فقال ثلاثة أشياء يرزق العلم و يحرم العمل و يرزق العمل و يحرم الاخلاص و يرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم وكان أبو عثمان الحيرى يقول محمد بن الفضل سمسار الرجال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحة فى السجن من أمانى النفوس سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول ذهاب الاسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون و يعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون ما لا يعلمون و يمنعون الناس من التعلم و بهذا الاسناد قال العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلى بيته فيرى آثار النبوة كيف لا يقطع نفسه وهواه ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عز وجل وقال إذا رأيت المريد

(رويم) بضم الراء وفتح الواو و إسكان الياء (اتباع العلم) أى من حكم اتباعه لخبر « يسروا ولا تعسروا و بشروا ولا تنفروا » وليتدرب الانسان فى الخيرات و ينتقل من الواجبات إلى المندوبات و يترك المحرمات ثم المكروهات ثم الشبهات ثم أبوابا من الحلال مخافة الوقوع فى شىء من الشبهات (وقعدت هذه الطائفة على الحقائق) وهى غلبة الأحوال على القلب ومشاهدة الرب فى كل عمل كما قال صلى الله عليه وسلم «أن تعبد الله كأنك تراه» فأهل الحقائق هم الطالبون لهذا المقام (قالت صوفى الخ) فيه دلالة على أن الصبية كانت من بيت علم حتى عرفت أحوال الصوفية وأنهم المجتهدون فى الأعمال

يستزيد من الدنيا فذلك من علامات إدباره وسئل عن الزهد فقال النظر إلى الدنيا بعين النقص والاعراض عنها تعززا وتظرفا وتشرفا (ومنهم أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير) كان من أقران الجنيد من أكابر مصر سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت الكتانى يقول لما مات الزقاق انقطعت حجة الفقراء فى دخولهم مصر ، وقال الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام المحض . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت الزقاق يقول تهت فى تيه بنى إسرائيل مقدار خمسة عشر يوما فلما وقعت على الطريق استقبلنى إنسان جندى فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة (ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكى) لقى أبا عبد الله النباجى وصحب أبا سعيد الخراز وغيره شيخ القوم و إمام الطائفة فى الأصول والطريقة مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله ابن شاذان يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت عمرو بن عثمان المكى يقول كل ماتوهمه قلبك أو رسخ فى مجارى فكرتك أو خطر فى معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو أنس أوجمال أوضياء أوشبح أونورأوشخص أوخيال فالله تعالى بعيد من ذلك ألا تسمع إلى قوله تعالى ـ ليس كمثله شىء وهوالسميع البصير ـ وقال ـ لم يلدولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ـ وبهذا الاسناد قال العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموح خداعة رواغة فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ماتريد وقال لايقع على الواجد عبارة لأنه سر الله عند المؤمنين (ومنهم سمنون بن حمزة) وكنيته أبو الحسن ويقال أبو القاسم صحب السرى وأبا أحمد القلانسى ومحمد بن على القصاب وغيرهم ، قيل إنه أنشد :

وليس لى فى سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرنى

فأخذه الأسر من ساعته فكان يدور على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب وقيل بل أنشد هذه الأبيات فقال بعض أصحابه لبعض سمعت البارحة وكنت فى الرستاق صوت أستاذنا سمنون يدعو الله ويتضرع إليه ويسأله الشفاء فقال آخر وأنا أيضا كنت سمعت هذا البارحة وكنت بالموضع الفلانى فقال ثالث ورابع مثل هذا فأخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الأسر وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعا ولا نطق بشىء من ذلك علم أن المقصود منه إظهار الجزع تأدبا بالعبودية وسترا لحاله فأخذ يطوف على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسن البغدادى يقول سمعت جعفرا الخلدى يقول فقال لى أبوأحمد المغازلى كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لى سمنون ياأبا أحمد ألا ترى ماقد أنفق هذا وماقد عمله ونحن مانجد شيئا فامض بنا إلى موضع نصلى فيه بكل درهم أنفقه ركعة فمضينا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف صلاة وكان سمنون ظريف الخلق أكثر كلامه فى المحبة وكان كبير الشان مات قبل الجنيد كما قيل (ومنهم أبو عبيد البسرى) من قدماء المشايخ صحب أبا تراب النخشبى . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الدقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة ذى النون المصرى وأبى وأبى تراب النخشبى وأبى عبيد البسرى سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد البغوى يقول سمعت محمد بن معمر يقول سمعت أباذرعة الحسنى يقول كان أبوعبيد البسرى يوما على جرجر يدرس

(فالله تعالى بعيد من ذلك) لأن ذلك إنما يتعلق بمن له مثال أو شبيه أونظير والله تعالى منزه عن ذلك لأنه مخلوق و يستحيل أن يحل فى شىء وأن يحل فيه شىء و إلا لكان محصورا محدودا فى الأوّل ومحلا للحوادث وجرما فى الثانى وهو منزه عن ذلك (يتم لك ماتريد) من فعل الخيرات وترك المنكرات والحرن الكسل والوقوف عن السير والجموح والجماح والجمح الهرب من جهة إلى أخرى وهذا شأن النفس إذا حملت الأثقال إما أن تقف عن السير أو تهرب أو تخادع صاحبها أو تروغ إليه فاذا أراد سيرها سوفها وخوفها بما ذكرناه ورفق بها فى السير حتى تتعود الخير فتسير إليه بسهولة بعون ربها ولا يحتاج إلى كمال القائد والسائق (ومنهم سمنون) بضم السين على المشهور

فمحا له و بينه و بين الحج ثلاثة أيام إذ أتاه رجلان فقالا ياأبا عبيدة تنشط للحج فقال لا ثم التفت إلىّ وقال شيخك على هذا أقدر منهما يعنى نفسه (ومنهم أبوالفوارس شاه بن شجاع الكرمانى) كان من أولاد الملوك صحب أبا تراب النخشبى وأبا عبيد البسرى وأولئك الطبقة وكان أحد الفتيان كبير الشان مات قبل الثلثمائة وقال شاه : علامة التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات وكان يقول لأصحابه اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثم اصنعوا مابدالكم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت جدى ابن نجيد يقول قال شاه الكرمانى من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطىء له فراسة (ومنهم يوسف بن الحسين) شيخ الرى والجبال فى وقته وكان نسيج وحده فى إسقاط التصنع وكان عالما أديبا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى ورافق أبا سعيد الخراز مات سنة أربع وثلثمائة . قال يوسف بن الحسين لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب إلى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال يوسف بن الحسين إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لايجىء منه شىء وكتب إلى الجنيد لاأذاقك الله طعم نفسك فانك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرا أبدا . وقال يوسف بن الحسين رأيت آفات الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورفق النسوان (ومنهم أبو عبدالله محمد بن على الترمذى) من كبار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القوم صحب أبا تراب النخشبى وأحمد بن خضرويه وابن الجلاء وغيرهم . سئل محمد بن على عن صفة الخلق فقال ضعف ظاهر ودعوى عريضة . وقال محمد ابن على ماصنفت حرفا عن تدبير ولا لينسب إلى شىء منه ولكن كان إذا اشتد على وقتى أتسلى به (ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذى) أقام ببلخ وصحب أحمد بن خضرويه وغيره وله تصانيف فى الرياضات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن محمد البلخى يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول من أرضى الجوارح بالشهوات غرس فى قلبه شجر الندامات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر البلخى يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول لو قيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولوقيل ماحرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ماغايتك قال الحرمان ، وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات و يقول مفتاح كل بركة الصبر فى موضع إرادتك إلى أن تصح تلك الارادة فاذا صحت لك الارادة فقد ظهرت عليك أوائل البركة (ومنهم أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز) من أهل بغداد صحب ذا النون المصرى والنباجى وأبا عبيد البسرى والسرى و بشرى وغيرهم مات سنة سبع وسبعين ومائتين . قال أبو سعيد الخراز كلّ باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس الصياد يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول رأيت إبليس فى النوم وهو يمرّ عنى ناحية فقلت له تعال مالك فقال إيش أعمل بكم أنتم طرحتم عن نفوسكم ماأخادع به الناس فقلت وما هو قال الدنيا فلما ولى عنى التفت إلىّ وقال غير أن لى فيكم لطيفة فقلت وماهى قال صحبة الأحداث . وقال أبو سعيد الخراز صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بينى و بينهم خلاف قالوا لم قال لأنى كنت معهم على نفسى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسمعيل المغربى) أستاذ إبراهيم بن شيبان وتلميذ على بن رزين عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة تسع وتسعين ومائتين كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت إليه يد بنى آدم سنين كثيرة وكان يتناول من

(أتسلى به) أى بالتصنيف بأن تجرى الحكم على لسانى فأشتغل بتعليقها لأتسلى به ويخف عنى ما لاأقدر على حمله عادة من تلك الأحوال كما حكى عن النورى أنه وجد ذات يوم ينتف شعر حواجبه فسئل عن ذلك فقال الحقيقة غالبة علىّ ولا قدرة لى على حملها فأنا أشتغل بذلك ليخف مابى وأرجع إلى إحساسى (غرس فى قلبه شجر الندامات) لمخالفة مايقرّبه لمولاه وهذا يجده عنده فى الدنيا وهو ظاهر وفى الآخرة لأنه إذا رأى جزاء الأعمال ودرجات المجتهدين فى الطاعة مع خلوه عن ذلك باشتغاله بالشهوات توالت على قلبه الندامات والحسرات

أصول الحشيش أشياء تعوّد أكلها . وقال أبو عبد الله المغربى : أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات وقال: أعظم الناس ذلا فقير داهن غنيا أو تواضع له وأعظم الخلق عزا غنىّ تذلل للفقراء وحفظ حرمتهم (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق) من أهل طوس سكن بغداد وصحب الحرث المحاسبى والسرىّ السقطى توفى ببغداد سنة تسع . وقيل سنة ثمان وتسعين ومائتين ، قال ابن مسروق : من راقب الله تعالى فى خطرات قلبه عصمه الله فى حركات جوارحه ، وقال تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى و به يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى ، وقال : شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والموافقة ، وقال : متى طمعت فى المعرفة ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة فأنت فى جهل ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت فى غفلة عما تطلب (ومنهم أبو الحسن على بن سهل الأصبهانى) من أقران الجنيد قصده عمرو بن عثمان المكى فى دين ركبه فقضاه عنه وهو ثلاثون ألف درهم لقى أباتراب النخشبى والطبقة . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبرى يقول سمعت على بن سهل يقول : المبادرة إلى الطاعات من علامة التوفيق والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية ومراعاة الأسرار من علامات التيقظ و إظهار الدعاوى من رعونات البشرية ومن لم تصح مبادى إرادته لا يسلم فى منتهى عواقبه (ومنهم أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى) من كبار أصحاب الجنيد وصحب سهل بن عبد الله أقعد بعد الجنيد فى مكانه وكان عالما بعلوم هذه الطائفة كبير الحال مات سنة إحدى عشرة وثلثمائة . سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول مات الجريرى سنة الهبير فجزت به بعد سنة فاذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره وهو مشير إلى الله بأصبعه . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات محصورا فى سجن الهوى وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى ولا يستحليه و إن كثر ترداده على لسانه لقوله تعالى ـ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ـ وقال الجريرى رؤية الأصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل ابن عطاء الأدمى) من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم كان الخراز يعظم شأنه وهو من أقران الجنيد وصحب ابراهيم المارستانى . مات سنة تسع وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد القرشى يقول سمعت ابن عطاء يقول : من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم فى أوامره وأفعاله وأخلاقه . وقال ابن عطاء أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عزّ وجلّ وغفلته عن أوامره ونواهيه وغفلته عن آداب معاملته . سمعت أباعبد الله الشيرازى رحمه الله يقول سمعت عبدالرحمن بن أحمد الصوفى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول كل ماسئلت عنه فاطلبه فى مفازة العلم فان لم تجده فى ميدان الحكمة فان لم تجده فزنه بالتوحيد فان لم تجده فى هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان (ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن أحمد الخواص) من أقران الجنيد والنورى وله فى التوكل والرياضات حظ كبير . مات بالرى سنة إحدى وتسعين ومائتين كان مبطونا فكان كلما قام توضأ وعاد إلى المسجد وصلى ركعتين فدخل مرة الماء فمات رحمه الله . سمعت محمد بن الحسين

(الجريرى) بضم الجيم نسبة إلى جرير بن عباد من بنى بكر بن وائل (سنة الهبير) التى كان فيها هلاك الناس وتهبيرهم أى تقطيعهم (وهو مشير إلى الله تعالى بأصبعه) فيه تنبيه على أنه كان مشغولا بالله تعالى فى وقت اشتغال الناس بأنفسهم عن أديانهم لشدة ما يطرقهم من المصائب الدنيوية لأنه لما وقع هذا الأمر العظيم علم أنه لا نجاة منه إلا بربه فأقبل عليه وجلس مكانه متوجها إلى القبلة معرضا عن غيره فمات وهو كذلك مشيرا إليه (محصورا فى سجن الهوى) أى لا يتفرّغ للطاعات ولا يفرق بين ما ينفعه وما يضره عند ربه .

يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الخواص يقول ليس العلم بكثرة الرواية إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت الأزدى يقول سمعت الخواص يقول : دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز) من أهل الرى جاور بمكة صحب أبا حفص وأبا عمران الكبير وكان من المتورعين مات قبل العشرة والثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت أبانصر الطوسى يقول سمعت الدقى يقول : دخلت على عبد الله الخراز ولى أربعة أيام لم آكل فقال يجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح ينادى عليه الجوع ثم قال إيش يكون لوأن كل نفس منفوسة تلفت فيما تؤمله عند الله ترى يكون ذلك كثيرا . وقال أبو محمد عبد الله الخراز الجوع طعام الزاهدين والذكر طعام العارفين (ومنهم أبوالحسن بنان بن محمد الحمال) واسطى الأصل أقام بمصر ومات بها سنة ست عشرة وثلثمائة كبير الشأن صاحب الكرامات . سئل بنان عن أجل أحوال الصوفية فقال الثقة بالمضمون والقيام بالأوامر ومراعاة السر والتخلى من الكونين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول ألقى بنان الحمال بين يدى السبع فجعل السبع يشمه ولايضره فلما أخرج قيل له ماالذى كان فى قلبك حيث شمك السبع قال كنت أفكر فى اختلاف العلماء فى سؤر السباع (ومنهم أبوحمزة البغدادى البزاز) مات قبل الجنيد وكان من أقرانه صحب السرى والحسن المسوحى وكان عالما بالقراآت فقيها وكان من أولاد عيسى بن أبان وكان أحمد بن حنبل يقول له فى المسائل ماتقول فيها ياصوفى . قيل كان يتكلم فى مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحال فسقط عن كرسيه ومات فى الجمعة الثانية وقيل مات سنة تسع وثمانين ومائتين . قال أبوحمزة من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ولادليل على الطريق إلى الله تعالى إلامتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحواله وأفعاله وأقواله وقال أبو حمزة من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات بطن خال مع قلب قانع وفقر دائم معه زهد حاضر وصبر كامل معه ذكر دائم (ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطى) خراسانى الأصل من فرغانة صحب الجنيد والنورى عالم كبير الشأن أقام بمرو ومات بها بعد العشرين وثلثمائة . قال الواسطى الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب وقال: مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل وقال الواسطى إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف يريد به صحبة الأحداث . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبدالعزيز المروزى يقول سمعت الواسطى رحمه الله يقول جعلوا سوء أدبهم إخلاصا وشره نفوسهم انبساطا ودناءة الهمم جلادة فعموا عن الطريق وسلكوافيه المضيق فلاحياة تنمو فى شواهدهم ولاعبادة تزكو فى محاضرتهم إن نطقوا فبالغضب وإن خاطبوا فبالكبر توثب أنفسهم ينبئ عن ضمائرهم وشرههم فى المأكول يظهر مافى سويداء أسرارهم قاتلهم الله أنى يؤفكون . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول سمع بعض المراوزة إنسانا صيدلانيا يقول اجتاز الواسطى يوم جمعة بباب حانوتى قاصدا إلى الجامع فانقطع شسع نعله فقلت أيها الشيخ أتأذن لى أن أصلح نعلك فقال : أصلح فأصلحت شسعه فقال أتدرى لم انقطع شسع نعلى فقلت حتى تقول قال : لأنى مااغتسلت للجمعة فقلت له ياسيدى ههنا حمام تدخله فقال نعم فأدخلته الحمام فاغتسل (ومنهم أبو الحسن بن الصائغ) واسمه على بن محمد بن سهل الدينورى أقام بمصر ومات بها

(بنان) بضم الموحدة (الثقة بالمضمون) وهو الرزق ليستريح من المشغلات عن الطاعات (السر) أى القلب لتكون الأعمال خالصة لله تعالى لالطلب الجزاء الذى وعد الله به عليها ولالغيره (ألقى بنان الحمال بين يدى السبع) بأمر ابن طولون لما أمره بالمعروف أولما نسب إلى خطأ فى الدين فان الصوفية تجرى على ألسنتهم كلمات لايفهمها غيرهم فينسب قائلها إلى ذلك فمنهم من ينسب إلى الزندقة ومنهم من ينسب إلى الحلول والمشى إلى السلاطين .

من كبار المشايخ ، قال أبو عثمان المغربى : ما رأيت من المشايخ أنور من أبى يعقوب النهرجورى ولا أكثر هيبة من أبى الحسن بن الصائغ . مات سنة ثلاثين وثلثمائة سئل ابن الصائغ عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لامثل له ولا نظير . وسئل عن صفة المريد فقال ما قال الله عزّ وجل — وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم — الآية . وقال : الأحوال كالبروق فاذا ثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع (ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقى) من كبار مشايخ الشام من أقران الجنيد وابن الجلاء وقد عمر وعاش إلى سنة ست وعشرين وثلثمائة . وقال إبراهيم الرقى : المعرفة إثبات الحق على ماهو خارجا عن كل ماهو موهوم . وقال : القدرة ظاهرة ، والأعين مفتوحة ولكن أنوار البصائر قد ضعفت ، وقال: أضعف الخلق من ضعف عن ردّ شهواته ، وأقوى الخلق من قوى على ردّها ، وقال : علامة محبة الله إيثار طاعته ، ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم (ومنهم ممشاد الدينورى) من كبار مشايخهم مات سنة تسع وتسعين ومائتين . قال ممشاد : أدب المريد فى التزام حرمات المشايخ ، وخدمة الاخوان والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه . وقال ممشاد : مادخلت قط على أحد من شيوخى إلا وأنا خال من جميع مالى أنتظر بركات مايرد علىّ من رؤيته وكلامه فان من دخل على شيخ بحظه انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته وكلامه (ومنهم خير النساج) صحب أبا حمزة البغدادى ولقى السرى وكان من أقران أبى الحسن النورى إلا أنه عمر عمرا طويلا وعاش كما قيل مائة وعشرين سنة وتاب فى مجلسه الشبلى والخوّاص وكان أستاذ الجماعة ، وقيل كان اسمه محمد بن اسمعيل من سامرة و إنما سمى خيرا النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة وقال أنت عبدى واسمك خير وكان أسود فلم يخالفه واستعمله الرجل فى نسج الخز فكان يقول له ياخير فيقول لبيك ، ثم قال له الرجل بعد سنين غلطت لأنت عبدى ولااسمك خير فمضى وتركه ، وقال لاأغير اسما سمانى به رجل مسلم . وقال : الخوف سوط الله يقوم به أنفسا قد تعودت سوء الأدب سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا الحسن القزوينى يقول سمعت أبا الحسين المالكى يقول سألت من حضر موت خير النساج عن أمره فقال : لما حضرت صلاة المغرب غشى عليه ثم فتح عينيه وأومأ فى ناحية البيت وقال : قف عافاك الله فانما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور وما أمرت به لايفوتك وما أمرت به يفوتنى ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد ومات فرؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال لسائله : لاتسألنى عن هذا ولكن استرحت من دنياكم الوضرة (ومنهم أبو حمزة الخراسانى) بنيسابور أصله من محلة ملقاباذ من أقران الجنيد والخراز وأبى تراب النخشبى وكان ورعا دينا . قال أبو حمزة : من استشعر ذكر الموت حبب الله إليه كل باق ، و بغض إليه كل فان . وقال : العارف يدافع عيشه يوما بيوم و يأخذ عيشه يوما ليوم . وقال له رجل أوصنى، فقال : هيئ زادك للسفر الذى بين يديك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الطيب العكى يقول سمعت أبا الحسن المصرى يقول سمعت أباحمزة الخراسانى يقول : كنت قد بقيت محرما فى عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس علىّ وتغرب كلما حللت أحرمت توفى سنة تسعين ومائتين (ومنهم أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى) بغدادى المولد والمنشأ وأصله من أسروشنة صحب الجنيد ومن فى عصره وكان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما ، مالكى المذهب عاش سبعا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقبره ببغداد ولما تاب الشبلى فى مجلس خير النساج أتى دماوند وقال : كنت والى بلدكم فاجعلونى فى حلّ وكانت

(ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم) لأن المتابعة ثمرة المحبة فمن ادّعى أنه يحب محبوبا ولم يتابعه كان كاذبا فى محبته ومن كلام الرقى : قيمة كل إنسان بقدر همته فان كانت همته الدنيا فلاقيمة له و إن كانت همته رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها (بحظه) أى برؤية نفسه أو بنية الامتحان أومعرفة ماعنده (النساج) بفتح النون و بالجيم نسبة إلى نسج الثياب (من سامرة) بضم الميم وتشديد الراء و بالهاء مدينة و يقال لها سامرا بألف بدل الهاء وسر من رأى ونزل بغداد (فلم يخالفه) للضرورة فلم يبق له إلا الرضا بما قدره الله عليه إلى أن يفرج عنه

مجاهداته فى بدايته فوق الحد . سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق رحمه الله يقول : بلغنى أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ماحكاه بكران الدينورى فى آخر عمره لكان كثيرا . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : كان الشبلى رحمه الله يقول فى آخر أيامه :

وكم من موضع لو متّ فيه لكنت به نكالا فى العشيره

وكان الشبلى إذا دخل شهر رمضان جد فوق جد من عاصره ويقول: هذا شهر عظمه ربى فأنا أوّل من يعظمه . سمعت الأستاذ أبا على يحكى ذلك عنه (ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش) نيسابورى من محلة الحيرة وقيل من ملقاباذ صحب أباحفص وأبا عثمان ولقى الجنيد وكان كبير الشأن وكان يقيم فى مسجد الشونيزية ، مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، قال المرتعش : الإرادة حبس النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا بموارد القضاء عليه ، وقيل له إن فلانا يمشى على الماء فقال عندى أن من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى فى الهواء (ومنهم أبو على أحمد بن محمد الروذبارى) بغدادى أقام بمصر ومات بها سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة صحب الجنيد والنورى وابن الجلاء ، والطبقة ، أظرف المشايخ ، وأعلمهم بالطريقة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سئل أبو على الروذبارى عمن يسمع الملاهى ويقول : هى لى حلال لأنى وصلت إلى درجة لاتؤثر فى اختلاف الأحوال فقال نعم قد وصل ولكن إلى سقر ، وسئل عن التصوّف فقال : هذا مذهب كله جدّ فلا تخلطوه بشىء من الهزل ، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول : من علامة الاغترار أن تسىء فيحسن الله إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح فى الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق لك ، وقال : كان أستاذى فى التصوّف الجنيد ، وفى الفقه أبو العباس بن سريج ، وفى الأدب ثعلب ، وفى الحديث ابراهيم الحربى (ومنهم أبو محمد عبد الله بن منازل) شيخ الملامتية وأوحد وقته صحب حمدون القصار وكان عالما وكتب الحديث الكثير مات بنيسابور سنة تسع وعشرين أوثلاثين وثلثمائة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول : لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول : أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هواجس نفسك ووقت تسلم الناس فيه من سوء ظنك (ومنهم أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى) إمام الوقت صحب أباحفص وحمدون القصار وبه ظهر التصوّف بنيسابور ، مات سنة ثمان وعشرين وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الثقفى يقول : لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدّب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات ، وقال أبو على رحمه الله : يأتى على هذه الأمة زمان لاتطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق ، وقال أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسراتها إذا أدبرت ، والعاقل من لايركن إلى شىء إذا أقبل كان شغلا ، وإذا أدبر كان حسرة (ومنهم أبو الخير الأقطع) مغربىّ الأصل سكن تينات وله كرامات وفراسة حادّة كان كبير الشأن ، مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة . قال أبو الخير : مابلغ أحد إلى حالة شريفة

(أعظم من المشى فى الهواء) الذى هو أعظم من المشى على الماء وذلك لأن المشى عليهما من خوارق العادات وهى لاتعدّ كرامة إلا إذا قارنتها الاستقامة بأن لايخل العبد بشىء من مأموراته ومنهياته فالاستقامة هى الأصل والدليل على صحة الكرامات فمن مكنه الله من نفسه وقهر له هواه حتى لم يخل بشىء من ذلك فهو المستقيم فالاستقامة أفضل من أعلى الكرامات إذ حاصل كلامه أنه لما قيل له إن فلانا يمشى على الماء قال من وهبه الله الاستقامة فقد وهب له ماهو أفضل من المشى فى الهواء الذى هو أفضل من المشى على الماء

إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين (ومنهم أبو بكر محمد بن على الكتانى) بغدادى الأصل صحب الجنيد والخراز والنورى وجاور بمكة إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول : نظر الكتانى إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس فقال : هذا رجل أضاع حقّ الله فى صغره فضيعه الله فى كبره ، وقال الكتانى : الشهوة زمام الشيطان من أخذ بزمامه كان عبده (ومنهم أبو يعقوب اسحق بن محمد النهرجورى) صحب أبا عمرو المكى وأبا يعقوب السوسى والجنيد وغيرهم مات بمكة مجاورا بها سنة ثلاثين وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين أحمد ابن على يقول سمعت النهرجورى يقول : الدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب التقوى والناس سفر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت النهرجورى يقول : رأيت رجلا فى الطواف بفردعين يقول أعوذ بك منك فقلت ماهذا الدعاء ؟ فقال نظرت يوما إلى شخص فاستحسنته و إذا لطمة وقعت على بصرى فسالت عينى فسمعت هاتفا يقول لطمة بنظرة ولوزدت لزدناك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت النهرجورى يقول : أفضل الأحوال ماقارن العلم (ومنهم أبوالحسن على بن محمد المزين) من أهل بغداد من أصحاب سهل بن عبدالله والجنيد والطبقة مات بمكة مجاورا سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكان ورعا كبيرا . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت المزين يقول: الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأوّل والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى . وسئل المزين عن التوحيد فقال: أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلقه باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاتهم حدثا . وقال: من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الخلق (ومنهم أبوعلى بن الكاتب) واسمه الحسن بن أحمد صحب أبا على الروذبارى وأبا بكر المصرى وغيرهما كان كبيرا فى حاله مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة. قال ابن الكاتب : إذا سكن الخوف فى القلب لم ينطق اللسان إلابما يعنيه . وقال ابن الكاتب : للمعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزّهوه من حيث العلم فأصابوا (ومنهم مظفر القرمسينى) من أشياخ الجبل صحب عبدالله الخراز وغيره . قال مظفر القرمسينى: الصوم على ثلاثة أوجه: صوم الروح بقصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم . وقال : أحسّ الإرفاق إرفاق النسوان على أىّ وجه كان . وقال : الجوع إذا ساعدته القناعة فهو مزرعة الفكر و ينبوع الحكمة وحياة الفطنة ومصباح القلب . وقال : أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم الحاضرة وهو أن لايقصروا فى أمر ولايتجاوزوا عن حدّ . وقال من يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدّب به مريد (ومنهم أبو بكر عبد الله ابن طاهر الأبهرى) من أقران الشبلى من مشايخ الجبل عالم ورع صحب يوسف بن الحسين وغيره مات بقرب من الثلاثين والثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور ابن عبدالله يقول سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: من حكم الفقير أن لايكون له رغبة فان كان ولابدّ فلاتجاوز رغبته كفايته يعنى المحتاج إليه ، و بهذا الإسناد قال: إذا أحببت أخا فى الله فاقلل مخالطته فى الدنيا (ومنهم أبوالحسين بن بنان) ينتمى إلى أبى سعيد الخراز من كبار مشايخ مصر قال ابن بنان كل صوفى كان همّ الرزق قائما فى قلبه فلزوم العمل أقرب إليه وعلامة سكون القلب إلى الله أن يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده وقال: اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام (ومنهم أبو اسحق

(النهرجورى) بفتح النون والراء الأولى نسبة إلى نهرجورى بلدة بالمشرق

(سفر) بإسكان الفاء أى مسافرون فى المركب هذا من باب الاعتبار لأن الناس فى الدنيا ليسوا مقيمين لأنها ليست دار قرارفهم فيها كالمسافرين باختلاف الليل والنهار إلى آخر أعمارهم فأشبهت البحر ، والآخرة دار استيطان فأشبهت ساحل البحر فمن سافر إليها بحسن استعداد وكمال زاد وصل إلى محل القرار سالما غانما ومن فرط فى ذلك غرق وهلك وتوالى عليه الألم قبل الوصول و بعده لأن الآخرة دار الجزاء

إبراهيم بن شيبان القرمسيني) شيخ وقته صحب أبا عبد الله المغربي والخواص وغيرهما . سمعت محمد ابن الحسين يقول: سمعت أبا يزيد المروزى الفقيه يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أراد أن يتعطل أو يتبطل فليلزم الرخص . وبهذا الاسناد قال : علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة وقال إبراهيم: السفلة من يعصى الله عز وجل (ومنهم أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار) من أرمينية له طريقة يختص بها فى التصوف وكان عالما ورعا وكان ينكر على بعض العارفين فى إطلاقات وألفاظ لهم . قال ابن يزدانيار: إياك أن تطمع فى الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس وإياك أن تطمع فى حب الله وأنت تحب الفضول وإياك أن تطمع فى المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس (ومنهم أبو سعيد بن الأعرابى) واسمه أحمد بن محمد بن زياد البصرى جاور الحرم ومات به سنة إحدى وأربعين وثلثمائة صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكى والنورى وغيرهم قال ابن الأعرابى: أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد (ومنهم أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى) جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها صحب الجنيد وأبا عثمان والنورى والخواص ورويما ، مات سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول سئل أبو عمرو الزجاجى مابالك تتغير عند التكبيرة الأولى فى الفرائض فقال لأنى أخشى أن أفتتح فريضتى بخلاف الصدق فمن يقول الله أكبر وفى قلبه شىء أكبر منه أو قد كبر شيئا سواه على مرور الأوقات فقد كذب نفسه على لسانه وقال من تكلم عن حال لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه ودعوى تتولد فى قلبه وحرمه الله الوصول إلى تلك الحال وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم يتطهر فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل ويتطهر فيه احتراما للحرم (ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير) بغدادى المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى إليه وصحب النورى ورويما وسمنون والطبقة . مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلثمائة قال جعفر لايجد العبد لذة المعاملة مع الله مع لذة النفس لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت جعفرا يقول إنّ ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه فاذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا (ومنهم أبو العباس السيارى) واسمه القاسم بن القاسم من مرو صحب الواسطى وانتمى إليه فى علوم هذه الطائفة وكان عالما . مات سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة سئل أبو العباس السيارى بماذا يروض المريد نفسه فقال بالصبر على فعل الأوامر واجتناب النواهى وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء وقال ما التذ عاقل بمشاهدة الحق قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة (ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينورى) المعروف بالدقى أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة مات بدمشق بعد الخمسين والثلثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق قال أبو بكر الدقى المعدة موضع يجمع الأطعمة فاذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب (ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى) مولده ومنشؤه بنيسابور صحب أبا عثمان الحيرى والجنيد ويوسف بن الحسين ورويما وسمنونا وغيرهم. مات سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازى يقول وقد سئل : مابال الناس يعرفون عيوبهم ولايرجعون

المشايخ ابتلى بالدعاوى الكاذبة وافتضح بها ومن تكلم فى الإخلاص ولم يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك ستره عند أقرانه وإخوانه ومن كلامه قال لى أبى يا بنىّ تعلم العلم لآداب الظاهر واستعمل الورع لآداب الباطن وإياك أن يشغلك عن الله شاغل فقل من أعرض عنه فاقبل عليه (السيارى) نسبة إلى سيارجده (فناء ليس فيها لذة) فالمراد فناء الفناء لأن العبد متى كمل شغله بربه حتى فنى عن ذكر غيره من قلبه كان فناء وإن قوى شغله به حتى نسى نفسه كان فناء الفناء فالمشاهدة مقولة بالتشكيك لأن فيها أعلى وهو المسمى بفناء الفناء كما ذكر وأدنى بأن يكون العبد مشاهدا لمولاه قليل الغفلة عنه ناظرا لما يرد عليه من فضله وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه فهذا فناء فيه لذة قالوا والفناء على ثلاثة أوجه : فناء فى الأفعال لافاعل إلا الله وفناء فى الصفات لا حىّ ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله وفناء فى الذات لا موجود على الاطلاق إلا الله وأنشدوا فى ذلك :

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ... فكان فناؤه عين البقاء

إلى

إلى الصواب فقال لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن فأعمى الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادات (ومنهم أبو عمرو إسمعيل بن نجيد) صحب أبا عثمان ولقى الجنيد وكان كبير الشان آخر من مات من أصحاب أبى عثمان . توفى بمكة سنة ست وستين وثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول : سمعت جدّى أباعمرو ابن نجيد يقول كل حال لا يكون عن نتيجة علم فان ضرره على صاحبه أكثر من نفعه قال وسمعته يقول من ضيع فى وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرم لذة تلك الفريضة ولو بعد حين. قال وسئل عن التصوّف فقال الصبر تحت الأمر والنهى قال وقال: آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه (ومنهم أبو الحسن علىّ بن أحمد بن سهل البوشنجى) أحد فتيان خراسان لقى أبا عثمان وابن عطاء والجريرى وأبا عمرو الدمشقى . مات سنة ثمان وأربعين وثلثمائة . وسئل البوشنجى عن المروءة فقال هى ترك استعمال ماهو محرم عليك مع الكرام الكاتبين وقال له إنسان ادع الله لى فقال أعاذك الله من فتنتك وقال أوّل الإيمان منوط بآخره (ومنهم أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى) صحب رويما والجريرى وابن عطاء وغيرهم . مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة شيخ الشيوخ وواحد وقته . قال ابن خفيف الارادة استدامة الكدّ وترك الراحة وقال ليس شىء أضرّ على المريد من مساعحة النفس فى ركوب الرخص وقبول التأويلات وسئل عن القرب فقال قربك منه تعالى بملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق . سمعت أباعبدالله الصوفى يقول سمعت أباعبدالله ابن خفيف يقول ربما كنت أقرأ فى ابتداء أمرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ـ قل هو الله أحد ـ وربما كنت أقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت أصلى من الغداة إلى العصر ألف ركعة . سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازى رحمه الله يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول دخل يوما من الأيام فقير ، فقال للشيخ أبى عبد الله بن خفيف بى وسوسة ، فقال الشيخ عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم ، وسمعته يقول : سمعت أبا العباس الكرخى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : ضعفت عن القيام فى النوافل فجعلت بدل كل ركعة من أورادى ركعتين قاعدا للخبر «صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم» (ومنهم أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازى) كان عالما بالأصول كبيرا فى الحال صحب الشبلى . مات بأرجان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة . قال بندار بن الحسين لاتخاصم لنفسك فانها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها مايريد ، وقال بندار : صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق ، وقال بندار : اترك ماتهوى لما تأمل . ومنهم أبو بكر الطمستانى : صحب إبراهيم الدباغ وغيره ، وكان أوحد وقته علما وحالا . مات بنيسابور بعد سنة أربعين وثلثمائة . قال أبو بكر الطمستانى : النعمة العظمى الخروج من النفس والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله . سمعت أباعبد الله الشيرازى رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول سمعت أبا بكر الطمستانى يقول إذا همّ القلب عوقب فى الوقت ، وقال : الطريق واضح والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم ، فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى) صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريرى وكان عالما فاضلا ورد نيسابور وأقام بها مدة وكان يعظ الناس ، ويتكلم على لسان المعرفة ثم ذهب إلى سمرقند ومات بها بعد الأربعين وثلثمائة . قال أبو العباس الدينورى

(فجعلت بدل كل ركعة الخ) فى ذلك دلالة على كمال اجتهاده وحمل الحديث على ظاهره احتياطا ورغبة فى الأجر وإلا فغيره من الفقهاء حملوه على القادر فالعاجز مساويه فى الأجر ومن كلامه: الأكل مع الفقراء قربة إلى الله تعالى (لاتخاصم لنفسك الخ) فيه الإشارة للأمر بترك الأخلاق الذميمة إذ العبد إنما يخاصم عن ملكه فاذا علم أن نفسه ومايملكه ملك لربه اعتمد عليه واكتفى بحسن نظره إليه فانه القادر على جلب ماينفعها ودفع مايضرّها عنها وحصل له التوكل والرضا بما يجريه الحقّ عليه فى السعة وغيرها

أدنى الذكر أن تنسى مادونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر وقال أبو العباس لسان الظاهر لايغير حكم الباطن ، وقال أبو العباس الدينورى : نقضوا أركان التصوّف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموا الطمع زيادة وسوء الأدب إخلاصا والخروج عن الحق شطحا والتلذّذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع إلى الدنيا وصلا وسوء الخلق صولة والبخل جلادة والسؤال عملا و بذاءة اللسان ملامة وما هذا كان طريق القوم (ومنهم أبو عثمان سعيد ابن سلام المغربى) أوحد عصره لم يوصف مثله قبله صحب ابن الكاتب وحبيبا المغربى وأبا عمرو الزجاجى ولقى النهرجورى وابن الصائغ وغيرهم . مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ، وأوصى بأن يصلى عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى . سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول : كنت عند أبى عثمان المغربى حين قرب أجله وعلىّ القوال الصغير يقول شيئا ، فلما تغير عليه الحال أشرنا على علىّ بالسكوت ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه وقال لم لايقول علىّ شيئا ؟ فقلت لبعض الحاضرين : ساوه علام يسمع المستمع فانى أحتشمه فى تلك الحالة فسألوه فقال إنما يسمع من حيث يسمع وكان فى الرياضة كبير الشأن وقال أبو عثمان التقوى هى الوقوف مع الحدود لايقصر فيها ولايتعداها وقال من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب . (ومنهم أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى) شيخ خراسان فى وقته صحب الشبلى وأبا علىّ الروذبارى والمرتعش جاور بمكة حرسها الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ومات بها سنة تسع وستين وثلثمائة وكان عالما بالحديث كثير الرواية . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول : سمعت النصراباذى يقول إذا بدا لك شىء من بوادى الحق فلاتلتفت معها إلى جنة ولاإلى نار فاذا رجعت عن تلك الحال فعظم ماعظمه الله . وسمعت محمد بن الحسين يقول قيل للنصراباذى إن بعض الناس يجالس النسوان و يقول أنا معصوم فى رؤيتهنّ فقال مادامت الأشباح باقية فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترئ على الشبهات إلامن تعرّض للمحرمات . سمعت محمد بن الحسين يقول قال النصراباذى أصل التصوّف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات . (ومنهم أبوالحسن علىّ بن إبراهيم الحصرى البصرى) سكن بغداد عجيب الحال واللسان شيخ وقته ينتمى إلى الشبلى مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلثمائة قال الحصرى الناس يقولون الحصرى لايقول بالنوافل وعلى أوراد من حال الشباب لوتركت ركعة لعوتبت وقال من ادّعى فى شىء من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين (ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى) ابن أخت الشيخ أبى علىّ الروذبارى شيخ الشام فى وقته مات بصور سنة تسع وستين وثلثمائة . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت علىّ بن سعيد المصيصى يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول كنت راكبا جملا فغاصت رجلا الجمل فى الرمل فقلت جلّ الله فقال الجمل جلّ الله ، وكان أبو عبد الله الروذبارى إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة فى دور السوقة ومن ليس من أهل التصوّف لايخبر الفقراء بذلك ، وكان يطعمهم شيئا فاذا فرغوا أخبرهم ومضى بهم ، فكانوا قد أكلوا فى الوقت فلايمكنهم أن يمدّوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلابالتعزّز و إنما كان يفعل ذلك لئلا تسوء ظنون الناس بهذه الطائفة ، فيأثموا بسببهم ، وقيل كان أبوعبد الله الروذبارى يمشى على أثر الفقراء يوما ، وكذا كانت عادته أن يمشى على أثرهم وكانوا يمضون إلى دعوة ، فقال إنسان يقال هؤلاء المستحلون و بسط لسانه فيهم وقال فى أثناء كلامه : إن واحدا منهم قد استقرض منى مائة درهم ولم يردها ، ولست

(ورؤية أعذار الخلق) أى قبولها منهم لدلالتها على كمال المعرفة بانفراد الحق بالأفعال وعلى خروج غيره عن القدرة على إحداث شىء فاذا علم العبد ذلك عذر الخلق فيما يتصرفون فيه أقله بعجزهم عما يصلحهم و يدفع عنهم ما يؤذيهم ومع هذا يقيم عليهم الحدود و ينكر عليهم ما لاينبغى فعله امتثالا لامر الله تعالى وهذا هو الصراط المستقيم الذى هو أدق من الشعر وأرق من السيف

أدرى أين أطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال أبو عبد الله الروذبارى لصاحب الدار وكان من محبى هذه الطائفة اثنى بمائة درهم إن أردت سكون قلبي فأتاه بها فى الوقت فقال لبعض أصحابه احمل هذه المائة إلى البقال الفلانى وقل له هذه المائة التى استقرضها منك بعض أصحابنا وقد وقع له فى التأخير بها عذر وقد بعثها الآن فاقبل عذره فمضى الرجل وفعل فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فأخذ البقال فى مدحهم يقول : هؤلاء هم الثقاة الأمناء الصلحاء وما أشبه ذلك ، وقال أبو عبد الله الروذبارى : أقبح من كل قبيح صوفى شحيح . قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام رضى الله عنه هذا(١) هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة كان الغرض من ذكرهم فى هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طرق الرياضة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشىء من آداب الديانة متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله سبحانه وتعالى فيما يدّعيه مفتونا هلك فى نفسه وأهلك من اغترّ به ممن ركن إلى أباطيله ولو تقصينا وتتبعنا ماورد عنهم من ألفاظهم وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدلّ على أحوالهم لطال به الكتاب وحصل منه الملال وفى هذا القدر الذى لوّحنا به فى تحصيل المقصود غنية وبالله التوفيق . فأما المشايخ الذين أدركناهم وعاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقياهم مثل الأستاذ الشهيد لسان وقته وأوحد عصره أبى على الحسن بن على الدقاق والشيخ نسيج وحده فى وقته أبى عبد الرحمن السلمى وأبى الحسن على بن جهضم مجاور الحرم والشيخ أبى العباس القصار بطبرستان وأحمد الأسود بالدينور وأبى القاسم الصيرفى بنيسابور وأبى سهل الخشاب الكبير بها ومنصور بن خلف المغربى وأبى سعيد المالينى وأبى طاهر الخوزندى قدّس الله أرواحهم وغيرهم فلو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل أحوالهم لخرجنا عن المقصود فى الإيجاز وغير ملتبس من أحوالهم حسن سيرهم فى معاملاتهم . وسنورد من حكاياتهم طرفا فى مواضع من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى .

باب فى تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان مايشكل منها

اعلم أن من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها انفردوا بها عمن سواهم تواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة فى الوقوف على معانيهم باطلاقها وهذه الطائفة مستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجمال والستر على من باينهم فى طريقتهم لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف بل هى معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم ونحن نريد شرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سننهم . فمن ذلك (الوقت) حقيقة الوقت عند أهل التحقيق حادث متوهم علق حصوله على حادث متحقق فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول آتيك رأس الشهر فالإتيان متوهم ورأس الشهر حادث متحقق فرأس الشهر وقت الإتيان . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول: الوقت ما أنت فيه إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى وإن كنت بالسرور فوقتك السرور وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان وقد يعنون بالوقت ماهو فيه من الزمان فان قوما قالوا الوقت مابين الزمانين

(هذه الطائفة) وعدتهم ثلاث وثمانون (أو تسهيل) الأولى وتسهيل ليكون عطف تفسير (باطلاقها) كأهل أصول الدين حيث اصطلحوا على إطلاق العالم والخير والوقت والجوهر والسكون والحال وغيرها لمعان أرادوها ور بما وافق بعضها مقتضى اللغة على وضعها الحقيقى (حادث متوهم) وقوعه فى المستقبل (حادث متحقق وقوعه فيه) صوابه حادث متحقق علق عليه خصوصا حادث متوهم بدليل قوله فالحادث الخ .

(١) (هذا) أى ماسر فى هذا الباب .

يعنى الماضى والمستقبل ويقولون : الصوفى ابن وقته ، يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به فى الحال قائم بما هو مطالب به فى الحين . وقيل : الفقير لايهمه ماضى وقته وآتيه بل يهمه وقته الذى هو فيه . وقيل : الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت ثان وقد يريدون بالوقت مايصادفهم من تصريف الحق لهم دون مايختارون لأنفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أى انه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له ، وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أواقتضاء بحق شرع إذ التضييع لما أمرت به وإحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين . ومن كلامهم : الوقت سيف أى كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب . وقيل : السيف لين مسه قاطع حدّه فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه انتكس وتردّى ، وأنشدوا فى ذلك :

وكالسيف إن لاينته لان مسه وحدّاه إن خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت . وسمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول : الوقت مبرد يسحقك ولايمحقك يعنى لومحاك وأفناك لتخلصت حين فنيت لكنه يأخذ منك ولايمحوك بالكلية ، وكان ينشد فى هذا المعنى :

كل يوم يمرّ يأخذ بعضى يورث القلب حسرة ثم يمضى

وكان ينشد أيضا :

كأهل النار إن نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود

وفى معناه :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

والكيس من كان بحكم وقته إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة ، ومن ذلك المقام والمقام مايتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ممايتوصل إليه بنوع تصرّف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وماهو مشتغل بالرياضة له وشرطه أن لايرتقى من مقام إلى مقام آخر مالم يستوف أحكام ذلك المقام فان من لاقناعة له لايصح له التوكل ومن لاتوكل له لايصح له التسليم وكذلك من لاتوبة له لاتصح له الإنابة ومن لاورع له لايصح له الزهد والمقام هو الإقامة كالمدخل بمعنى الإدخال والمخرج بمعنى الإخراج ولايصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول : لما دخل الواسطى نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان بماذا كان يأمركم شيخكم ؟ فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها برؤية منشئها ومجريها وإنما أراد الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الإعجاب لاتعريجا فى أوطان التقصير أوتجويزا للإخلال بأدب من الآداب

(ومن ذلك الحال) والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو احتياج فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتى من غير الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام ممكن فى مقامه وصاحب الحال مترقّ عن حاله . وسئل ذوالنون المصرى عن العارف فقال كان ههنا فذهب . وقال بعض المشايخ : الأحوال كالبروق فإن بقى فحديث نفس . وقالوا :

(فالغالب عليه أحكام الحقيقة) لأن من غاب عن إدراك نفسه وغيره فهو مشغول بالحق عن الخلق ومع ذلك لايجرى عليه حينئذ مايخالف الشريعة فحصل من مجموع ماذكر أنهم يطلقون الوقت على ماغلب من الحال وعلى ما كان عمارة للزمان وعلى مايصرف الله العبد فيه من المقدورات بغير اختيار وأنهم لقبوا الوقت بأنه سيف لأنه يقطع عمر العبد فإن لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة وأنهم لقبوه أيضا بأنه مبرد بمعنى أنه لايستغرق العبد حتى يغيب عن إحساسه بل لابدّ أن يدرك ماهو فيه من غلبة حال أوعمارة أو تصريف من الحق ولواستغرق لم يسموه وقتا

الأحوال كاسمها يعنى أنها كما تحل بالقلب تزول فى الوقت ، وأنشدوا :

لو لم تحل ماسميت حالا وكل ماحال فقد زالا

انظر إلى الفىء إذا ماانتهى يأخذ فى النقص إذا طالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها وقالوا إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهى لوائح و بواده ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فاذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمى حالا وهذا أبو عثمان الحيرى يقول منذ أربعين سنة ماأقامنى الله تعالى فى حال فكرهته أشار إلى دوام الرضا والرضا من جملة الأحوال فالواجب فى هذا أن يقال إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ماقال فقد يصير المعنى شربا لأحد فيربى فيه ولكن لصاحب هذه الحال أحوال هى طوارق لاتدوم فوق أحواله التى صارت شربا له فاذا دامت هذه الطوارق له كما دامت الأحوال المتقدمة ارتقى إلى أحوال أخر فوق هذه وألطف من هذه فأبدا يكون فى الترقى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرّة » أنه كان صلى الله عليه وسلم أبدا فى الترقى من أحواله فاذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها فكأنّ بعدها غينا بالإضافة إلى ماحصل فيها فأبدا كانت أحواله فى التزايد ومقدورات الحق سبحانه من الألطاف لانهاية لها فاذا كان حق الحق تعالى العز وكان الوصول إليه بالتحقيق محالا فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى يوصل إليه إلا وفى مقدوره سبحانه ماهو فوقه يقدر أن يوصله إليه وعلى هذا يحمل قولهم: حسنات الأبرار سيآت المقربين وسئل الجنيد عن هذا فأنشد :

طوارق أنوار تلوح إذا بدت فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

(ومن ذلك القبض والبسط) وهما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف ومن الفصل بين القبض والخوف والبسط والرجاء أن الخوف إنما يكون من شىء فى المستقبل إما أن يخاف فوت محبوب او هجوم محذور وكذلك الرجاء إنما يكون بتأميل محبوب فى المستقبل أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه فى المستأنف. وأما القبض فلمعنى حاصل فى الوقت وكذلك البسط فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه فى حالتيه بآجله وصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوارد غلب عليه فى عاجله ثم تتفاوت نعوتهم فى القبض والبسط على حسب تفاوتهم فى أحوالهم فمن وارد يوجب قبضا ولكن يبقى مساغ للأشياء الأخر لأنه غير مستوف ومن مقبوض لامساغ لغير وارده فيه لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم أنا ردم أى لامساغ فىّ وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق فلا يستوحش من أكثر الأشياء ويكون مبسوطا لايؤثر فيه شىء بحال من الأحوال . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول دخل بعضهم على أبى بكر القحطى وكان له ابن يتعاطى مايتعاطاه الشباب وكان ممر هذا الداخل على هذا الابن فاذا هو مع أقرانه فى اشتغاله ببطالته فرقّ قلبه وتألم للقحطى وقال مسكين هذا الشيخ كيف ابتلى بمقاساة هذا الابن فلما دخل على القحطى وجده كأنه لاخبر له بما يجرى عليه من الملاهى فتعجب منه وقال فديت من لاتؤثر فيه الجبال الرواسى فقال القحطى إنا قد حررنا عن رقّ الأشياء فى الأزل . ومن أدنى موجبات القبض أن يرد على قلبه وارد موجبه إشارة إلى عتاب ورمز باستحقاق تأديب فيحصل فى القلب لامحالة قبض وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقريب أو إقبال بنوع لطف وترحيب فيحصل للقلب بسط وفى الجملة قبض كل أحد على حسب بسطه و بسطه على حسب قبضه

(طوارق أنوار الخ) أى المقامات أولها طوارق تلوح إذا ظهرت ونهايتها أنها إذا قويت بعد ظهورها أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السرّ فأول المقام طوارق ونهايته جمع وكمال حال وكتمان سرّ فأشار بالأوّل إلى مقام الأبرار و بالثانى إلى مقام المقربين (وأما القبض الخ) معنى ذلك أن العبد قد يتقدم له الخوف من ضرر يخشاه فى المستقبل فاذا حلّ به انقبض والرجاء تأميل حصول محبوب فى المستقبل فاذا حصل انبسط فمتعلق الخوف والرجاء أمر يحصل فى الآجل ومتعلق القبض والبسط أمر يحصل فى الوقت العاجل كما أشار إلى ذلك بقوله فصاحب الخ

وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد فى قلبه قبضا لا يدرى موجبه ولا سببه فسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضى ذلك الوقت لأنه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب و إذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال ـ والله يقبض و يبسط ـ وقد يكون بسط يرد بغتة و يصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه و يستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الأدب فان فى هذا الوقت له خطرا عظيما فليحذر صاحبه مكرا خفيا كذا قال بعضهم فتح علىّ باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى ولهذا قالوا قف على البساط و إياك والانبساط وقد عد أهل التحقيق حالتى القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لأنهما بالاضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه فى الحقيقة فقر وضرّ . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول الخوف من الله يقبضنى والرجاء منه يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق يفرقنى إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى و إذا بسطنى بالرجاء ردنى علىّ و إذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى و إذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه فهو تعالى فى ذلك كله محركى غير ممسكى وموحشى غير مؤنسى فأنا بحضورى أذوق طعم وجودى فليته أفنانى عنى فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى (ومن ذلك الهيبة والأنس) وهما فوق القبض والبسط فكما أن القبض فوق رتبة الخوف والبسط فوق منزلة الرجاء فالهيبة أعلى من القبض والأنس أتم من البسط وحق الهيبة الغيبة فكل هائب غائب ثم الهائبون يتفاوتون فى الهيبة على حسب تباينهم فى الغيبة فمنهم ومنهم وحق الأنس محو بحق فكل مستأنس صاح ثم يتباينون حسب تباينهم فى الشرب ولهذا قالوا أدنى محل الأنس أنه لو طرح فى لظى لم يتكدر عليه أنسه . قال الجنيد رحمه الله كنت أسمع السرى يقول يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان فى قلبى منه شئ حتى بان لى أن الأمر كذلك . وحكى عن أبى مقاتل العكى أنه قال دخلت على الشبلى وهو ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش فقلت ياسيدى أنت تفعل هذا بنفسك و يعود ألمه إلى قلبى فقال و يلك الحقيقة ظاهرة لى ولست أطيقها فهو ذا فأنا أدخل الألم على نفسى لعلى أحس به فيستتر عنى فلست أجد الألم وليس يستتر عنى وليس لى به طاقة وحال الهيبة والأنس و إن جلتا فأهل الحقيقة يعدونهما نقصا لتضمنهما تغير العبد فان أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير وهم محو فى وجود العين فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس والحكاية معروفة عن أبى سعيد الخراز أنه قال تهت فى البادية مرة فكنت أقول :

أتيه فلا أدرى من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس فىّ وفى جنسى
أتيه على جن البلاد وإنسها ... فان لم أجد شخصا أتيه على نفسى

قال فسمعت هاتفا يهتف بى و يقول :

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ... ويفرح بالتيه الدنى وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة ... لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى
وكنت بلا حال مع الله واقفا ... تصان عن التذكار للجن والإنس

و إنما يرتقى العبد عن هذه الحالة بالوجود (ومن ذلك التواجد والوجد والوجود) فالتواجد استدعاء الوجد بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد إذ لو كان لكان واجدا و باب التفاعل أكثره على إظهار الصفة وليست كذلك ، قال الشاعر :

(والأنس أتم من البسط) أى فوقه فالهيبة ناشئة من القبض الناشئ من الخوف والأنس ناشئ من البسط الناشئ من الرجاء لأن من خاف الله وعرف تقصيره فى حقه تعالى انقبض قلبه و بقى مشغولا بالله فيحصل له الهيبة منه ومن أمل وصوله إلى خير انبسط قلبه و بقى مشغولا بالله فيحصل له الأنس به (حتى بان لى أن الأمر كذلك) حيث ذاق وعلم أن كمال الاستغراق يزيل الإحساس بالنفس بالكلية وشاهده خبر «إن الشهيد إنما يجد من الموت كما نجده من القرصة» لخفة ذلك عليه بكمال شغله بجهاده فيأتيه الموت بالسيف ولا يحس به إلا كما يحس بالقرصة

إذا تخازرت ومابى من خزر ثم كسرت العين من غير ماعور

فقوم قالوا التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف و يبعد عن التحقيق وقوم قالوا إنه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذه المعانى وأصلهم خبر الرسول صلى الله عليه وسلم «ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا» والحكاية المعروفة لأبى محمد الجريرى رحمه الله أنه قال : كنت عند الجنيد وهناك ابن مسروق وغيره وثم قوال فقام ابن مسروق وغيره والجنيد ساكن فقلت : يا سيدى مالك فى السماع شيء فقال الجنيد ـ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مرّ السحاب ـ ثم قال وأنت يا أبا محمد مالك فى السماع شيء فقلت ياسيدى أنا إذا حضرت موضعا فيه سماع وهناك محتشم أمسكت على نفسى وجدى فاذا خلوت أرسلت وجدى فتواجدت فأطلق فى هذه الحكاية التواجد ولم ينكر عليه الجنيد . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول لما راعى أدب الأكابر فى حال السماع حفظ الله عليه وقته ابركات الأدب حتى يقول أمسكت على نفسى وجدى فاذا خلوت أرسلت وجدى فتواجدت لأنه لايمكن إرسال الوجد إذا شئت بعد ذهاب الوقت وغلباته ولكنه لما كان صادقا فى مراعاة حرمة الشيوخ حفظ الله تعالى عليه وقته حتى أرسل وجده عند الخلوة فالتواجد ابتداء الوجد على الوصف الذى جرى ذكره و بعد هذا الوجد، والوجد مايصادف قلبك و يرد عليك بلا تعمد وتكلف ولهذا قال المشايخ الوجد المصادفة والمواجيد ثمرات الأوراد فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله تعالى لطائفه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الواردات من حيث الأوراد فمن لاورد له بظاهره لاوارد له فى سرائره وكل وجد فيه من صاحبه شيء فليس بوجد وكما أن مايتكلفه العبد من معاملات ظاهره يوجب له حلاوة الطاعات فمايتنازله العبد من أحكام باطنه يوجب له المواجيد فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجيد نتائج المنازلات وأما الوجود فهو بعد الارتقاء عن الوجد ولايكون وجود الحق إلا بعد خمود البشرية لأنه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة وهذا معنى قول أبى الحسين النورى أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد أى إذا وجدت ربى فقدت قلبى واذا وجدت قلبى فقدت ربى وهذا معنى قول الجنيد علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه وفى هذا المعنى أنشدوا .

وجودى أن أغيب عن الوجود بمايبدو علىّ من الشهود

فالتواجد بداية والوجود نهاية والوجد واسطة بين البداية والنهاية . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول التواجد يوجب استيعاب العبد والوجد يوجب استغراق العبد والوجود يوجب استهلاك العبد فهو كمن شهد البحر ثم ركب البحر ثم غرق فى البحر وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود و بمقدار الوجود يحصل الخمود وصاحب الوجود له صحو ومحو فحال صحوه بقاؤه بالحق وحال محوه فناؤه بالحق وهاتان الحالتان أبدا متعاقبتان عليه فإذا غلب عليه الصحو بالحق فبه يصول و به يقول قال عليه السلام فيما أخبر عن الحق «فبى يسمع و بى يبصر» . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول وقف رجل على حلقة الشبلى فسأله هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين فقال نعم نور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق فتلوح على الهياكل آثارها كما قال ابن المعتز .

وأمطر الكأس ماء من أبارقها فأنبت الدر فى أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجبا نورا من الماء فى نار من العنب
سلافة ورثتها عاد عن إرم كانت ذخيرة كسرى عن أب فأب

(والمواجيد) جمع وجد على غير قياس (ثمرات الأوراد) أى المترتبة عليها بواسطة المنازلات كما سيأتى تفضلا لابالاكتساب (يوجب له المواجيد) من رجاء لحصول ماطلبه أوخوف من فواته أوشكر لاسباغه أوشوق لكمال حصوله (لأنه لا يكون للبشرية الخ) لأن العبد مادام مدركا لنفسه ممتعا بوجده فبشريته حاصلة و إذا اشتغل بالحق كمال الشغل حتى ينسى كونه مشتغلا به صار الغالب عليه إذ ذاك الحق خاصة وعبروا عن هذه الحالة بالوجود (ووجوده مباين لعلمه) يعنى أن العبد يكون عالما بالتوحيد بالاستدلال بالآثار ولا يكون واجدا له لأن وجوده لايبقى للعبد معه إحساس بنفسه فضلا عن علمه واستدلاله عليه

وقيل لأبى بكر الدقى إن جهما الدقى أخذ شجرة بيده فى حال السماع فى ثورانه فقلعها من أصلها فاجتمعا فى دعوة وكان الدقى كف بصره فقام جهم الدقى يدور فى هيجانه فقال الدقى إذا قرب منى أرونيه وكان الدقى ضعيفا فمرّ به فلما قرب منه قالوا له هذا هو فأخذ الدقى ساق جهم فوقفه فلم يمكنه أن يتحرك فقال جهم أيها الشيخ التوبة التوبة فخلاه .قال الأستاذ الإمام أدام الله جماله : فكان ثوران جهم فى حق و إمساك الدقى بساقه بحق ولما علم جهم أن حال الدقى فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم وكذا من كان بحق لايستعصى عليه شىء فأما إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربى أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات ودخل بعض الفقراء على أبى عقال فقال له سلام عليكم فقال له أبو عقال وعليكم السلام فقال الرجل أنا فلان فقال أبو عقال أنت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب عن حالته قال هذا الرجل فقلت له سلام عليكم فقال وعليكم السلام كأنه لم يرنى قط ففعلت مثل هذا غير مرة فعلمت أن الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عمر بن محمد بن أحمد يقول سمعت امرأة أبى عبد الله التروغندى تقول لما كانت أيام المجاعة والناس يموتون من الجوع دخل أبو عبد الله التروغندى بيته فرأى فى بيته مقدار منوين حنطة فقال الناس يموتون من الجوع وفى بيتى حنطة خولط فى عقله فما كان يفيق إلا فى أوقات الصلاة يصلى الفريضة ثم يعود إلى حالته فلم يزل كذلك إلى أن مات . دلت هذه الحكاية على أن هذا الرجل كان محفوظا عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة وهذا هو صفة أهل الحقيقة ثم كان سبب غيبته عن تميزه شفقته على المسلمين وهذا أقوى سمة لتحققه فى حاله (ومن ذلك الجمع والفرق) لفظ الجمع والتفرقة يجرى فى كلامهم كثيرا وكان الأستاذ أبو على الدقاق يقول الفرق مانسب إليك والجمع ماسلب عنك ومعناه أن مايكون كسبا للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق وما يكون من قبل الحق من إبداء معان و إسداء لطف و إحسان فهو جمع هذا أدنى أحوالهم فى الجمع والفرق لأنه من شهود الأفعال فمن أشهده الحق سبحانه أفعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة ومن أشهده الحق سبحانه مايوليه من أفعال نفسه سبحانه فهو عبد يشاهد الجمع فاثبات الخلق من باب التفرقة و إثبات الحق من نعت الجمع ولابد للعبد من الجمع والفرق فان من لاتفرقة له لاعبودية له ومن لاجمع له لامعرفة له فقوله إياك نعبد إشارة إلى الفرق وقوله و إياك نستعين إشارة إلى الجمع و إذا خاطب العبد الحق سبحانه بلسان نجواه إما سائلا أو داعيا أو مثنيا أو شاكرا أو متنصلا أو مبتهلا قام فى محل التفرقة و إذا أصغى بسرّه إلى ماينا جيه به مولاه واستمع بقلبه مايخاطبه به فيما ناداه أوناجاه أوعرفه معناه أو لوح لقلبه وأراه فهو يشاهد الجمع . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول أنشد قوال بين يدى الأستاذ أبى سهل الصعلوكى رحمه الله تعالى *جعلت تنزهى نظرى إليكا* وكان أبو القاسم النصراباذى رحمه الله حاضرا فقال الأستاذ أبو سهل جعلت بنصب التاء وقال النصراباذى بل جعلت بضم التاء فقال الأستاذ أبو سهل أليس عين الجمع أنتم فسكت النصراباذى وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن أيضا يحكى هذه الحكاية على هذا الوجه ومعنى هذا أن من قال جعلت بضم التاء يكون إخبارا عن حال نفسه فكأن العبد يقول هذا و إذا قال جعلت بالفتح فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك بتكلفه بل يخاطب مولاه فيقول أنت الذى خصصتنى بهذا لاأنا بتكلفى فالأول على خطر الدعوى والثانى بوصف التبرى من الحول والإقرار بالفضل والطول وفرق بين

(منوين) تثنية منا بالقصر وهو أفصح من مدّه وهو رطلان قاله الجوهرى (خولط فى عقله) بحيث غاب عن نفسه من شدة مادخل عليه بسبب حرصه على الطعام فى وقت الاحتياج إليه إذا كان حقه أن يخرج الفاضل عن قوته (الجمع والفرق ، لفظ الجمع والتفرقة يجرى فى كلامهم كثيرا) والجمع مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى والتفرقة مأخوذة من تفرقتها فى الكائنات مع الحق والجامع والمفرق فى الحقيقة هو الله (مايوليه) أى يعطيه .

من يقول بجهدى أعبدك و بين من يقول بفضلك ولطفك أشهدك (وجمع الجمع) فوق هذا و يختلف الناس فى هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم وتفاوت درجاتهم فمن أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهد الكل قائما بالحق فهذا هو جمع و إذا كان مختطفا عن شهود الخلق مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة فذاك جمع الجمع والتفرقة شهود الأغيار لله عزوجل والجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الاحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة و بعد هذا حالة عزيزة يسميها القوم الفرق الثانى وهو أن يرد إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض ليجرى عليه الفرائض فى أوقاتها فيكون رجوعا لله بالله تعالى لا للعبد بالعبد فالعبد يطالع نفسه فى هذه الحالة فى تصريف الحق سبحانه يشهد مبدأ ذاته وعينه بقدرته ومجرى أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته وأشار بعضهم بلفظ الجمع والفرق إلى تصريف الحق جميع الخلق فجمع الكل فى التقليب والتصريف من حيث إنه منشئ ذواتهم ومجرى صفاتهم ثم فرقهم فى التنويع ففريقا أسعدهم وفريقا أبعدهم وأشقاهم وفريقا هداهم وفريقا أضلهم وأعماهم وفريقا حجبهم عنه وفريقا جذبهم إليه وفريقا آنسهم بوصلته وفريقا آيسهم من رحمته وفريقا أكرمهم بتوفيقه وفريقا اصطلمهم عند رومهم لتحقيقه وفريقا أصحاهم وفريقا محاهم وفريقا قربهم وفريقا غيبهم وفريقا أدناهم وأحضرهم ثم أسقاهم فأسكرهم وفريقا أشقاهم وأخرهم ثم أقصاهم وهجرهم وأنواع أفعاله لا يحيط بها حصر ولا يأتى على تفصيلها شرح ولا ذكر وأنشدوا للجنيد رحمه الله فى معنى الجمع والتفرقة :

وتحققتك فى سرى فناجاك لسانى فاجتمعنا لمعانى وافترقنا لمعانى
إن يكن غيبك التعـ ـظيم عن لحظ عيانى فلقد صيرك الوجـ ـد من الأحشاء دانى

وأنشدوا :

إذا ما بدا لى تعاظمته فأصدر فى حال من لم يرد
جمعت وفرقت عنى به ففرد التواصل مثنى العدد

(ومن ذلك الفناء والبقاء) أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به و إذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة . واعلم أن الذى يتصف به العبد أفعال وأخلاق وأحوال فالأفعال تصرفاته باختياره والأخلاق جبلة فيه ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة والأحوال ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال فهى كالأخلاق من هذا الوجه لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه فينفى بجهده سفسافها من الله عليه بتحسين أخلاقه فكذلك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال إنه فنى عن شهواته فاذا فنى عن شهواته بقى بنيته و إخلاصه فى عبوديته ومن زهد فى دنياه بقلبه يقال فنى عن رغبته فاذا فنى عن رغبته فيها بقى بصدق إنابته ومن عالج أخلاقه فنى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فنى عن سوء الخلق فاذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق ومن شاهد جريان القدرة فى تصاريف الأحكام يقال فنى عن حسبان الحدثان من الخلق فاذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقى بصفات الحق ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا اطلالا يقال إنه فنى عن الخلق و بقى بالحق ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال

(والتفرقة الخ) فالحاصل أن من كانت أفعاله لله تعالى وشاهدها طاعة له تعالى فهو فى التفرقة ومن شاهدها جارية عليه فضلا من الله فقد شاهدها بالله فهو فى الجمع ومن غفل عنها وعن نفسه شغلا بالله فهو فى جمع الجمع (تعاظمته) فغبت فيه هذا جمع (فأصدر الخ) هذا تفرقة أى فأرجع إليه فى وصف من لم يرد محل الورود بل ردنى إليه بفضله فاستغرقت فيه (من الله عليه بتحسين أخلاقه) أى المحمودة كالتواضع والصبر وسلامة الباطن والزهد وحسن الخلق روى البيهقى خبر «إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها»

إحساسه بنفسه و بهم فاذا فنى عن الأفعال والأخلاق والأحوال فلا يجوز أن يكون مافنى عنه من ذلك موجودا و إذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لاعلم له بهم ولابه ولا إحساس ولاخبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين غير محسّ بنفسه و بالخلق وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه هيبة ور بما يذهل عن ذلك المحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيآت ذلك الصدر وهيآت نفسه لم يمكنه الاخبار عن شيء قال الله تعالى ـ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ـ لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدى وهن أضعف الناس ـ وقلن، ماهذا بشرا ـ ولقد كان بشرا وقلن ـ إن هذا إلا ملك كريم ـ ولم يكن ملكا فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأىّ أعجوبة فيه فمن فنى عن جهله بقى بعلمه ، ومن فنى عن شهوته بقى بانابته ، ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته ، ومن فنى عن منيته بقى بارادته ، وكذلك القول فى جميع صفاته ، فاذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقى عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه ، و إلى هذا أشار قائلهم :

فقوم تاه فى أرض بقفر وقوم تاه فى ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقا من قرب ربه

فالأوّل فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق (ومن ذلك الغيبة والحضور) فالغيبة غيبة القلب عن علم مايجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب كما روى أن الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود رضى الله عنه فمرّ بحانوت حدّاد فرأى الحديدة المحماة فى الكير فغشى عليه ولم يفق إلى الغد فلما أفاق سئل عن ذلك فقال تذكرت كون أهل النار فى النار فهذه غيبة زادت على حدّها حتى صارت غشية . وروى عن علىّ بن الحسين أنه كان فى سجوده فوقع حريق فى داره فلم ينصرف عن صلاته ، فسئل عن حاله فقال ألهتنى النار الكبرى عن هذه النار ور بما تكون الغيبة عن إحساسه بمعنى يكاشف به من الحق سبحانه وتعالى ثم إنهم مختلفون فى ذلك على حسب أحوالهم ، ومن المشهور أن ابتداء حال أبى حفص النيسابورى الحدّاد فى ترك الحرفة أنه كان على حانوته فقرأ قارئ آية من القرآن فورد على قلب أبى حفص وارد تغافل عن إحساسه فأدخل يده فى النار وأخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذ له ذلك فقال يا أستاذ ماهذا فنظر أبو حفص إلى ماظهر عليه فترك الحرفة وقام من حانوته . وكان الجنيد قاعدا وعنده امرأته فدخل عليه الشبلى فأرادت امرأته أن تستتر فقال لها الجنيد لاخبر للشبلى عنك فاقعدى فلم يزل يكلمه الجنيد حتى بكى الشبلى فلما أخذ الشبلى فى البكاء قال الجنيد لامرأته استتري فقد أفاق الشبلى من غيبته . سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور وكان رجلا صالحا قال : كنت أقرأ القرآن فى مجلس الأستاذ أبى على الدقاق بنيسابور وقت كونه هناك وكان يتكلم فى الحج كثيرا فأثر فى قلبى كلامه فخرجت إلى الحج تلك السنة وتركت الحانوت والحرفة وكان الأستاذ أبو على رحمه الله خرج إلى الحج أيضا فى تلك السنة وكنت مدّة كونه بنيسابور أخدمه وأواظب على القراءة فى مجلسه فرأيته يوما فى البادية

(غير محس بنفسه و بالخلق) لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك و بهذا علم أن من قال الفناء ذهاب البشرية لم يرديه ذهابها بالكلية فانها موجودة فى نفسها مع لوازمها من اللذات والآلام بل أراد أنها مغمورة بما يطرأ عليها من لذات وآلام أعظم من تلك (يرتقى عن ذلك الخ) لأنه إذا فنى عن الأغيار فتارة يكون ذاكرا لقيامه وتارة يقوى شهوده وشغله بمن استغرق فيه حتى لايحس بفنائه لعدم ذكره أحوال نفسه وهذا فناء الفناء فانه فنى عن فنائه (فغشى عليه) أى لتذكره خروج المذنبين من النار أو حالهم فيها (ولم يفق إلى الغد) مع أنه ينادى عند كل صلاة يار بيع يار بيع فلايسمع ولا يعقل لغلبة حاله واستغراقه فى خوفه فهو حاضر بقلبه مع المخوف غائب عن كل مألوف

تطهر ونسى قمقمة كانت بيده فحملتها فلما عاد إلى رحله وضعتها عنده فقال جزاك الله تعالى خيرا حيث حملت هذا ثم نظر إلىّ طويلا كأنه لم يرنى قط وقال رأيتك مرة من أنت ، فقلت المستغاث بالله تعالى صحبتك مدّة وخرجت عن مسكنى ومالى بسببك وتقطعت فى المفازة بك والساعة تقول رأيتك مرة . (وأما الحضور) فقد يكون حاضرا بالحق لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى أنه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدى ربه تعالى فعلى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة . فاذا قيل فلان حاضر فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا فى حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها وقد يقال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق إنه حضر أى رجع عن غيبته ، فهذا يكون حضورا بالخلق والأوّل حضورا بحق ، وقد تختلف أحوالهم فى الغيبة ، فمنهم من لا تمتدّ غيبته ، ومنهم من تدوم غيبته . وقد حكى أن ذا النون المصرى بعث إنسانا من أصحابه إلى أبى يزيد لينقل إليه صفة أبى يزيد ، فلما جاء الرجل إلى بسطام سأل عن دار أبى يزيد فدخل عليه فقال له أبو يزيد ماتريد ؟ فقال أريد أبا يزيد ، فقال من أبو يزيد ؟ وأين أبو يزيد ؟ أنا فى طلب أبى يزيد ، فخرج الرجل وقال هذا مجنون فرجع الرجل إلى ذى النون فأخبره بما شهد فبكى ذو النون وقال : أخى أبو يزيد ذهب فى الذاهبين إلى الله (ومن ذلك الصحو والسكر) فالصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة والسكر غيبة بوارد قوىّ والسكر زيادة على الغيبة من وجه ، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفيا فى سكره ، وقد يسقط أخطار الأشياء عن قلبه فى حال سكره ، وتلك حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد فيكون للاحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة فربما يكون صاحب السكر أشدّ غيبة من صاحب الغيبة إذا قوى سكره وربما يكون صاحب الغيبة أتمّ فى الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكرا غير مستوف ، والغيبة قد تكون للعبادة بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ومقتضيات الخوف والرجاء ، والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجد ، فاذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر ، وطاب الروح ، وهام القلب ، وفى معناه أنشدوا :

فصحوك من لفظى هو الوصل كله ... وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا
فمامل ساقيها وما ملّ شارب ... عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا

وأنشدوا : فأسكر القوم دور كأس ... وكان سكرى من المدير

وأنشدوا : لى سكرتان وللندمان واحدة ... شىء خصصت به من بينهم وحدى

وأنشدوا : سكران سكر هوى وسكر مدامة ... فمتى يفيق فتى به سكران

واعلم أن الصحو على حسب السكر ، فمن كان سكره بحق كان صحوه بحق ، ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ صحيح مصحوبا ، ومن كان محقا فى حاله كان محفوظا فى سكره ، والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة ، وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم أن صفة العبد الثبور والقهر ، وفى معناه أنشدوا :

إذا طلع الصباح لنجم راح ... تساوى فيه سكران وصاح

قال الله تعالى ـ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا ـ هذا مع رسالته خرّ صعقا وهذا مع صلابته وقوّته صار دكا متكسرا والعبد فى حال سكره يشاهد الحال وفى حال صحوه يشاهد العلم إلا أنه فى حال سكره محفوظ لا بتكلفه وفى صحوه متحفظ بتصرفه والصحو والسكر بعد الذوق والشرب (ومن ذلك

(من أبو يزيد الخ) فيه دليل على كمال استغراقه فى أكثر أوقاته وهو يحبّ أن لو خفف عنه ماهو فيه ليرجع إلى إحساسه وينتفع بما لا بدّ منه (وهام القلب) وسقط التمييز بين مايؤلمه ومايلذه لأن التجليات الجمالية وشهود الصفات الكمالية إذا استولت على العبد بحيث لايشهد سوى الحق تصير الأشياء بالنسبة إليه شيئا واحدا فحينئذ لايميز بين الأشياء لغلبة رؤية ما للحق عليه (وفى معناه) أى السكر الناشىء عن كشف الجمال

الذوق والشرب) ومن جملة مايجرى فى كلامهم الذوق والشرب و يعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلى ونتائج الكشوفات و بواده الواردات وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الرى فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعانى ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى فصاحب الذوق متسا كر وصاحب الشرب سكران وصاحب الرى صاح ، ومن قوى حبه تسرمد شربه فاذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكرا فكان صاحيا بالحق فانيا عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ولايتغير عما هو به ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ولم يبق بدونه وأنشدوا :

إنما الكاس رضاع بيننا ... فاذا ما لم نذقها لم نعش

وأنشدوا : عجبت لمن يقول ذكرت ربى ... فهل أنسى فأذكر ما نسيت

شربت الحب كأسا بعد كأس ... فما نفد الشراب ولا رويت

و يقال كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد البسطامى ههنا من شرب كأسا من المحبة لم يظمأ بعده فكتب إليه أبو يزيد عجبت من ضعف حالك ههنا من يحتسى بحار الكون وهو فاغرفاه يتزيد .

واعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب ولاتدار إلا على أسرار معتقة وأرواح عن رق الأشياء محررة (ومن ذلك المحو والاثبات) المحورفع أوصاف العادة والاثبات إقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة فهو صاحب محو و إثبات . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قال بعض المشايخ لواحد إيش تمحو و إيش تثبت فسكت الرجل فقال أما علمت أن الوقت محو و إثبات إذمن لامحو له ولا إثبات فهو معطل مهمل و ينقسم إلى محو الزلة عن الظواهر ومحو الغفلة عن الضمائر ومحو العلة عن السرائر فى محو الزلة إثبات المعاملات وفى محو الغفلة إثبات المنازلات وفى محو العلة إثبات المواصلات هذا محو و إثبات بشرط العبودية ، وأما حقيقة المحو والاثبات فصادران عن القدرة فالمحو ماستره الحق ونفاه والاثبات ماأظهره الحق وأبداه والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة قال الله تعالى ـ يمحوا الله مايشاء و يثبت ـ قيل يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى و يثبت على ألسنة المريدين ذكر الله ومحو الحق لكل أحد و إثباته على مايليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه عن مشاهدة أثبته بحق حقه ومن محاه الحق عن إثباته به رده إلى شهود الأغيار وأثبته فى أودية التفرقة . وقال رجل للشبلى رحمه الله مالى أراك قلقا أليس هو معك وأنت معه فقال الشبلى : لو كنت أنا معه كنت أنا ولكنى محو فيما هو والمحق فوق المحو لأن المحو يبقى أثرا والمحق لايبقى أثرا وغاية همة القوم أن يمحقهم الحق عن شاهدهم ثم لايردهم إليهم بعد ما محقهم عنهم (ومن ذلك الستر والتجلى) العوام فى غطاء الستر والخواص فى دوام التجلى وفى الخبر «إن الله إذا تجلى لشىء خشع له» فصاحب الستر بوصف شهوده وصاحب التجلى أبدا بنعت خشوعه والستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم . سمعت منصورا المغربى يقول : وافى بعض الفقراء حيا من أحياء العرب فأضافه شاب فينا الشاب فى خدمة هذا الفقير إذ غشى عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا له بنت عم وقد علقها فمشت فى خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشى عليه فمضى الفقير إلى باب الخيمة وقال إن للغريب فيكم حرمة وذماما وقد جئت مستشفعا إليك فى أمر هذا الشاب فتعطفى عليه فيما هو به من هواك فقالت سبحان الله أنت سليم القلب إنه لايطيق شهود غبار ذيلى فكيف يطيق صحبتى وعوام هذه الطائفة عيشهم فى التجلى و بلاؤهم فى الستر وأما الخواص فهم بين

(تسرمد شربه) أى دام (فاذا دامت به الخ) ولهذا قال الجنيد فى هذه الحالة وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ـ (لم يظمأ بعده) لدوام تعلق قلبه بمحبوبه وشغله به لما وهب له من مقام المحبة (فمن نفى عن أحواله الخ) فمحو الجهل يحصل باثبات العلم ومحو الكسل يحصل بملازمة العمل وكذا القول فى سائر مايمحى و يثبت فى القلوب والجوارح من الصفات (إيش) أى وأى شىء تمحو (و إيش) أى وأى شىء (تثبت) سأله عن حاله فى وقته ليعرف مقامه الذى هو فيه (الستر والتجلى) الستر من قبل العبد كون البشرية حاصلة بين الستر وشهود الغيبى فإذا ظهر النور الغيبى أزال حجاب البشرية ومن قبل الحق ستره عن العبد حاله والتجلى من قبل العبد زوال حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن صدإ طباع البشرية ومن قبل الحق كشفه عن العبد حاله . وسئل بعضهم عن التجلى والتحلى والتخلى فقال: التجلى ظهور الذات فى حجب الأسماء والصفات تنزلا، والتحلى القيام بمعانى الأسماء تعبدا وتمثلا ، والتخلى سقوط الإرادة والاختيار اعتمادا وتوكلا

طيش وعيش لأنهم إذا تجلى لهم طاشوا و إذا ستر عليهم ردّوا إلى الحظ فعاشوا وقيل إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام ـ وما تلك بيمينك ياموسى ـ ليستر عليه ببعض مايعلله به بعض ماأثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع . وقال صلى الله عليه وسلم : «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة» والاستغفار طلب الستر ولأن الغفر هو الستر ومنه غفر الثوب والمغفر وغيره فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق وفى الخبر «لو كشف عن وجهه لحرقت سبحات وجهه ماأدرك بصره» (ومن ذلك المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة) المحاضرة ابتداء ثم المكاشفة ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر و إن كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر ثم بعده المكاشفة وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر فى هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعى الريب ولا محجوب عن نعت الغيب ثم المشاهدة وهى حضور الحق من غير بقاء تهمة فإذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف وحق المشاهدة ماقاله الجنيد رحمه الله وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته ولم يزد فى بيان تحقيق المشاهدة أحد على ماقاله عمرو بن عثمان المكى رحمه الله ومعنى ماقاله أنه تتوالى أنوار التجلى على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق فكما أن الليلة الظلماء بتوالى البروق فيها واتصالها إذا قدرت تصير فى ضوء النهار فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلى متع نهاره فلا ليل وأنشدوا :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى
والناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

وقال النورى لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقى له عرق قائم وقال إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة لأن باب المفاعلة فى العربية بين اثنين وهذا وهم من صاحبه فان فى ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق و باب المفاعلة جملتها لا تقتضى مشاركة الاثنين نحو سافر وطارق النعل وأمثاله وأنشدوا :

فلما استبان الصبح أدرك ضوؤه بأنواره أنوار ضوء الكواكب
يجرعهم كأسا لو ابتلى به اللظى بتجريعه طارت كأسرع ذاهب

كأس وأى كأس تصطلمهم عنهم وتفنيهم وتختطفهم منهم ولا تبقيهم كأس لا تبقى ولا تذر تمحوهم بالكلية ولا تبقى شظية من آثار البشرية كما قال قائلهم * ساروا فلم يبق لارسم ولا أثر * (ومن ذلك اللوائح والطوالع واللوامع) قال الأستاذ رضى الله عنه هذه الألفاظ متقاربة المعنى لا يكاد يحصل بينها كبير فرق وهى من صفات أصحاب البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب فلم يدم لهم بعد ضياء شموس المعارف لكن الحق سبحانه وتعالى يؤتى رزق قلوبهم فى كل حين كما قال ـ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ـ فكلما أظلم عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنح لهم فيها لوائح الكشف وتلألأ لوامع القرب وهم فى زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح فهم كما قال القائل :

يأيها البرق الذى يلمع من أى أكناف السما تسطع

فتكون أولا لوائح ثم لوامع ثم طوالع فاللوائح كالبروق ماظهرت حتى استترت كما قال القائل :

افترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه علىّ وداعا

(متع) بالبناء للفاعل وتخفيف الفوقية ارتفع وطال (اللوائح والطوالع واللوامع) هذه الألفاظ كناية عن اختلاف أحوال أرباب السلوك وما يفتح الله به عليهم من المقامات التى يرومون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة (كبير فرق) و إن كان الطوالع أتم من اللوامع .

وأنشدوا : ياذا الذى زار وما زارا كأنه مقتبس نارا

مر بباب الدار مستعجلا ماضره لو دخل الدارا

واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى اللوامع وقتين وثلاثة ولكن كما قالوا :

* والعين باكية لم تشبع النظرا *

وكما قالوا : لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريها برقيب

فاذا لمع قطعك عنك وجمعك به لكن لم يسفر نور نهاره حتى كر عليه عساكر الليل فهؤلاء بين روح ونوح لأنهم بين كشف وستر كما قالوا :

فالليل يشملنا بفاضل برده والصبح يلحفنا رداء مذهبا

الطوالع أبقى وقتا وأقوى سلطانا وأدوم مكثا وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة لكنها موقوفة على خطر الأفول ليست برفيعة الأوج ولا بدائمة المكث ثم أوقات حصولها وشيكة الارتحال وأحوال أفولها طويلة الأذيال وهذه المعانى التى هى اللوائح واللوامع والطوالع تختلف فى القضايا فمنها ماإذا فات لم يبق عنها أثر كالشوارق إذا أفلت فكأن الليل كان دائما ومنها مايبقى عنه أثر فان زال رقمه بقى ألمه وإن غربت أنواره بقيت آثاره فصاحبه بعد سكون غلباته يعيش فى ضياء بركاته فالى أن يلوح ثانيا يرجى وقته على انتظار عوده ويعيش بما وجد فى حين كونه (ومن ذلك البواده والهجوم) البواده مايفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح وإما موجب ترح والهجوم مايرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع منك ويختلف فى الأنواع على حسب قوة الوارد وضعفه فمنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم ومنهم من يكون فوق مايفجؤه حالا وقوة أولئك سادات الوقت كما قيل :

لاتهتدى نوب الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجام

(ومن ذلك التلوين والتمكين) التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقى من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع فاذا وصل تمكن وأنشدوا :

مازلت أنزل فى ودادك منزلا تتحير الألباب دون نزوله

وصاحب التلوين أبدا فى الزيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل وأمارة أنه اتصل أنه بالكلية عن كليته بطل . وقال بعض المشايخ انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فاذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا . قال الأستاذ رحمه الله : يريد به انخناس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة فاذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين. كان الشيخ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان موسى عليه السلام صاحب تلوين فرجع من سماع الكلام واحتاج إلى ستر وجهه لأنه أثر فيه الحال ، ونبينا صلى الله عليه وسلم كان صاحب تمكين فرجع كما ذهب لأنه لم يؤثر فيه ماشاهده تلك الليلة وكان يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام أن النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام قطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه الفجأة وامرأة العزيز كانت أتم فى بلاء يوسف منهن ثم لم تتغير عليها شعرة ذلك اليوم لأنها كانت صاحبة تمكين فى حديث يوسف عليه السلام . قال الأستاذ واعلم أن التغير بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه والسكون من صاحبه لأحد أمرين إما لقوته أو لضعف الوارد عليه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول أصول القوم فى جواز دوام

(البواده) من بدهه الشيء أى فجأه (تصنع) أى تكلف ونظر (فى حديث يوسف) أى قصته لأنها لما توالى عليها النظر إليه وعلى قلبها جماله لم تلتفت إليه وقت خروجه على النسوة اللاتى لم يطقن ماأطاقت وقطعن أيديهن لغلبة شغلهن به على إحساسهن وكن صاحبات تلوين لتغير أحوالهن .

التمكين تتخرج على وجهين أحدهما مالاسبيل إليه لأنه قال صلى الله عليه وسلم « لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال «لى وقت لايسعنى فيه غير ربى عزوجل» أخبر عن وقت مخصوص قال رحمه الله تعالى والوجه الثانى أنه يصح دوام الأحوال لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثر بالطوارق والذى فى الخبر أنه « قال لصافحتكم الملائكة » فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل ومصافحة الملائكة دون ماأثبت لأهل البداية من قوله صلى الله عليه وسلم « إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » وماقال لى وقت فانما قال على حسب فهم السامع وفى جميع أحواله كان قائما بالحقيقة والأولى أن يقال إن العبد مادام فى الترقى فصاحب تلوين يصح فى نعته الزيادة فى الأحوال والنقصان منها فاذا وصل إلى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه بأن لايردّه إلى معولات النفس فهو متمكن فى حاله على حسب محله واستحقاقه ثم مايتحفه الحق سبحانه فى كل نفس فلاحدّ لمقدوراته فهو فى الزيادات متلوّن بل ملون وفى أصل حاله متمكن فأبدا يتمكن فى حالة أعلى مما كان فيها قبله ثم يرتقى عنها إلى مافوق ذلك إذ لاغاية لمقدورات الحق سبحانه فى كل جنس ، فأما المصطلم عن شاهده المستوفى إحساسه بالكلية فالبشرية لامحالة حدّ فاذا بطل عن جملته ونفسه وحسه وكذلك عن المكوّنات بأسرها ثم دامت به هذه الغيبة فهو محوفلا تمكين له إذن ولا تلوين ولامقام ولاحال ومادام بهذا الوصف فلا تشريف ولا تكليف اللهم إلا أن يرد بما يجرى عليه من غير شىء منه فذلك متصرف فى ظنون الخلق مصرف فى التحقيق قال الله تعالى ـ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ـ وبالله التوفيق (ومن ذلك القرب والبعد) أوّل رتبة فى القرب القرب من طاعته والاتصاف فى دوام الأوقات بعبادته . وأما البعد فهو التدنس بمخالفته والتجافى عن طاعته فأوّل البعد بعد عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق بل البعد عن التوفيق هو البعد عن التحقيق قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الحق سبحانه « ماتقرّب إلىّ المتقرّبون بمثل أداء ماافترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى يحبنى وأحبه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا فبى يبصر و بى يسمع الخير فقرب العبد أولا قرب بإيمانه وتصديقه ثم قرب بإحسانه وتحقيقه وقرب الحق سبحانه مايخصه اليوم به من العرفان وفى الآخرة مايكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك بوجوه اللطف والامتنان ولايكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون فقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة و باللطف والنصرة خاصّ بالمؤمنين ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء قال الله تعالى ـ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ـ وقال تعالى ـ ونحن أقرب إليه منكم ـ وقال تعالى : ـ وهو معكم أينما كنتم ـ وقال ـ مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ـ ومن تحقق بقرب الحق سبحانه وتعالى فأدونه دوام مراقبته إياه لأنه عليه رقيب التقوى ثم رقيب الحفاظ والوفاء ثم رقيب الحياء ، وأنشدوا :

كأنّ رقيبا منك يرعى خواطرى ... وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما رمقت عيناى بعدك منظرا ... يسوؤك إلا قلت قد رمقانى
ولا بدرت من فىّ دونك لفظة ... لغيرك إلا قلت قد سمعانى
ولاخطرت فى السرّ بعدك خطرة ... لغيرك إلا عرجا بعنانى
و إخوان صدق قدسئمت حديثهم ... وأمسكت عنهم ناظرى ولسانى

(لأنه قال صلى الله عليه وسلم) لما قال له حنظلة وهو يبكى نافق حنظلة فانا نكون عندك تذكرنا الآخرة والجنة والنار كأنا رأى عين فاذا فارقناك عافسنا الأهل فزال عنا ذلك لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فرشكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة (وماقال) أى وأما ماقال من قوله لى وقت لايسعنى الخ (ثم رقيب الحياء) أى من الوقوع فيما لايليق و إذا وصل العبد إلى دوام مراقبته لربه واشتدّ حياؤه منه حتى لايخرج عن الحق حسن منه أن يقول هذه الأبيات التى ذكرها المصنف بقوله كأنّ رقيبا الخ

وما الزهد أسلى عنهم غير أننى وجدتك مشهودى بكل مكان

وكان بعض المشايخ يخص واحدا من تلامذته بإقباله عليه فقال أصحابه له فى ذلك فدفع إلى كل واحد منهم طيرا وقال اذبحوه بحيث لايراه أحد فمضى كل واحد وذبح الطير بمكان خال وجاء هذا الإنسان والطير معه غير مذبوح فسأله الشيخ فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لايراه أحد ولم يكن موضع إلا والحق سبحانه يراه فقال الشيخ لهذا أقدم هذا عليكم إذ الغالب عليكم حديث الخلق وهذا غير غافل عن الحق ورؤية القرب حجاب عن القرب فمن شاهد لنفسه محلا أو نفسا فهو ممكور به ولهذا قالوا أوحشك الله تعالى من قربه أى من شهودك لقربه فان الاستئناس بقربه من سمات العزة به إذ الحق سبحانه وراء كل أنس وإن مواضع الحقيقة توجب الدهش والمحو وفى قريب من هذا قالوا :

محنتى فيك إننى ماأبالى بمحنتى قربكم مثل بعدكم ثمتى وقت راحتى

وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله كثيرا ماينشد :

ودادكم هجر وحبكم قلى وقربكم بعد وسلمكم حرب

ورأى أبو الحسين النورى بعض أصحاب أبى حمزة فقال أنت من أصحاب أبى حمزة الذى يشير إلى القرب ، إذا لقيته فقل له إن أبا الحسين النورى يقرئك السلام ويقول لك قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد فأما القرب بالذات فتعالى الله الملك الحق عنه فانه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ماتصل به مخلوق ولا انفصل عنه حادث مسبوق به جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل فقرب هو فى نعته محال وهو تدانى الذوات وقرب هو واجب فى نعته وهو قرب بالعلم والرؤية وقرب هو جائز فى وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفضل باللطف (ومن ذلك الشريعة والحقيقة) الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة قيام بما أمر والحقيقه شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قوله إياك نعبد حفظ للشريعة و إياك نستعين إقرار بالحقيقة. واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره والحقيقة أيضا شريعة من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره (ومن ذلك النفس) النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال فكان صاحب الوقت مبتدئا وصاحب الأنفاس منتهيا وصاحب الأحوال بينهما فالأحوال وسائط والأنفاس نهاية الترقى فالأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر وقالوا أفضل العبادات عد الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى وقالوا خلق الله القلوب وجعلها معادن المعرفة وخلق الأسرار وراءها وجعلها محلا للتوحيد فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة و إشارة التوحيد على بساط الاضطرار فهو ميت وصاحبه مسئول عنه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول العارف لايسلم له النفس لأنه لامسامحة تجرى معه والمحب لابد له من نفس إذ لولا أن يكون له نفس لتلاشى لعدم طاقته (ومن ذلك الخواطر) والخواطر خطاب يرد على الضمائر فقد يكون بإلقاء ملك وقد يكون بإلقاء الشيطان ويكون أحاديث النفس ويكون من قبل الحق سبحانه فاذا كان من الملك فهو الإلهام و إذا كان من قبل النفس

(حجاب عن القرب) لأنه إذا رأى قربه منه فقد رأى غيره فكمال قربه أن يشتغل بربه عن قربه منه (أو نفسا) بفتح الفاء (وراء) أى أمام (مشاهدة الربوبية) أى رؤيته إياها بقلبه ويعبر عن ذلك بأن الشريعة معرفة السلوك إلى الله تعالى والحقيقة دوام النظر إليه والطريقة سلوك طريق الشريعة أى العمل بمقتضاها وبعضهم لم يفرق بينها وبين الشريعة والشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة وهما متلازمان لايتم أحدهما إلا بالآخر (إن المعارف) أى معرفة العارفين النفس بفتح الفاء

قيل

قيل له الهواجس و إذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس و إذا كان من قبل الله سبحانه وتعالى و إلقائه فى القلب فهو خاطر حق وجملة ذلك من قبيل الكلام فاذا كان من قبل الملك فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم ولهذا قالوا كل خاطر لايشهد له ظاهر فهو باطل و إذا كان من قبل الشيطان فأكثره مايدعو إلى المعاصى و إذا كان من قبل النفس فأكثره ما يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار كبر أوماهو من خصائص أوصاف النفس واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول من كان قوته معلوما لم يفرق بين الإلهام والوسواس وأن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابدته وأجمع الشيوخ على أن النفس لاتصدق وأن القلب لا يكذب وقال بعض المشايخ إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ولو اجتهدت كل الجهد أن تخاطبك روحك لم تخاطبك وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشىء ألحت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها و يحصل مقصودها اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة ثم إنها تعاودك وتعاودك وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة فخالفته بترك ذلك يوسوس بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له سواء و إنما يريد أن يكون داعيا أبدا إلى زلة ماولا غرض له فى تخصيص واحد دون واحد وقيل كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقة صاحبه وربما يخالفه فأما خاطر يكون من الحق سبحانه فلا يحصل خلاف من العبد له وتكلم الشيوخ فى الخاطر الثانى إذا كان الخاطران من الحق سبحانه هل هو أقوى من الأول فقال الجنيد الخاطر الأول أقوى لأنه إذا بقى رجع صاحبه إلى التأمل وهذا بشرط العلم فترك الأول يضعف الثانى وقال ابن عطاء الثانى أقوى لأنه ازداد قوة بالأول وقال أبو عبد الله بن خفيف من المتأخرين هما سواء لأن كليهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر والأول لايبقى فى حال وجود الثانى لأن الآثار لايجوز عليها البقاء (ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين) هذه عبارات عن علوم جلية فاليقين هو العلم الذى لايتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين نفس اليقين فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان وحق اليقين ما كان بنعت العيان فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف والكلام فى الإفصاح عن هذا بحال تحقيقه يعود إلى ماذكرناه فاقتصرنا على هذا القدر على جهة التنبيه (ومن ذلك الوارد) و يجرى فى كلامهم ذكر الواردات كثيرا والوارد مايرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد وكذلك مالا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضا وارد ثم قد يكون وارد من الحق ووارد من العلم فالواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أوما يتضمن معناه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط إلى غير ذلك من المعانى (ومن ذلك لفظ الشاهد) كثيرا مايجرى فى كلامهم لفظ الشاهد فلان يشاهد العلم وفلان يشاهد الوجد وفلان يشاهد الحال و يريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كأنه يراه و يبصره و إن كان غائبا عنه فكل مايستولى على قلب صاحبه ذكره فهو يشاهده فان كان الغالب عليه العلم فهو يشاهد العلم و إن كان الغالب عليه الوجد فهو يشاهد الوجود ومعنى الشاهد الحاضر فكل ماهو حاضر قلبك فهو شاهدك . وسئل الشبلى عن المشاهدة فقال من أين لنا مشاهدة الحق الحق

(اليقين) هو عند جماعة توالى العلم بالمعلوم حتى لايكاد يغفل عنه فهو أخص من العلم وعن آخرين هو العلم وسيأتى (هذه) الألفاظ (عبارات عن علوم جلية) مع تفاوتها فى القوة بناء على أن اليقين مقول على أفراده بالتشكيك والثلاثة مذكورة فى القرآن قال تعالى — لو تعلمون علم اليقين — وقال — لترونها عين اليقين — وقال — إن هذا لهو حق اليقين — (بحكم البيان) أى بطريق الكشف والنوال

لنا شاهد أشار بشاهد الحق إلى المستولى على قلبه والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر فى قلبه دائما من ذكر الحق ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب يقال إنه شاهده يعنى أنه حاضر قلبه فان المحبة توجب دوام ذكره المحبوب واستيلائه عليه و بعضهم تكلف فى مراعاة هذا الاشتقاق فقال إنما سمى الشاهد من الشهادة فكأنه إذا طالع شخصا بوصف الجمال فان كانت بشريته ساقطة عنه ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال ولا أثرت فيه محبته بوجه فهو شاهد له على فناء نفسه ومن أثر فيه ذلك فهو شاهد عليه فى بقاء نفسه وقيامه بأحكام بشريته إما شاهد له أو شاهد عليه وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم «رأيت ربى ليلة المعراج فى أحسن صورة» أى أحسن صورة رأيتها تلك الليلة لم تشغلنى عن رؤيته تعالى بل رأيت الصور فى الصورة والمنشئ فى الانشاء ويريد به رؤية العلم لا إدراك البصر (ومن ذلك النفس) نفس الشىء فى اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود ولا القالب الموضوع إنما أرادوا بالنفس ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه وأفعاله ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين: أحدهما يكون كسبا له كمعاصيه ومخالفاته . والثانى أخلاقه الدنيئة فهى فى أنفسها مذمومة فاذا عالجها العبد ونازلها تنتفى عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر العادة والقسم الأول من أحكام النفس مانهى عنه نهى تحريم أو نهى تنزيه وأما القسم الثانى من قسمى النفس فسفساف الأخلاق والدنىء منها هذا حده على الجملة ثم تفصيلها فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق المذمومة وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن شيئا منها حسن أو أن لها استحقاق قدر ولهذا عد ذلك من الشرك الخفى ومعالجة الأخلاق فى ترك النفس وكسرها أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التى تتضمن سقوط القوة و إن كان ذلك أيضا من جملة ترك النفس و يحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الأخلاق المعلومة كما أن الروح لطيفة فى هذا القالب هى محل الأخلاق المحمودة وتكون الجملة مسخرا بعضها لبعض والجميع إنسان واحد وكون الروح والنفس من الأجسام اللطيفة فى الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والفم محل الذوق والسميع والبصير والشام والذائق إنما هى الجملة التى هى الانسان فكذلك محل الأوصاف الحميدة القلب والروح ومحل الأوصاف المذمومة النفس والنفس جزء من هذه الجملة والقلب جزء من هذه الجملة والحكم والاسم راجع إلى الجملة (ومن ذلك الروح) الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول إنها الحياة ومنهم من يقول إنها أعيان مودعة فى هذه القوالب .

[لطيفة] أجرى الله العادة بخلق الحياة فى القالب مادامت الأرواح فى الأبدان فالانسان حى بالحياة ولكن الأرواح مودعة فى القوالب ولها ترق فى حال النوم ومفارقة للبدن ثم رجوع إليه وأن الانسان هو الروح والجسد لأن الله سبحانه وتعالى سخر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة والمثاب والمعاقب الجملة والأرواح مخلوقة ومن قال بقدمها فهو مخطىء خطأ عظيما والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة (ومن ذلك السر) يحتمل أنها لطيفة مودعة فى القالب كالأرواح وأصولهم تقتضى أنها محل المشاهدة كما أن الأرواح محل للمحبة والقلوب محل للمعارف وقالوا السر مالك عليه إشراف وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق وعند القوم على موجب مواضعاتهم ومقتضى أصولهم السر ألطف من الروح والروح أشرف من القلب و يقولون الاسرار معتقة عن رق الأغيار

(على مستمر العادة) أى على العادة المستمرة و إن لم يتغير الطبع وهو الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه فالنفس فى طبعها تميل إلى الدنيا لكونها لا تعرف حسنا غيرها فاذا عرفت نقصها وحجبها عن الخيرات نفرت عنها فالذى كان لذيذا لها بمالها وطبعها لم يتغير و إنما تغير ظنها باللذيذ والكريه وكذلك من نظر للأعمال الصالحة ومشقة القيام بها يجد نفسه نافرة عنها فاذا عرف ما يترتب عليها من الفوائد مال إليها وكره تركها فالذى كان كارها له صار مائلا إليه والطبع لم يتغير

من الآثار والأطلال ويطلق لفظ السرّ على ما يكون مصونا مكتوما بين العبد والحق سبحانه فى الأحوال وعليه يحمل قول من قال : أسرارنا بكرلم يفتضها وهم واهم ، ويقولون : صدور الأحرار قبور الأسرار ، وقالوا : لو عرف زرّى سرّى لطرحته ، فهذا طرف من تفسير إطلاقاتهم و بيان عباراتهم فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شرط الإيجاز ، ونذكر الآن أبوابا فى شرح المقامات التى هى مدارج أرباب السلوك ثم بعدها أبوابا فى تفصيل الأحوال على الحدّ الذى يسهله الله بفضله إن شاء الله تعالى .

باب التوبة

قال الله تعالى ـ وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ـ . أخبرنا أبو بكر محمد ابن الحسين بن فورك قال أخبرنا أحمد بن محمود بن خراز قال حدّثنا محمد بن فضل بن جابر قال حدّثنا سعيد بن عبد الله قال حدّثنا أحمد بن زكريا قال حدّثنى أبى قال سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « التائب من الذنب كمن لاذنب له و إذا أحبّ الله عبدا لم يضرّه ذنب ثم تلا ـ إنّ الله يحبّ التوّابين ويحب المتطهرين ـ قيل يارسول الله وماعلامة التوبة ؟ قال الندامة » . أخبرنا علىّ بن أحمد بن عبدان الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبيد الصفار أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر أخبرنا الحكم بن موسى قال حدّثنا غسان ابن عبيد عن أبى عاتكة طريف بن سليمان عن أنس بن مالك أن النبىّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال « مامن شىء أحبّ إلى الله من شاب تائب » التوبة أوّل منزل من منازل السالكين وأوّل مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة فى لغة العرب الرجوع يقال تاب أى رجع فالتوبة الرجوع عما كان مذموما فى الشرع إلى ماهو محمود فيه وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم « الندم التوبة » فأرباب الأصول من أهل السنة قالوا : شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء : الندم على ماعمل من المخالفات ، وترك الزلة فى الحال ، والعزم على أن لايعود إلى مثل ماعمل من المعاصى فهذه الأركان لابدّ منها حتى تصحّ توبته قال هؤلاء : ومافى الخبر « إن الندم توبة » إنما نص على معظمه كما قال صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » أى معظم أركانه عرفة أى الوقوف بها لأنه لاركن فى الحج سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم أركانه الوقوف بها كذلك قوله الندم توبة أى معظم أركانها الندم ومن أهل التحقيق من قال : يكفى الندم فى تحقيق ذلك لأن الندم يستتبع الركنين الآخرين فانه يستحيل تقدير أن يكون نادما على ماهو مصرّ على مثله أوعازم على الإتيان بمثله وهذا معنى التوبة على جهة التحديد والإجمال فأما على جهة الشرح والإبانة فان للتوبة أسبابا وترتيبا وأقساما فأوّل ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحالة ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى مايخطر بباله من زواجر الحق سبحانه بسمع قلبه فانه جاء فى الخبر « واعظ الله فى قلب كل امرىء مسلم » وفى الخبر « إنّ فى البدن لمضغة إذا صلحت صلح جميع الجسد وإذا فسدت فسد جميع البدن ألا وهى القلب » فاذا فكر بقلبه فى سوء مايصنعه وأبصر ماهو عليه من قبيح الأفعال سنح فى قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمدّه الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ فى جميل الرجمى والتأهب لأسباب التوبة فأوّل ذلك هجران إخوان السوء فانهم هم الذين يحملونه على ردّ هذا القصد ويشوّشون عليه صحة هذا العزم ولايتم ذلك إلا بالمواظبة على المشاهدة التى تزيد رغبته فى التوبة وتوفر دواعيه على إتمام ماعزم

(إنّ الله يحبّ التوّابين) لأنه إذا أحبه ألهمه التوبة من الذنب أوغفر له لقوله تعالى ـ إنّ الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ (الندامة) أى على ماتاب منه (على معظمه) أى ركنها والأولى معظمها أى معظم أركانها (ولايتم ذلك إلا بالمواظبة الخ) ومن ذلك خلطته بالصالحين وسماع أقوالهم وأفعالهم المرسومة فى الكتب عنهم

عليه مما يقوّى خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحلّ من قلبه عقدة الإصرار على ماهو عليه من قبيح الأفعال فيقف عن تعاطى المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة فى الحال ويبرم العزيمة على أن لايعود إلى مثلها فى الاستقبال فان مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقا وإن نقض التوبة مرة أومرات وتحمل إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضا كثيرا فلاينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فان لكل أجل كتابا . حكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال : اختلفت إلى مجلس قاص فأثر كلامه فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شىء فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقى كلامه فى قلبى فى الطريق ثم زال ثم عدت ثالثا فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت إلى منزلى فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركى أباسليمان الدارانى . ويحكى عن أبى حفص الحدّاد أنه قال : تركت العمل كذا وكذا مرة فعدت إليه ثم تركنى العمل فلم أعد بعد إليه . وقيل إن أباعمرو بن نجيد فى ابتداء أمره اختلف إلى مجلس أبى عثمان فأثر فى قلبه كلامه فتاب ثم إنه وقعت له فترة فكان يهرب من أبى عثمان إذا رآه ويتأخر عن مجلسه فاستقبله أبوعثمان يوما فحاد أبوعمرو عن طريقه وسلك طريقا أخرى فتبعه أبوعثمان فما زال يقفو أثره حتى لحقه فقال له يابنىّ لاتصحب من لايحبك إلا معصوما إنما ينفعك أبوعثمان فى مثل هذه الحالة قال فتاب أبوعمرو بن نجيد وعاد إلى الإرادة ونفذ فيها . سمعت الشيخ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول: تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة فكان يفكر وقتا لوعاد إلى توبته كيف حكمه ؟ فهتف به هاتف يافلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا قبلناك فعاد الفتى إلى الإرادة ونفذ فيها فاذا ترك المعاصى وحلّ عن قلبه عقدة الإصرار وعزم على أن لايعود إلى مثله فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم فيتأسف على ماعمله ويأخذ فى التحسر على ماصنعه من أحواله وارتكبه من قبيح أعماله فتتم توبته وتصدق مجاهدته واستبدل بمخالطته العزلة وبصحبته مع أخدان السوء التوحش عنهم والخلوة ويصل ليله بنهاره فى التلهف ويعتنق فى عموم أحواله بصدق التأسف يمحو بصوب عبرته آثار عثرته ويأسو بحسن توبته كلوم حوبته يعرف من بين أمثاله بذنوبه ويستدل على صحة حاله بنحوله ولن يتم له شىء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه فان أول منزلة من التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه فان اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم أوسمحت أنفسهم باحلاله والبراءة عنه وإلا فالعزم بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله بصدق الابتهال والدعاء لهم (وللتائبين صفات وأحوال) هى من خصالهم يعد ذلك من جملة التوبة لكونها من صفاتهم لا لأنها من شرط صحتها وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ فى معنى التوبة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول : التوبة على ثلاثة أقسام : أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة ، فجعل التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتهما ، فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ، ومن تاب طمعا فى الثواب فهو صاحب إنابة ، ومن تاب مراعاة للأمر لالرغبة فى الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة ، ويقال أيضا : التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى ـ وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون ـ والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال الله تعالى ـ وجاء بقلب منيب ـ والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى ـ نعم العبد إنه أوّاب ـ . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول : التوبة على ثلاثة معان : أولها الندم . والثانى العزم على ترك المعاودة إلى مانهى الله عنه .

(العمل) أى الكسب (كذا وكذا مرة الخ) يعنى ترك العمل فى الدنيا ليتفرغ للعبادة ثم غلبته محبته فعاد إليه ثم غلب عليه محبة تركه لشدة محبته فى الخير فتركه ثم غلب عليه محبة العمل فعاد إليه ثم قوى حاله فترك العمل ونفرت نفسه عنه ورغب فيما هو أفضل منه وربما كان سبب ترك العمل ماحكى أنه كان يعمل الحديد فى دكانه فغلب عليه حاله فأدخل يده فى الكير وأخذ الحديدة بيده وجعل يطرقها وهو لايشعر فلما كلمه تلميذه فى ذلك رجع إلى حاله وهرب من الشهرة وعلم أن المراد منه ترك ماهو فيه

والثالث السعى فى أداء المظالم . وقال سهل بن عبد الله التوبة ترك التسويف . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عبد الله القرشى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحرث يقول ما قلت قط اللهم إنى أسألك التوبة ولكنى أقول أسألك شهوة التوبة أخبرنا أبوعبد الله الشيرازى قال سمعت أبا عبدالله بن مصلح بالأهواز يقول سمعت ابن زيرى يقول سمعت الجنيد يقول دخلت على السرى يوما فرأيته متغيرا فقلت له مالك فقال دخل على شاب فسألنى عن التوبة فقلت له أن لا تنسى ذنبك فعارضنى وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت إن الأمر عندى ما قال الشاب فقال لم قلت لأنى إذا كنت فى حال الجفاء فنقلنى إلى حال الوفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء فسكت . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبانصر السراج يقول سئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال أن لا تنسى ذنبك وسئل الجنيد عن التوبة فقال أن تنسى ذنبك قال أبو نصر السراج أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم فأما الجنيد فانه أشار إلى توبة المحققين لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره قال وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة فقال التوبة من التوبة . وسئل ذو النون المصرى عن التوبة فقال توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وقال النورى التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على بن محمد التميمى يقول شتان ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات . وقال الواسطى التوبة النصوح لا تبقى على صاحبها أثرا من المعصية سرا ولا جهرا ومن كانت توبته نصوحا لايبالى كيف أمسى وأصبح . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمى يقول سمعت محمد بن الرومى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول إلهى لا أقول تبت ولا أعود لما أعرف من خلقى ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفى ثم إنى أقول لا أعود لعلى أن أموت قبل أن أعود وقال ذو النون الاستغفار من غير إقلاع توبة الكاذبين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت النصر اباذى يقول سمعت ابن يزدانيار يقول وقد سئل عن العبد إذا خرج إلى الله على أى أصل يخرج فقال على أن لايعود إلى ما منه خرج ولا يراعى غير من إليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه فقيل له هذا حكم من خرج عن وجود فكيف حكم من خرج عن عدم فقال وجود الحلاوة فى المستأنف عوضا عن المرارة فى السالف . وسئل البوشنجى عن التوبة فقال إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره فهو التوبة وقال ذو النون حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله ـ وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلاإليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ـ وقال ابن عطاء التوبة توبتان توبة الانابة وتوبة الاستجابة فتوبة الانابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه . وقيل لأبى حفص لم يبغض التائب الدنيا؟ قال لأنها دار باشر فيها الذنوب فقيل له أيضا هى دار أكرمه الله فيها بالتوبة فقال إنه من الذنب على يقين ومن قبول توبته على خطر. وقال الواسطى طرب داود عليه السلام وماهو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه فى أنفاس متصاعدة وهو فى الحالة الثانية أتم منه فى وقت ماستر عليه أمره . وقال بعضهم توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعنى قول أستغفر الله . وسئل أبوحفص عن التوبة فقال ليس للعبد فى التوبة

(التوبة من التوبة) أى من رؤية كونه تائبا فانه لا يرى ذلك إلا إذا كان مفرق القلب ناظرا لنفسه وتوبته فينحجب بذلك فكمال توبته دوام شغله بربه حتى ينسى توبته كما قال الجنيد وقيل معنى كلام رويم ما قالته رابعة أستغفر الله من قلة صدقى من قولى أستغفر الله إشارة إلى التوبة من التقصير فى الأعمال واستغفار عما عساه أن يقع فيها من ذهول أو إهمال أو نحوه مما لايليق بحضرة الحق تعالى

شيء لأن التوبة إليه لامنه وقيل أوحى الله سبحانه إلى آدم يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعانى منهم بدعوتك لبيته كتلبيتك يا آدم أحشر التائبين من القبور مستبشرين بى ضاحكين ودعاؤهم مستجاب . وقال رجل لرابعة إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب علىّ فقالت لا بل لوتاب عليك لتبت.واعلم أن الله تعالى قال ـ إن الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهرين ـ ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين فاذا تاب فانه من القبول على شك لاسيما إذا كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقا لمحبة الحق و إلى أن يبلغ العاصى محلا يجد فى أوصافه أمارة محبة الله إياه مسافة بعيدة فالواجب إذن على العبد إذا علم أنه ارتكب ماتجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار كما قالوا استشعار الوجل إلى الأجل وقال عز من قائل ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ـ وكان من سنته صلى الله عليه وسلم دوام الاستغفار وقال صلى الله عليه وسلم «إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة». سمعت أبا عبدالله الصوفى يقول سمعت الحسين بن على يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها سمعت محمد بن الحسين يقول سمت أباعبدالله الرازى يقول سمعت أباعثمان يقول فى قوله ـ إن إلينا إيابهم ـ قال رجوعهم و إن تمادى بهم الجولان فى المخالفات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أباعمرو الأنماطى يقول ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون : من هذا من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى متى تقولون من هذا من هذا ؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله واستعفى عن الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها .

(زلة واحدة بعد التوبة الخ) لأن الفعل القبيح من العالم بكمال قبحه أقبح من غيره ولهذا كان عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل وذكر السبعين هنا وفى الخبر السابق ليس للتقييد بل للمبالغة كما فى قوله تعالى ـ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ـ وكذا ذكر المائة فى الرواية السابقة

باب المجاهدة

قال الله تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين ـ أخبرنا أبوالحسين على ابن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا العباس بن الفضل الاسقاطى قال أخبرنا ابن كاسب قال أخبرنا ابن عيينة عن على بن زيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد فقال كلمة عدل عند سلطان جائر» ودمعت عينا أبى سعيد . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ـ.واعلم أن من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت أباعثمان المغربى يقول من ظن أنه يفتح له شىء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شىء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو فى غلط . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول من لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة وسمعته أيضا يقول قولهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت الحسين بن غلوبة يقول قال أبو يزيد كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى وخمس سنين كنت مرآة قلبى وسنة أنظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة ثم نظرت فإذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لى فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول

سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول يا معشر الشباب جدّوا قبل أن تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت وكان فى ذلك الوقت لايلحقه الشباب فى العبادة وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت عبدالعزيز النجرانى يقول سمعت الحسن القزاز يقول: بنى هذا الأمر على ثلاثة أشياء أن لاتأكل إلا عند الفاقة ولاتنام إلا عند الغلبة ولاتتكلم إلاعند الضرورة . سمعته يقول سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوزست عقبات أولها أن يغلق باب النعمة و يفتح باب الشدّة . والثانى أن يغلق باب العز و يفتح باب الذل . والثالث أن يغلق باب الراحة و يفتح باب الجهد . والرابع أن يغلق باب النوم و يفتح باب السهر. والخامس أن يغلق باب الغنى و يفتح باب الفقر . والسادس أن يغلق باب الأمل و يفتح باب الاستعداد للموت . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت جدى أباعمرو بن نجيد يقول من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالكسب. واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير انهماك فى الشهوات وامتناع عن الطاعات فإذا جمحت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوى و إذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى و إذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها فما من منازلة أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن وتخمد نيرانه برفق فاذا استحلت شراب الرعونة فضاقت إلاعن إظهار مناقبها والتزين لمن ينظر إليها و يلاحظها فمن الواجب كسر ذلك عليها و إحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة أصلها وقذارة فعلها وجهد العوام فى توفية الأعمال وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال فان مقاساة الجوع والسهر سهل يسير ومعالجة الأخلاق والتنقى عن سفسافها صعب شديد (ومن غوامض آفات النفس) ركونها إلى استحلاء المدح فان من تحسى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفر من أشفاره وأمارة ذلك أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب آل حاله إلى الكسل والفشل. كان بعض المشايخ يصلى فى مسجده فى الصف الأوّل سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار إلى المسجد عائق فصلى فى الصف الأخير فلم ير مدّة فسئل عن السبب فقال كنت أقضى صلاة كذا وكذا سنة صلينها وعندى أنى مخلص فيها لله فداخلنى يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس إياى فى الصف الأخير نوع خجل فعلمت أن نشاطى طول عمرى إنما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتى . ويحكى عن أبى محمد المرتعش أنه قال حججت كذا كذا حجة على التجريد فبان لى أن جميع ذلك كان مشوبا بحظى وذلك أن والدتى سألتنى يوما أن أستقى لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت أن مطاوعة نفسى فى الحجات كانت لحظ وشوب لنفسى إذ لو كانت نفسى فانية لم يصعب عليها ماهو حق فى الشرع وكانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالتها فقالت كنت فى حال الشباب أجد من نفسى نشاطا وأحوالا أظنها قوة الحال فلما كبرت زالت عنى فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا سمعت أبا على الدقاق يقول ماسمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال إنها كانت منصفة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول سمعت يوسف

(ولاتنام) عن فعل الطاعات (عند الضرورة) لعموم خبر «من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه» ولخبر «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» ولقوله تعالى ـ لاخير فى كثير من نجواهم ـ الآية وقال مالك رضى الله عنه من عد كلامه من عمله قل كلامه إلافيما يعنيه وفى الخبر «وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» وعمر الإنسان رأس ماله الذى فيه تجارته فاذا ضيعه فيما لايعنيه فقد أتلفه فيما لاشىء (من كرمت عليه نفسه) ووافقها فيما تحب من الشهوات وترك مشقة الطاعات (أحوالا) إذ لو كانت عين اليقين والعرفان لدامت بدوامها فى كل زمان

ابن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول : ما أعزّ الله عبدا بعز هو أعزّ له من أن يدله على ذلّ نفسه ، وما أذلّ الله عبدا بذل هو أذلّ له من أن يحجبه عن ذلّ نفسه وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت إبراهيم الخوّاص يقول : ماهالنى شىء إلا ركبته وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول : الراحة هو الخلاص من أمانى النفس . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول : دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة : سقم الطبيعة ، وملازمة العادة ، وفساد الصحبة ، فسألته ماسقم الطبيعة ؟ فقال أكل الحرام ، فقلت ماملازمة العادة ؟ فقال النظر والاستماع بالحرام والغيبة . قلت فما فساد الصحبة ؟ قال كلما هاجت فى النفس الشهوة تبعتها ، وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول : سجنك نفسك فاذاخرجت منها وقعت فى راحة أبدية ، وسمعته يقول سمعت محمدا الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول : كان أجل أحكامنا فى مبادى أمرنا فى مسجد أبى عثمان الحيرى الإيثار بما يفتح علينا ، وأن لانبيت على معلوم ، ومن استقبلنا بمكروه لانتقم لأنفسنا بل نعتذر إليه ونتواضع له ، وإذا وقع فى قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول . وقال أبوحفص : النفس ظلمة كلها ، وسراجها سرها ، ونورسراجها التوفيق ، فمن لم يصحبه فى سره توفيق من ربه كان ظلمة كله . قال الأستاذ الإمام القشيرى : معنى قوله سراجها سرها يريد سرّ العبد الذى بينه وبين الله تعالى وهو محل إخلاصه وبه يعرف العبد أن الحادثات بالله لابنفسه ولامن نفسه ليكون متبرئا من حوله وقوته على استدامة أوقاته ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه فان من لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه ولابربه ولهذا قال الشيوخ : من لم يكن له سرّ فهو مصرّ ، وقال أبو عثمان : لايرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئا ، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها فى جميع الأحوال . وقال أبو حفص : ما أسرع هلاك من لايعرف عيبه فان المعاصى بريد الكفر ، وقال أبو سليمان : ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبت به ، وقال السرى : إياكم وجيران الأغنياء ، وقراء الأسواق ، وعلماء الأمراء . وقال ذو النون المصرى : إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء : ضعف النية بعمل الآخرة . والثانى صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم . والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل . والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق . والخامس اتبعوا أهواءهم ، ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم . والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ، ودفنوا كثير مناقبهم .

باب الخلوة والعزلة

أخبرنا أبو الحسن علىّ بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدّثنا عبد العزيز بن معاوية قال حدّثنا القعنبى قال حدّثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن بعجة ابن عبد الله بن بدر الجهنى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من خير معايش الناس كلهم رجلا آخذا بعنان فرسه فى سبيل الله إن سمع قرعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغى الموت أو القتل فى مظانه أو رجلا فى غنيمة له فى رأس شعفة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فى خير » قال الأستاذ : الخلوة صفة أهل الصفوة ، والعزلة من أمارات الوصلة ، ولابدّ للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم فى نهايته من

(أمانى النفس) أى شهواتها واختياراتها فكمال الراحة فى الدين بلوغ العبد إلى قيام التوكل والرضا ولايتمّ ذلك له إلا بعلمه أن الحق سبحانه أرحم به وأعلم بما يصلحه (تبعتها) فالصحبة النافعة معها التى بها نجاتها أن يخالف العبد هواها ويحملها على ماطلبه منها ربها فحصل من مجموع ذلك أن الفساد دخل من أكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى (إلا فى خير) هذا الخبر روى بألفاظ مختلفة وكلها متفقة على أن البعد عن الناس للتفرّغ للعبادات أفضل من الاختلاط بهم على مايأتى بيانه . والشعفة بفتح العين رأس الجبل وجمعها شعف وشعوف وشعاف وشعفات ذكره الجوهرى

الخلوة لتحققه بأنسه ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فان الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه والثانى شهود مزيته على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر ورؤى بعض الرهبان فقيل له إنك راهب فقال لا بل أنا حارس كلب إن نفسى كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها ومر إنسان ببعض الصالحين فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه فقال الرجل لم تجمع عنى ثيابك ليست ثيابى نجسة فقال الشيخ وهمت فى ظنك ثيابى هى النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك لالكى تنجس ثيابى (ومن آداب العزلة) أن يحصل من العلوم مايصحح به عقد توحيده لكى لايستهويه الشيطان بوساوسه ثم يحصل من علوم الشرع مايؤدى به فرضه ليكون بناء أمره على أساس محكم والعزلة فى الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة فالتأثير لتبديل الصفات لا للتنائى عن الأوطان ولهذا قيل من العارف ؟ قالوا كائن بائن يعنى كائن مع الخلق بائن عنهم بالسر . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول البس مع الناس مايلبسون وتناول مما يأكلون وانفرد عنهم بالسر وسمعته يقول جاءنى إنسان وقال جئتك من مسافة بعيدة فقلت ليس هذا الحديث من حيث قطع المسافة ومقاساة الأسفار فارق نفسك بخطوة وقد حصل مقصودك . ويحكى عن أبى يزيد قال رأيت ربى عز وجل فى المنام فقلت كيف أجدك قال فارق نفسك وتعال . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت أباعثمان المغربى يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغى أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات إلا رضاربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه فى فتنة أو بلية وقيل الانفراد فى الخلوة أجمع للدواعى السلوة وقال يحيى ابن معاذ انظر أنسك بالخلوة أو أنسك معه فى الخلوة فان كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها وإن كان أنسك به فى الخلوة استوت لك الأماكن فى الصحارى والبرارى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل إلى زيارة أبى بكر الوراق فلما أراد أن يرجع قال له أوصنى فقال وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة والقلة وشرهما فى الكثرة والاختلاط وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الجريرى وقد سئل عن العزلة فقال هى الدخول بين الزحام وتمنع سرك أن لايزاحموك وتعزل نفسك عن الآثام ويكون سرك مربوطا بالحق وقيل من آثر العزلة حصل العزلة وقال سهل لاتصح الخلوة إلا بأكل الحلال ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله وقال ذو النون لم أرشيئا أبعث على الاخلاص من الخلوة وقال أبو عبد الله الرملى ليكن خدنك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك المناجاة فاما أن تموت وإما أن تصل إلى الله وقال ذو النون ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله . سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة وقال مكحول إن كان فى مخالطة الناس خير فان فى العزلة السلامة وقال يحيى ابن معاذ الوحدة جليس الصديقين . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول سمع الشبلى يقول الافلاس الافلاس ياناس فقيل له ياأبا بكر ماعلامة الافلاس قال من علامة الافلاس الاستئناس بالناس وقال يحيى بن أبى كثير من خالط الناس داراهم ومن داراهم راآهم وقال سعيد بن حرب دخلت على مالك ابن مسعود بالكوفة وهو فى داره وحده فقلت له أمانستوحش وحدك فقال ما كنت أرى أن أحدا يستوحش مع الله . سمعت أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أباعمرو الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا

(لتحققه بأنسه) تعالى لأنها لم تجمع همته على مقصوده وانفراده بمحبوبه لتكمل مناجاته ويترقى فى درجات قربه، وحقيقة الخلوة الانقطاع من الخلق إلى الحق لأنه سفر من النفس إلى القلب وهو من القلب إلى الروح ومن الروح إلى السر ومن السر إلى واهب الكل (أيسر) على العبد (من مداراة الخلطة) لأن مكابدة العزلة اشتغال بالنفس خاصة وردها عما تشتهيه بخلاف مداراة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم وأغراضهم ومايبدو منهم من الأذى ومايحتاج إليه من الحلم والصفح (فى العزلة السلامة) من الشر والسلامة منه آكد من تحصيل الخير نعم إن وجبت الخلطة لتحصيل علم أو عمل لم تصح الخلوة

زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول قال أبو يعقوب السوسى الانفراد لايقوى عليه إلا الأقوياء ولأمثالنا الاجتماع أوفر وأنفع يعمل بعضهم على رؤية بعض وسمعته يقول سمعت أبا عثمان سعيد بن أبى سعيد يقول سمعت أبا العباس الدامغانى يقول أوصانى الشبلى فقال الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت . وجاء رجل إلى شعيب بن حرب فقال له ماجاء بك فقال أكون معك قال ياأخى إن العبادة لاتكون إلا بالشركة ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشىء . حكى أن بعضهم قيل له ماأعجب مالقيت فى سياحتك فقال له لقينى الخضر فطلب منى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى وقيل لبعضهم ههنا أحد تستأنس به فقال نعم ومد يده إلى مصحفه ووضعه فى حجره وقال هذا وفى معناه أنشدوا :

وكتبك حولى لاتفارق مضجعى وفيها شفاء للذى أنا كاتم

وقال رجل لذى النون المصرى متى تصح لى العزلة فقال إذا قويت على عزلة نفسك وقيل لابن المبارك مادواء القلب فقال قلة الملاقاة للناس وقيل إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة.

باب التقوى

(الصبر عليه) أى على العمل لأن الله تعالى يبتلى عبده بالمرض والعافية والفقر والغنى وغيرها فان صبر على المشق المؤلم أثابه وإن شكر على النعم أثابه

قال الله تعالى ـ ان إكرمكم عند الله أتقاكم ـ أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال حدثنا ابن عبد الأعلى القرشى قال حدثنا يعقوب العمى عن ليث عن مجاهد عن أبى سعيد الخدرى قال «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يانبى الله أوصنى فقال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلم وعليك بذكر الله فانه نور لك » وأخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا عباس بن الفضل الاسقاطى قال حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا أبو هرمز نافع بن هرمز قال سمعت أنسا يقول «قيل يانبى الله من آل محمد قال كل تقى» فالتقوى جماع الخيرات وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته يقال اتقى فلان بترسه وأصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيآت ثم بعده اتقاء الشبهات ثم تدع بعده الفضلات كذلك . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول سمعته يقول ولكل قسم من ذلك باب وجاء فى تفسير قوله عز وجل ـ اتقوا الله حق تقاته ـ أن معناه أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت أحمد بن عاصم يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لامعين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى ولاعمل إلا الصبر عليه وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الكتانى يقول قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة على التقوى سمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة وقال النصراباذى التقوى أن يتقى العبد ماسواه تعالى وقال سهل من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها وقال النصراباذى من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه يقول ـ وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ـ وقال بعضهم من تحقق فى التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا وقال أبو عبد الله الروذبارى التقوى مجانبة مايبعدك عن الله وقال ذو النون المصرى التقى من لايدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفا مع الله موقف الاتفاق . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول للتقوى ظاهر وباطن فظاهره

محافظة الحدود و باطنه النية والإخلاص وقال ذى النون :

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبه كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر على ماقد فات. وقال طلق بن حبيب التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمدا الفراء يحكى عن أبى حفص أنه قال التقوى بالحلال المحض لاغير وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا الحسين الزنجانى يقول من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه وقال الواسطى التقوى أن يتقى من تقواه يعنى من رؤية تقواه والمتقى مثل ابن سيرين اشترى أربعين حبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أى حب أخرجتها فقال لاأدرى فصبها كلها ومثل أبى يزيد اشترى بهمذان حب القرطم ففضل منه شئ فلما رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين فرجع إلى همذان فوضع النملتين . ويحكى أن أبا حنيفة كان لايجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول فى الخبر « كل قرض جرّ نفعا فهو ربا» وقيل إن أبا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال صاحبه تعلق الثوب فى جدار الكرم فقال لا لاتغرز الوتد فى جدار الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال لا إنه يكسر الأغصان فقال نبسطه على الاذخر فقال لا إنه علف الدواب لانستره عنها فولى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر وقيل إن أبا يزيد دخل يوما الجامع فغرز عصاه فى الأرض فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه فى الأرض فألقتها فانحنى الشيخ وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحله وقال كان السبب فى انحنائك تفريطى فى غرز عصاى حيث احتجت إلى أن تنحنى ورؤى عتبة الغلام بمكان يتصبب عرقا فى الشتاء فقيل له فى ذلك فقال إنه مكان عصيت الله فيه فسئل عنه فقال كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل بها ضيف لى يده ولم أستحل من صاحبه وقال إبراهيم بن أدهم بتّ ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر إبراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى حط الله درجة من درجاته فقال لم قال لأنه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال فلم يردّها على صاحبها قال إبراهيم فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت إلى بيت المقدس وبتّ فى الصخرة فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر إبراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى ردّ الله مكانه ورفعت درجته وقيل التقوى على وجوه للعامة تقوى الشرك وللخاصة تقوى المعاصى وللأولياء تقوى التوسل بالأفعال وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال إذ تقواهم منه إليه وعن أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه قال: سادة الناس فى الدنيا الأسخياء وسادة الناس فى الآخرة الأتقياء أخبرنا علىّ بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسين البصرى قال أخبرنا بشر بن موسى قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره فى أول مرة أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه» . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول كان الجنيد جالسا مع رويم والجريرى وابن عطاء فقال الجنيد مانجا من نجا إلا بصدق اللجا

(للذكر) فى نسخة بالذكر لأن العيش الطيب إنما يكون مع حياة القلب وحياته بزوال الغفلة عنه ودوام اليقظة لما خلق له و إذا صلح القلب صلح الجسد كله و إذا فسد فسد الجسد كله و إن صلحا معا ووجد القلب من يقصد مقصده تظافرت الهمم على نيل المطلوب فهؤلاء القوم إذا وجدوا حملوا الضعيف بقوتهم وعاشت همته برؤيتهم ورؤية مجاهدتهم

قال الله تعالى ـ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ـ وقال رويم مانجا من نجا إلا بصدق التقى قال الله تعالى ـ و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم ـ الآية وقال الجريرى مانجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء قال الله تعالى ـ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ـ وقال ابن عطاء مانجا من نجا إلا بتحقيق الحياء قال الله تعالى ـ ألم يعلم بأن الله يرى ـ وقال الأستاذ الإمام : مانجا من نجا إلا بالحكم والقضاء قال الله تعالى ـ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ـ الآية وقال أيضا مانجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتباء قال الله تعالى ـ واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ـ .

باب الورع

أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال أخبرنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة قال حدثنا أحمد بن أبى طاهر الخراسانى قال حدثنا يحيى بن العيزار قال حدثنا محمد بن يوسف الفريابى عن سفيان عن الأجلح عن عبد الله ابن بريدة عن أبى الأسود الدؤلى عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه » قال الأستاذ الامام رضى الله عنه : أما الورع فانه ترك الشبهات كذلك قال إبراهيم بن أدهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لايعنيك هو ترك الفضلات وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة « كن ورعا تكن أعبد الناس » . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول كان أهل الورع فى أوقاتهم أربعة حذيفة المرعشى و يوسف بن أسباط و إبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا فى الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل وسمعته يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سمعت الشبلى يقول الورع أن تتورع عن كل ماسوى الله تعالى وسمعته يقول أخبرنا أبو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال حدثنا إسحق ابن خلف قال الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة لأنك تبذلهما فى طلب الرياسة وقال أبو سليمان الدارانى الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا وقال أبو عثمان ثواب الورع خفة الحساب وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حدّ العلم من غير تأويل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت عبد الله بن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت على بن موسى الناهرتى يقول وقع من عبد الله بن مروان فلس فى بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له فى ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت ابن غلوبة يقول سمعت يحيى ابن معاذ يقول الورع على وجهين ورع فى الظاهر وهو أن لايتحرك إلا لله تعالى وورع فى الباطن وهو أن لايدخل قلبك سواه تعالى وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء وقيل من دق فى الدين نظره جل فى القيامة خطره وقال ابن الجلاء من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام النص وقال يونس بن عبيد الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس فى كل طرفة وقال سفيان الثورى مارأيت أسهل من الورع ماحاك فى نفسك تركته وقال معروف الكرخى

(الله يرى) أى ماصدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه وهذه الأقوال الأربعة ناظرة إلى أسباب النجاة المكتسبة من العبد والثانى منها وهو قول رويم مستلزم للبقية (الورع) هو ترك الشبهات (الفضلات) أى الحلال وما لا تدعو إليه حاجة دينية و يقال له الزهد (فى باب من الحرام) لا سيما فى المطعم لخبر « كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » والمراد بالسبعين المبالغة فى كثرة ترك الحلال و يحتمل إرادة العدد المخصوص كما قيل فى قوله تعالى ـ إن تستغفر لهم سبعين مرة ـ (كان عليه اسم الله تعالى) فيه تنبيه على كمال تعظيمه لربه حتى عظم ما عليه اسمه ومن ذلك ماحكى أن بشر بن الحرث إنما رفعه الله على أقرانه لكونه وجد رقعة فيها اسم الله فاشترى طيبا وطيبها ورفعه فى موضع فرأى فى منامه أنه قيل له لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة (إلى الجليل من العطاء) لأن العبد إنما يشرف عند مولاه بعلو همته فى طلبه لما يرضاه فمن دق نظره فيما يخشاه نال من فضل الله أشرف عطاياه ومن لا فلا (جل) عظم (خطره) أى قدره ومنزلته

احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم وقال بشر بن الحرث أشد الأعمال ثلاثة الجود فى القلة والورع فى الخلوة وكلمة الحق عند من يخاف منه و يرجى وقيل جاءت أخت بشر الحافى إلى أحمد ابن حنبل وقالت إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية و يقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها فقال أحمد من أنت عافاك الله تعالى فقالت أخت بشر الحافى فبكى أحمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لاتغزلى فى شعاعها وقال على العطار مررت بالبصرة فى بعض الشوارع فاذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أماتستحون من هؤلاء المشايخ فقال صبى من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم . وقيل إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح له أن يأكل شيئا من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى وقت الرطب قال ياأهل البصرة هذا بطنى مانقص منه شىء ولازاد فيكم وقيل لابراهيم بن أدهم ألاتشرب من ماء زمزم فقال لوكان لى دلو لشربت . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول كان الحرث المحاسبى إذامدّ يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غيرحلال وقيل إن بشرا الحافى دعى إلى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه إن يده لاتمتد إلى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب الدعوة أن يدعو هذا الشيخ أخبرنا أحمد بن محمد ابن يحيى الصوفى قال سمعت عبدالله بن على بن يحيى التميمى قال سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول سئل سهل بن عبدالله عن الحلال الصافى فقال هوالذى لايعصى الله تعالى فيه وقال سهل الحلال الصافى الذى لاينسى الله فيه ودخل الحسن البصرى مكة فرأى غلاما من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه قدأسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال ماملاك الدين فقال الورع قال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة وأوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام : لم يتقرب إلىّ المتقربون بمثل الورع والزهد وقال أبوهريرة جلساء الله تعالى غدا أهل الورع والزهد وقال سهل بن عبدالله من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع . وقيل حمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال إنما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين وسئل أبوعثمان الحيرى عن الورع فقال كان أبو صالح حمدون عند صديق له وهو فى النزع فمات الرجل فنفث أبوصالح فى السراج فقيل له فى ذلك فقال إلى الآن كان الدهن له فى المسرجة ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا غيره . وقال كهمس أذنبت ذنبا أبكى عليه منذ أربعين سنة وذلك أنه زارنى أخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لى حتى غسل يده ولم أستحله . قيل وكان رجل يكتب رقعة وهو فى بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله أن البيت بالكراء ثم إنه خطر بباله أنه لاخطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب مايلقاه غدا من طول الحساب ورهن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلاله عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين وقال خذ أيهما لك فقال أحمد أشكل على سطلى فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وأنا أردت أن أجر بك فقال لاآخذه ومضى وترك السطل عنده وقال سيب بن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة فى زرع قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها . وقيل رجع ابن المبارك من مرو إلى الشأم فى قلم استعاره فلم يرده على صاحبه . واستأجر النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فأخذ السوط فقيل له لوحولت الدابة إلى الموضع الذى فيه سقط السوط فأخذته فقال إنما استأجرتها لأمضى هكذا لا هكذا . وقال أبو بكر الدقاق تهت فى تيه بنى إسرائيل خمسة

(ولم أستحله) أى قبل أخذى له فبكاؤه على أخذه مع علمه بتحريمه وترك الاستحلال قبل أخذه وفى ذلك دلالة على غاية احترازه من الذنوب المستحقرة عند الناس (ببابه) أى بقلبه (من طول الحساب) فى ذلك تنبيه على رفعة منزلة هذا الرجل عند الله تعالى لكونه نبه هذا العبد فى مثل ذلك (وترك السطل عنده) تورعا وتعريفا له بأن أهل الدين والزهد لايلتفتون لشىء من الدنيا ليتأدب بذلك ولا يمتحن أحدا

عشر يوما ، فلما وافيت الطريق استقبلنى جندىّ فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة ، وقيل خاطت رابعة شقا فى قميصها فى ضوء شعلة سلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها . ورؤى سفيان الثورى فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة إلى شجرة ، فقيل له بم نلت هذا ؟ فقال بالورع . ووقف حسان بن أبى سنان على أصحاب الحسن فقال : أىّ شىء أشدّ عليكم ؟ قالوا الورع ، فقال ولا شىء أخفّ علىّ منه ، فقالوا فكيف ، فقال لم أرو من نهركم منذ أربعين سنة وكان حسان بن أبى سنان لاينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب ماء باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد موته ، فقيل له مافعل الله بك فقال خيرا إلاأنى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردّها وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين وتعبد أربعين سنة وكان ابتداء أمره كيالا فلما مات رؤى فى المنام ، فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال خيرا غير أنى محبوس عن الجنة وقد أخرج على من غبار القفيز أربعين قفيزا ومرّ عيسى ابن مريم عليهما السلام بمقبرة فنادى رجلا منها فأحياه الله تعالى فقال من أنت ؟ فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لإنسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به منذ متّ وتكلم أبو سعيد الخراز فى الورع فمرّ به عباس بن المهتدى ، فقال : يا أبا سعيد أماتستحى تجلس تحت سقف أبى الدوانيق وتشرب من بركة زبيدة وتتعامل بالدراهم المزيفة ، وتتكلم فى الورع ؟ .

(من الآيات الواردة الخ) كقوله تعالى ـ و إن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ـ وكخبر «لوكانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء» وخبر البخارى «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضى و إن لم يعط لم يرض» وخبر الترمذى « ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل مايجعل أحدكم أصابعه فى اليم فلينظر بماذا يرجع» وهو يدل لمن قال الفقير الصابر أفضل من الغنىّ الشاكر

باب الزهد

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى قال أخبرنا أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرى ببغداد . قال حدّثنا جعفر بن محاشع قال حدّثنا زيد بن إسمعيل قال حدّثنا كثير بن هشام قال حدّثنا الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد عن أبى فروة عن أبى خلاد وكانت له صحبة قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهدا فى الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة » قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رحمه الله : اختلف الناس فى الزهد فمنهم من قال الزهد فى الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى فاذا أنعم الله سبحانه على عبده بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه له باختياره لايقدم على إمساكه بحق إذنه ، ومنهم من قال الزهد فى الحرام واجب وفى الحلال فضيلة فان إقلال المال والعبد صابر فى حاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه أتمّ من توسعه وتبسطه فى الدنيا ، وأن الله تعالى زهد الخلق فى الدنيا بقوله ـ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ـ وغير ذلك من الآيات الواردة فى ذمّ الدنيا والتزهيد فيها ، ومنهم من قال إذا أنفق ماله فى الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه فى حال العسر فحينئذ يكون زهده فى المال الحلال أتم ، ومنهم من قال ينبغى للعبد أن لايختار ترك الحلال بتكلفه ولاطلب الفضول مما لايحتاج إليه و يراعى القسمة فان رزقه الله سبحانه وتعالى مالا من حلال شكره و إن وقفه الله تعالى على حدّ الكفاية لم يتكلم فى طلب ماهو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال الحلال (وتكلموا فى معنى الزهد) فكل نطق عن وقته وأشار إلى حدّه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول حدّثنا أحمد بن إسمعيل الأزدى قال حدّثنا عمران بن موسى الاسفنجى قال حدّثنا الدورقى قال حدّثنا وكيع قال قال سفيان الثورى : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء . وسمعته يقول سمعت سعيد بن أحمد يقول سمعت عباس بن عصام يقول

سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول إن الله سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم . وقيل الزهد من قوله سبحانه وتعالى ـ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ـ فالزاهد لايفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها . وقال أبو عثمان الزهد أن تترك الدنيا ثم لاتبالى بمن أخذها . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الزهد أن تترك الدنيا كما هى لاتقول أبنى رباطا أو أعمر مسجدا . وقال يحيى بن معاذ الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح . وقال ابن الجلاء الزهد والنظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر فى عينك فيسهل عليك الإعراض عنها . وقال ابن خفيف علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج عن الملك . وقال أيضا الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدى من الأملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الآخرة . وقيل من صدق فى زهده أتته الدنيا راغمة . ولهذا قيل لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لايريدها . وقال الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد وقال أبو سليمان الدارانى الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغى أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم وقد اختلف السلف فى الزهد فقال سفيان الثورى وأحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهم الزهد فى الدنيا إنما هو قصر الأمل وهذا الذى قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعانى الموجبة له وقال عبد الله بن المبارك الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخى ويوسف بن أسباط وهذا أيضا من أمارات الزهد فانه لايقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله تعالى وقال عبد الواحد بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم . وقال أبو سليمان الدارانى الزهد ترك مايشغل عن الله تعالى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد وقد سأله رويم عن الزهد فقال استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب . وقال سرى لايطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وسئل الجنيد عن الزهد فقال خلو اليد من الملك والقلب من التتبع . وسئل الشبلى عن الزهد فقال أن تزهد فيما سوى الله تعالى . وقال يحيى بن معاذ لايبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال : عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة . وقال أبو حفص الزهد لا يكون إلا فى الحلال ولا حلال فى الدنيا فلا زهد . وقال أبو عثمان إن الله تعالى يعطى الزاهد فوق مايريد ويعطى الراغب دون مايريد ويعطى المستقيم موافقة ما يريد . وقال يحيى بن معاذ الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر . وقال الحسن البصرى الزهد فى الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض مافيها . وقيل لبعضهم ماالزهد فى الدنيا قال ترك مافيها على من فيها . وقال رجل لذى النون المصرى متى أزهد فى الدنيا فقال إذا زهدت فى نفسك . وقال محمد بن الفضل إيثار الزهاد عند الاستغناء وإيثار الفتيان عند الحاجة قال الله تعالى ـ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ وقال الكتانى الشىء الذى لم يخالف فيه كوفى ولا مدنى ولا عراقى ولا شامى الزهد فى الدنيا وسخاوة النفس والنصيحة للخلق يعنى أن هذه الأشياء لايقول أحد إنها غير محمودة . وقال رجل ليحيى بن معاذ متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك فأما مالم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك

(إذا اشتغل عن نفسه) بغيرها من شهواتها الدنيوية لأن شغله بنفسه إنما هو بإعراضها عن محبوباتها الدنيوية فاذا عدل عنها إلى غيرها فقد اشتغل عنها وعن أعراضها عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد فى شىء من الدنيا وبقى عليه شىء لم يزهد فيه لم يكمل زهده ولذلك لما سئل الجنيد رحمه الله عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا التنعم بمص نواة قال المكاتب عبد مابقى عليه درهم وأشار به إلى من بقى عليه ماذكر

أن تفتضح وقال بشر الحافى الزهد ملك لايسكن إلافى قلب خلى. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن محمد بن الأشعث البيكندى يقول من تكلم فى الزهد ووعظ الناس ثم رغب فى مالهم رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه وقيل إذا زهد العبد فى الدنيا وكل الله تعالى به ملكا يغرس الحكمة فى قلبه وقيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا فقال لزهدها فىّ . وقال أحمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك مايشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول قيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا قال لما زهدت فى أكثرها أنفت من الرغبة فى أقلها وقال يحيى بن معاذ الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها و ينتف شعرها و يخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله تعالى لايلتفت إليها . سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا الطيب السامرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول مارست كل شىء من أمر الزهد فلم أر منه ماأريد إلا الزهد فى الناس فانى لم أبلغه ولم أطقه وقيل ماخرج الزاهدون إلا إلى أنفسهم لأنهم تركوا النعيم الفانى للنعيم الباقى . وقال النصراباذى الزهد حقن دماء الزاهدين وسفك دماء العارفين وقال حاتم الأصم الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه والمتزهد يذيب نفسه قبل كيسه . سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا على بن الحسين الموصلى قال حدثنا أحمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد .

باب الصمت

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانى قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان قال حدثنا أحمد ابن يوسف السلمى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا بشر ابن موسى الأسدى قال حدثنا محمد بن سعيد الأصبهانى عن ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة عن عقبة بن عامر قال قلت «يارسول الله ماالنجاة قال احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك». قال الأستاذ رحمه الله : الصمت سلامة وهو الأصل وعليه ندامة إذ ورد عنه الزجر فالواجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهى والسكوت فى وقته صفة الرجال كما أن النطق فى موضعه من أشرف الخصال سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس والصمت من آداب الحضرة قال الله تعالى ـ و إذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ـ وقال تعالى ـ خبرا عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فلما حضروه قالوا أنصتوا ـ وقال تعالى ـ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ـ وكم بين عبد سكت تصاونا عن الكذب والغيبة و بين عبد سكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه ، وفى معناه أنشدوا :

أفكر ماأقول إذا افترقنا ... وأحكم دائبا حجج المقال
فأنساها إذا نحن التقينا ... فأنطق حين أنطق بالمحال

وأنشدوا

(الصمت) يقال صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا أى سكت (أخبرنا عبد الله الخ) رواه الشيخان دلّ على أن المقصود من الكلام قول الخير فان لم يعلم العبد أن فى كلامه خيرا فالصمت خير له وقد قال تعالى ـ لاخير فى كثير من نجواهم إلامن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ـ « وسئل صلى الله عليه وسلم فيم النجاة فقال : فى حفظ اللسان » وروى الترمذى خبر «من صمت نجا» .

وأنشدوا : فياليل كم من حاجة لى مهمة إذا جئتكم لم أدر ياليل ماهيا
وأنشدوا : وكم حديث لك حتى إذا مكنت من لقياك أنسيته
وأنشدوا : رأيت الكلام يزين الفتى والصمت خير لمن قد صمت
فكم من حروف تجر الحتوف ومن ناطق ودّ أن لو سكت

والسكوت على قسمين : سكوت بالظاهر وسكوت بالقلب والضمائر فالمتوكل يسكت قلبه عن تقاضى الأرزاق والعارف يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق فهذا بجميل صنعه واثق وهذا بجميع حكمه قانع وفى معناه قالوا :

تجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقه

ور بما يكون سبب السكوت حيرة البديهة فانه إذا ورد كشف عن وصف البغتة خرست العبارات عند ذلك فلا بيان ولا نطق وطمست الشواهد هنالك فلا علم ولا حس قال الله تعالى ـ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا ـ فأما إيثار أرباب المجاهدة السكوت فلما علموا ما فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من حفظ النفس و إظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق وغير هذا من آفات الخلق وذلك نعت أرباب الرياضات وهو أحد أركانهم فى حكم المنازلة وتهذيب الخلق وقيل إن داود الطائى لما أراد أن يقعد فى بيته اعتقد أن يحضر مجالس أبى حنيفة إذ كان تلميذا له و يقعد بين أضرابه من العلماء ولا يتكلم فى مسئلة فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة قعد فى بيته عند ذلك وآثر العزلة وكان عمر بن عبد العزيز إذا كتب كتابا فاستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الرازى قال حدثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال سمعت أحمد بن الفتح يقول سمعت بشر بن الحرث يقول إذا أعجبك الكلام فاصمت و إذا أعجبك الصمت فتكلم وقال سهل ابن عبد الله لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت وقال أبو بكر الفارسى من لم يكن الصمت وطنه فهو فى الفضول و إن كان صامتا والصمت ليس بمخصوص على اللسان لكنه على القلب والجوارح كلها وقال بعضهم من لم يستغنم السكوت فاذا نطق نطق بلغو . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ممشاذ الدينورى يقول الحكماء وربوا الحكمة بالصمت والتفكر . وسئل أبو بكر الفارسى عن صمت السر فقال : ترك الاشتغال بالماضى والمستقبل وقال أبو بكر الفارسى إذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه ومالابدّ منه فهو فى حدّ الصمت و يروى عن معاذ بن جبل أنه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك تعالى كثيرا لعلّ قلبك يرى الله تعالى . وقيل لذى النون المصرى من أصون الناس لنفسه ؟ قال أملكهم للسانه وقال ابن مسعود مامن شىء بطول السجن أحق من اللسان وقال على بن بكار جعل الله تعالى لكل شىء بابين وجعل للسان أربعة أبواب فالشفتان مصراعان والأسنان مصراعان وقيل إن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كان يمسك فى فيه حجرا كذا كذا سنة ليقلّ كلامه وقيل إن أبا حمزة البغدادى كان حسن الكلام فهتف به هاتف تكلمت فأحسنت بقى أن تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك حتى مات ومات قريبا من هذه الحالة على رأس أسبوع أو أقل أو أكثر ور بما يكون السكوت يقع على المتكلم تأديبا له لأنه أساء أدبه فى شىء . كان الشبلى إذا قعد فى حلقته ولا يسألونه يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ور بما يقع السكوت على المتكلم لأن فى القوم من هو أولى منه بالكلام سمعت ابن السماك يقول : كان بين شاه الكرمانى و يحيى بن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر

(إذا أعجبك الكلام الخ) لأن فى ذلك مخالفة لهوى النفس وردّا لها عن هواها و إعجابها بأحدهما يكون إما لاستحسانها لشىء ولو كان ما استحسنته لا يخالف الشرع لكنها يحملها الشغل به عما هو أولى منه أو لإضافة ما استحسنه إليها ألفها ومدحها عليه ونسى كونه من فضل الله (و إن كان صامتا) بلسانه لأنه تارة يشير إلى مقصوده بيده وتارة بعينه وتارة بغيرها كما مر ولهذا قال والصمت الخ .

مجلسه فقيل له فى ذلك فقال الصواب هذا فما زالوا به حتى حضر يوما مجلسه وقعد ناحية لايشعر به يحيى بن معاذ فلما أخذ يحيى فى الكلام سكت ثم قال : ههنا من هو أولى بالكلام منى وأرتج عليه فقال شاه قلت لكم الصواب أن لاأحضر مجلسه ور بما يقع السكوت على المتكلم لمعنى فى الحاضرين وهو أنه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله ور بما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم أن بعض الحاضرين كان معلوم الله تعالى من حاله أنه يسمع ذلك الكلام فيكون فتنة له إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون أولأنه يحمل نفسه مالايطيق فيرحمه الله تعالى بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام إما صيانة له أوعصمة عن غلطه وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن إذ لاتخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول اعتللت مرة بمرو فاشتقت أن أرجع إلى نيسابور فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى لايمكنك أن تخرج من هذا البلد فان جماعة من الجن قد استحلوا كلامك و يحضرون مجلسك فلأجلهم تجلس ههنا . وقال بعض الحكماء : إنما خلق للانسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع و يبصر أكثر مما يقول . ودعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فلما جلس أخذوا فى الغيبة فقال عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار إلى قوله تعالى ـ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ـ وقال بعضهم الصمت لسان الحلم وقال بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان كان الكلام يهديك فان الصمت يقيك . وقيل عفة اللسان صمته وقيل مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عداعليك . وسئل أبو حفص أى الحالين للولى أفضل الصمت أوالنطق فقال لوعلم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح ولوعلم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى ضعف عمر نوح حتى ينطق . وقيل صمت العوام بألسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت المحبين من خواطر أسرارهم وقيل لبعضهم تكلم فقال ليس لى لسان فأتكلم فقيل له اسمع فقال ليس فىّ مكان فأسمع . وقال بعضهم مكثت ثلاثين سنة لايسمع لسانى إلا من قلبى ثم مكثت ثلاثين سنة لايسمع قلبى إلامن لسانى . وقال بعضهم لوسكت لسانك لم تنج من كلام قلبك ولوصرت رميما لم تتخلص من حديث نفسك ولوجهدت كل الجهد لم تكلمك روحك لأنها كاتمة للسر . وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه وقيل الحب إذا سكت هلك والعارف إذا سكت ملك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه .

باب الخوف

قال الله تعالى ـ يدعون ربهم خوفا وطمعا ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى العدل قال أخبرنا أبو بكر محمد أحمد بن دلويه الدقاق قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عامر بن أبى الفرات قال حدثنا المسعودى عن محمد بن عبدالرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن فى الضرع ولايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى عبد أبدا» حدثنا أبو نعيم أحمد ابن محمد بن إبراهيم المهرجانى حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن الحسين بن الشرقى قال حدثنا عبدالله بن هاشم قال حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال حدثنا شعبة قال حدثنا قتادة عن أنس

(يقع على المتكلم) أى يطلب منه (مالايطيق) بأن يكون بحيث لو سمعه لثارت فى قلبه أحوال تكون سبب ضرره وهلاكه لضعفه عن حمل مايرد عليه (أكثر مما يقول) أى فينبغى أن يكون كلامه أقل من سماعه ورؤيته ولذلك حكمة أخرى وهى أن العبد لما احتاج إلى أن يسمع و يرى من جهتيه تفضل عليه الحق بعينين وأذنين وأما اللسان فترجمان عما فى الضمير فلا يحتاج إلى تعدده (حتى ينطق) ليهتدى إلى الخير (إلا فيما يعنيه) أى يحتاج إليه .

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » . قلت : الخوف معنى متعلقه فى المستقبل لأنه إنما يخاف أن يحلّ به مكروه أو يفوته محبوب ولا يكون هذا إلا لشىء يحصل فى المستقبل . فأما مايكون فى الحال موجودا فالخوف لايتعلق به، والخوف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما فى الدنيا و إما فى الآخرة وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى – وخافون إن كنتم مؤمنين – وقال تعالى – و إياى فارهبون – ومدح المؤمنين بالخوف فقال تعالى – يخافون ربهم من فوقهم – . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الخوف على مراتب الخوف والخشية والهيبة فالخوف من شرط الإيمان وقضيته قال الله تعالى – وخافون إن كنتم مؤمنين – والخشية من شرط العلم قال الله تعالى – إنما يخشى الله من عباده العلماء – والهيبة من شرط المعرفة قال الله تعالى – و يحذركم الله نفسه – . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على الحيرى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه . وقال أبو القاسم الحكيم : الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهبة يلتجىء إلى الهرب إذا خاف وصاحب الخشية يلتجىء إلى الرب . قال رحمه الله : ورهب وهرب يصح أن يقال هما واحد مثل جذب وجبذ فاذا هرب انجذب فى مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فاذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول سمعت أبا حفص يقول : الخوف سراج القلب به يبصر مافيه من الخير والشرّ . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الخوف أن لاتعلل نفسك بعسى وسوف . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سمعت أبا عمر الدمشقى يقول : الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان ، وقال ابن الجلاء : الخائف من تأمنه المخوفات ، وقيل : ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه إنما الخائف من يترك مايخاف أن يعذب عليه ، وقيل للفضيل : مالنا لانرى خائفا ؟ فقال لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين إن الخائف لايراه إلا الخائفون وأن الثكلى هى التى تحب أن ترى الثكلى ، وقال يحيى بن معاذ : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة ، وقال شاه الكرمانى : علامة الخوف الحزن الدائم ، وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف من شىء هرب منه ومن خاف من الله عزّ وجل هرب إليه . وسئل ذو النون المصرى رحمه الله تعالى : متى يتيسر على العبد سبيل الخوف ؟ فقال إذا أنزل نفسه منزلة السقيم يحتمى من كل شىء مخافة طول السقام . وقال معاذ بن جبل : إن المؤمن لايطمئن قلبه ولاتسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه . وقال بشر الحافى : الخوف ملك لايسكن إلا فى قلب متق . وقال أبو عثمان الحيرى : عيب الخائف فى خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفى . وقال الواسطى : الخوف حجاب بين الله تعالى و بين العبد وهذا اللفظ فيه إشكال ومعناه أن الخائف متطلع لوقت ثان وأبناء الوقت لاتطلع لهم فى المستقبل وحسنات الأبرار سيئات المقربين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن على النهاودى يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت النورى يقول : الخائف يهرب من ربه إلى ربه . وقال بعضهم : علامة الخوف التحير على باب الغيب . سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن إبراهيم العكبرى يقول سمعت الجنيد يقول وسئل عن الخوف فقال توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن أحمد الصفار يقول سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : مافارق الخوف قلبا إلا خرب ، وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

(الخوف) أى مطلقه (ويحذركم الله نفسه) لما كان العارفون مشغولين بربهم عمن سواه حذرهم من نفسه ولم يذكر شيئا من عذابه و بما قاله علم أن الخوف يطلق على الثلاثة وأن الخوف الثانى أخصّ من الأوّل ونظيره الهيبة تنقسم إلى هيبة وهدية وصدقة كما هو مقرّر فى محله وهذا لاينافى قول بعضهم : الخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة . وفسر بعضهم الخشية بأنها خوف مقترن بتعظيم و بذلك فسر قراءة – إنما يخشى الله من عباده العلماء – برفع اسم الله ونصب العلماء أى إنما يعظم الله من عباده العلماء

يقول سمعت أبا عثمان يقول صدق الخوف هوالورع عن الآثام ظاهرا و باطنا وقال ذو النون الناس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف فاذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق وقال حاتم الأصم لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل وقال رجل لبشر الحافى أراك تخاف الموت فقال القدوم على الله عز وجل شديد . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول دخلت على الامام أبى بكر بن فورك عائدا فلما رآنى دمعت عيناه فقلت له إن شاء الله تعالى يعافيك و يشفيك فقال لن ترانى أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن عثمان قال حدثنا القاسم بن محمد قال حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول عن عبدالرحمن بن سعيد بن موهب عن عائشة رضى الله عنها قالت «قلت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق و يزنى و يشرب الخمر ؟ قال لا ولكن الرجل يصوم و يصلى و يتصدق و يخاف أن لايقبل منه » . وقال ابن المبارك الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة فى السر والعلانية . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد ابن الحسن يقول سمعت أبا القاسم بن أبى موسى يقول حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا على الرازى قال سمعت ابن المبارك يقول ذلك . وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الأحكام وقيل الخوف حركة القلب من جلال الرب وقال أبوسليمان الدارانى ينبغى للقلب أن لايكون الغالب عليه إلا الخوف فانه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب ثم قال يا أحمد بالخوف ارتفعوا فان ضيعوه نزلوا . وقال الواسطى الخوف والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج إلى رعونتها . وقال الواسطى إذا ظهر الحق على السرائر لايبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف قال الأستاذ أبو القاسم : وهذا فيه إشكال ومعناه إذا اصطلمت شواهد الحق الأسرار ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية وقال الحسين بن منصور من خاف من شيء سوى الله عز وجل أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجبه بسبعين حجابا أيسرها الشك و إن مما أوجب شدة خوفهم فكرهم فى العواقب وخشية تغير أحوالهم قال الله تعالى ـ و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ـ وقال الله تعالى ـ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ فكم من مغبوط فى أحواله انعكست عليه الحال ومنى بمفارقة قبيح الأفعال فبدل بالأنس وحشة و بالحضور غيبة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله ينشد كثيرا :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربى يقول كان رجلان اصطحبا فى الارادة برهة من الزمان ثم إن أحدهما سافر وفارق صاحبه وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه خبرا فبينا هذا الآخر كان فى غزاة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع فى السلاح يطلب المبارزة فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد فقتله الرومى ثم خرج آخر فقتله ثم ثالث فقتله فخرج إليه هذا الصوفى وتطاردا فخسر الرومى عن وجهه فاذا هو صاحبه الذى صحبه فى الارادة والعبادة سنين فقال هذا له إيش الخبر فقال إنه ارتد وخالط القوم وولد له أولاد واجتمع له مال فقال له

(دوام المراقبة فى السر والعلانية) إذ الحامل على دوامها إنما هو قوة الخوف من لحوق الضرر فبتوالى الخوف على القلب تحصل المراقبة وعلامة سكون الخوف فى القلب توالیه فيه حتى يصير كأنه ساكن فان الأعراض لا بقاء لها (من جلال الرب) وعظمته فمتى استشعر القلب نظر الرب إليه فى حالته التى هوفيها و إن كانت أفضل عباداته اضطرب قلبه واقشعر جلده ووجل كما قال تعالى ـ إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ـ (منه) بمعنى عنه

وكنت نقرأ القرآن بقراآت كثيرة فقال لاأذكر منه حرفا فقال له هـذا الصوفى لاتفعل وارجع فقال لاأفعل فلى فيهم جاه ومال فانصرف أنت و إلا لأفعلن بك مافعلت بأولئك فقال له هـذا الصـوفى اعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين وليس عليك أنفة فى الانصراف فانصرف أنت وأنا أمهلك فرجع الرجل موليا فتبعه هـذا الصوفى وطعنه فقتله فبعد تلك المجاهدات ومقاسات تلك الرياضات قتل على النصرانية وقيـل لما ظهر على إبليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله تعالى إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب لانأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لاتأمنا مكرى . ويحكى عن السرى السقطى أنه قال إنى لأنظر إلى أنفى فى اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسـود لما أخافه من العقوبة . وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى أن الله تعالى ينظر إلىّ نظر السخط وأعمالى تدلّ على ذلك . وقال حاتم الأصم لاتغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم عليه السلام فيها مالقى ولا تغتر بكثرة العبادة فان إبليس بعد طول تعبده لقى ما لقى ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدرا من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أقارب وأعداؤه وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إنى قد اجترأت البارحة على الله عز وجلّ سألته الجنة وقيل خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحى بنى إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعدمنتبذاعنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لى ودعا هذا الصالح وقال اللهم لاتجمع غدا بينى و بين ذلك العاصى فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إنى قد استجبت دعاءهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم . وقال ذوالنون المصرى قلت لعليم لم سميت مجنونا قال لما طال حبسى عنه صرت مجنونا لخوف فراقه وفى معناه أنشدوا :

لوأن مابى على صـخر لأنحله فـكيف يحمله خلق من الطين

وقال بعضهم مارأيت رجلا أعظم رجاء لهذه الأمة ولا أشد خوفا على نفسه من ابن سيرين وقيل مرض سفيان الثورى فعرض دليله على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجسّ عرقه ثم قال ماعلمت أن فى الحنيفية مثله . وسئل الشبلى لم تصفر الشمس عند الغروب فقال لأنها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لأنه يخاف المقام فاذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق . ويحكى عن أحمد بن حنبـل رحمه الله تعالى أنه قال سألت ربى عز وجل أن يفتح علىّ بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلى فقلت يارب أعطنى على قدر ماأطيق فسكن ذلك عنى .

باب الرجاء

قال الله تعالى ـ من كان يرجو لقاء الله فان أجلّ الله لآت ـ أخبرنا أبوالحسن على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عمرو بن مسلم الثقفى قال حدثنا الحسن بن خالد قال حدثنا العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده قلت لشهر يرحمك الله تعالى زودنى زودك الله تعالى قال نعم حدثتنى عمتى أم الدرداء عن أبى الدرداء عن نبى الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال « قال ربكم عزّ وجلّ عبدى ماعبدتنى ورجوتنى ولم تشرك بى شيئا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتنى

(بلعام) و يقال بلعم بن باعوراء من علماء بنى إسرائيـل (فانظر ماذا لقى) حيث كفر وصار مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث مـع اندلاع لسانه على صدره (سألته الجنة) وأنا حقـير فى نفسى ولا تصلح أحـوالى لسؤالها وكان حقى أن أستعيذ به من النار (من ابن سيرين) حيث نظر إلى عمله بعين النقص وحسن ظنه بالمسـلمين فرجالهم العفو عما يقع منهم

بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلها مغفرة فأغفر لك ولا أبالى» . أخبرنا علىّ بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدّثنا بسر بن موسى قال حدّثنا خلف بن الوليد قال حدّثنا مروان ابن معاوية الفزارى قال حدّثنا أبو سفيان طريف بن عبد الله بن الحرث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى يوم القيامة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة شعير من إيمان ثم يقول أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ثم يقول وعزتى وجلالى لأجعل من آمن بى ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بى» . الرجاء تعلق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل وكما أن الخوف يقع فى مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل فى الاستقبال وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين التمنى أن التمنى يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمنى معلول وتكلموا فى الرجاء فقال شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة وقال ابن خبيق الرجاء ثلاثة: رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة والثالث الرجل الكاذب يتمادى فى الذنوب ويقول أرجو المغفرة ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغى أن يكون خوفه غالبا على رجائه وقيل الرجاء ثقة الجود من الكريم الودود وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب وقيل سرور الفؤاد بحسن المعاد وقيل هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطير وتمّ طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر فى حدّ الموت . وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن أبى حاتم يقول سمعت علىّ بن شهمردان يقول قال أحمد بن عاصم الأنطاكى وسئل ما علامة الرجاء فى العبد ؟ قال أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجيا لتمام النعمة من الله تعالى عليه فى الدنيا وتمام عفوه فى الآخرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله . وقال ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة . وسمعته يقول حدّثنا أبو العباس البغدادى قال حدّثنا الحسن بن صفوان قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدّثت عن بكر بن سليم الصوّاف قال دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال ما أدرى ما أقول لكم غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى مالم يكن لكم فى حساب ثم مابرحنا حتى أغمضناه . وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وكلموا ذا النون المصرى وهو فى النزع فقال لا تشغلونى فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى وقال يحيى بن معاذ إلهى أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك وأحب الساعات إلىّ ساعة يكون فيها لقاؤك . وفى بعض التفاسير «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه من باب بنى شيبة فرآهم يضحكون فقال أتضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم مرّ ثم رجع القهقرى وقال نزل علىّ جبريل عليه السلام وأتى بقوله تعالى

(بمحبوب) من جلب نفع أو دفع ضرّ (فى المستقبل) وذلك بأن يغلب على القلب الظن بحصوله فى المستقبل (حسن الطاعة) ومن المعهود فى أعمال الدنيا أن من وضع حبة فى أرض طيبة قد رويت قوى رجاؤه وظنه بحصول مطلوبه وعكسه من وضع حبة فى أرض سبخة فى زمن الصيف وقال: الله قادر على أن ينبته فيها وهذا القول وإن كان صحيحا لكن المتبع ما أجراه الله من عادته فى خلقه (قرب القلب الخ) هذا قريب مما قبله وفيه إشارة إلى الحضور ودوام العلم بتوالى نعم الله على العبد

ـ نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ـ » أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال حدّثنا أبو الحسن الصفار قال حدّثنا عباس بن تميم قال حدّثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا مسلم بن سالم قال حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت بأبى وأمى يارسول الله أو يضحك ربنا عز وجل؟ فقال والذى نفسى بيده إنه ليضحك فقالت لايعدم منا خيرا إذا ضحك» واعلم أن الضحك فى وصفه من صفات فعله وهو إظهار فضله كما يقال ضحكت الأرض بالنبات وضحكه من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذى هو ضعف انتظارهم له . وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فقال له إن أسلمت أضفتك فقال المجوسى إذا أسلمت فأىّ منة تكون لك علىّ فمر المجوسى فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغييره دينه نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا عليك فمرّ إبراهيم عليه السلام خلف المجوسى وأضافه فقال له المجوسى إيش كان السبب فى الذى بدا لك فذكر له ذلك فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى ثم قال أعرض علىّ الإسلام فأسلم . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول : رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاج فى النوم وكان يقول بوعيد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا . سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول رأيت أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لاتوصف فقلت له يا أستاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى ورؤى مالك بن دينار فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال قدمت على ربى عز وجل بذنوب كثيرة محاها عنى حسن ظنى به تعالى. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يقول الله عز وجل أنا عند ظنّ عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى و إن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ هو خير منه و إن اقترب إلىّ شبرا اقتربت إليه ذراعا و إن اقترب إلىّ ذراعا اقتربت إليه باعا و إن أتانى يمشى أتيته هرولة» أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايينى قال أخبرنا يعقوب بن إسحق قال حدّثنا على ابن حرب قال حدّثنا أبو معاوية ومحمد بن عبيد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وقيل كان ابن المبارك يقاتل علجا مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله فأمهله فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه فسمع من الهواء قائلا يقول ـ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ـ فأمسك فلما سلم المجوسى قال له لم أمسكت عما هممت به فذكر له ماسمع فقال له المجوسى نعم الرب رب يعاتب وليه فى عدوّه فأسلم وحسن إسلامه . وقيل إنما أوقعهم فى الذنب حين سمى نفسه عفوا . وقيل لو قال لاأغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط كما أنه لما قال ـ إن الله لايغفر أن يشرك به ـ لم يشرك مسلم قط ولكن لما قال ـ و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ طمعوا فى مغفرته . و يحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال كنت أنتظر مدّة من الزمان أن يخلو المطاف لى فكانت ليلة ظلماء فيها مطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول فيه اللهم اعصمنى اللهم اعصمنى فسمعت هاتفا يقول لى يا ابن أدهم أنت تسألنى العصمة وكل الناس يسألونى العصمة فاذا عصمتكم فلمن أرحم . وقيل رأى أبو العباس ابن سريج فى منامه فى مرض موته كأن القيامة قد قامت و إذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاءوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض به وأراد جوابا آخر فقلت أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أن تغفر مادونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال . وقيل كان رجل شريب جمع قومامن ندمائه ودفع

(لايعدم منا خيرا إذا ضحك) إذ الضحك علامة الرضا و بذلك علم أنه تعالى لاتضره معصية ولاتنفعه طاعة فمن أطاعه فبركة طاعته عائدة عليه ومن عصاه فشؤم معصيته راجع إليه فان تاب عنها فلا ييأس من رحمة الله فان أيس منها فهو جاهل وضحك الله تعالى ممن ييأس لأنه أتى بشىء عجيب وهو غفلته عن سعة رحمة الله أو جهله واعتقاده أن معصيته يرجع إلى ربه منها شىء فضحك ربه مقابلة له بضد حاله فانه لما أيس من رحمته أسبغها عليه لاسيما بعد توبته (وضحكه) الأولى فضحكه تعالى (وقيل رأى أبو العباس الخ) فيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالآية التى أشار إليها وعلى بشرى عظيمة لابن سريج وهو أنه مغفور له وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجى له المغفرة (شريب) أى كثير الشرب للخمر

إلى غلام له أربعة دراهم وأمره أن يشترى بها شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل الفقير شيئا و يقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع له الغلام الدراهم فقال منصور ماالذى تريد أن أدعو لك فقال لى سيدى أريد أن أتخلص منه فدعا لى منصور وقال ماالأخرى فقال أن يخلف الله تعالى على دراهمى فدعا ثم قال وماالأخرى فقال أن يتوب الله على سيدى فدعا قال وما الأخرى فقال أن يغفر الله تعالى لى ولسيدى ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام إلى سيده فقال لم أبطأت؟فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سألت لنفسى العتق فقال اذهب فأنت حر و إيش الثانى فقال أن يخلف الله على الدراهم فقال لك أربعة آلاف درهم فقال و إيش الثالث فقال أن يتوب الله عليك فقال تبت إلى الله تعالى فقال و إيش الرابع فقال أن يغفر الله تعالى لك ولى وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس إلىّ فلما بات رأى فى المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان إليك تراني لاأفعل ما إلى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين وقيل حج رباح القيسى حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب إلهى وهبت من حجاتى كذا وكذا للرسول صلى الله عليه وسلم وعشرة منها لأصحابه العشرة وثنتين لوالدى والباقى للمسلمين ولم يحبس شيئا لنفسه فسمع هاتفا يقول هو ذا يتسخى علينا لأغفرن لك ولأبويك ولمن شهد شهادة الحق وروى عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان هذا منك فقالت ابنى قلت أولم يكن لكم جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت و إيش كان هذا فقالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لى فقلت من أنت فقال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى عزوجل باحتقار الناس إياى سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول مرّ أبو عمرو البيكندى يوما بسكة فرأى قوما أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل إنها أمه فرحمها أبو عمرو فشفع له إليهم وقال هبوه منى هذه المرة فان عاد إلى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعلّ الشاب عاد إلى فساده فتنحى من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت إنه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لاتخبرى بموتى الجيران فلقد آذيتهم وأنهم يشمتون بى ولايحضرون جنازتى و إذا دفنتينى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى إلى ربى عزوجل قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته يقول انصرفى ياأماه فقد قدمت على رب كريم . وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم إنى لم أخلقهم لأربح عليهم و إنما خلقتهم ليربحوا علىّ . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر الحربى يقول سمعت إبراهيم الأطروش يقول كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخى على الدجلة إذ مرّ بنا قوم أحداث فى زورق يضربون بالدف و يشربون و يلعبون فقلنا لمعروف أما ترى كيف يعصون الله تعالى مجاهرين ادع الله تعالى عليهم فرفع يده وقال إلهى كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة فقالوا إنما سألناك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم . سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكى قال حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الأديب قال حدثنا الفضل بن صدقة قال حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضى صديقا لى وكان يودنى وأودّه

(غلام له) وكان صالحا ينكر عليه ذلك (فدفع له الغلام الدراهم) لأنه رأى أن سيده يرضى بذلك أو رأى أن هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الضرب والألم من سيده حتى لايقع فى هذا المنكر الشديد وظنّ منصور أنه مالك الدراهم (فقالوا الخ) و إذا تابوا زال عنكم ماتنكرهونه فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة والسياسة فى تغيير المنكر الذى لايتمكن العبد من إزالته لقوة الجاه والسطوة فسلك معروف فى إزالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله بأن يغير أحوالهم عما هى عليه لأنه تعالى الفاعل بهم ماهم فيه فقال اللهم كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة فأعلمهم بذلك أن التغيير فى هذا الوقت لمثل هؤلاء إنما هو بالدعاء لهم بالتوبة

فمات يحيي فكنت أشتهي أن أراه في المنام فأقول له مافعل الله تعالى بك فرأيته ليلة في المنام فقلت مافعل الله تعالى بك قال غفر لي إلا أنه وبخني ثم قال لي يايحيي خلطت عليّ في دار الدنيا فقلت أي رب اتكلت على حديث حدثنيه أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك قلت «إني لأستحيي أن أعذب ذا شيبة بالنار» فقال قد عفوت عنك يايحيي وصدق نبيي إلا أنك خلطت عليّ في دار الدنيا .

باب الحزن

قال الله عز وجل ـ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ـ أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا علي بن حبيش قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت عطاء بن يسار قال سمعت أباسعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مامن شيء يصيب العبد المؤمن من وصب أونصب أو حزن أو ألم يهمه إلا كفر الله تعالى عنه من سيآته» . الحزن حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة والحزن من أوصاف أهل السلوك . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى في شهر مالا يقطعه من فقد حزنه سنين وفي الخبر «إن الله تعالى يحب كل قلب حزين» وفي التوراة : إذا أحب الله عبدا جعل في قلبه نائحة وإذا أبغض عبدا جعل في قلبه مزمارا وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متواصل الأحزان دائم الفكرة» . وقال بشر بن الحرث الحزن ملك فاذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد وقيل القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال أبو سعيد القرشي بكاء الحزن يعمي وبكاء الشوق يعشي البصر ولا يعمي قال الله تعالى ـ وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ـ وقال ابن خفيف الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب وسمعت رابعة العدوية رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس وقال سفيان بن عيينة لو أن محزونا بكى في أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن وكان يقول بالليل إلهي همك عطل عليّ الهموم وحال بيني وبين الرقاد وكان يقول كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت وقيل الحزن يمنع من الطعام والخوف يمنع من الذنوب وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل فقال بكثرة أنينه . وقال سري السقطي وددت أن حزن كل الناس ألقي علي وتكلم الناس في الحزن فكلهم قالوا إنما يحمد حزن الآخرة وأما حزن الدنيا فغير محمود إلا أبا عثمان الحيري فانه قال الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمن مالم يكن بسبب معصية لأنه إن لم يوجب تخصيصا فانه يوجب تمحيصا . وعن بعض المشايخ أنه كان إذا سافر واحد من أصحابه يقول له إن رأيت محزونا فأقرئه مني السلام . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها هل طلعت اليوم على محزون . وكان الحسن البصري لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة وقال وكيع لما مات الفضيل ذهب الحزن اليوم من الأرض وقال بعض السلف أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن . سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت علي بن بكران يقول سمعت محمد بن علي المروزي يقول سمعت أحمد بن أبي روح يقول سمعت أبي يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول كان السلف يقولون إن على كل شيء زكاة وزكاة العقل طول الحزن . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن

السلمى يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سألت أبا عثمان الحيرى يوما عن الحزن فقال الحزين لا يتفرغ إلى سؤال الحزن فاجتهد فى طلب الحزن ثم سل .

باب الجوع وترك الشهوة

قال الله تعالى ـ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ـ ثم قال فى آخر الآية ـ و بشر الصابرين ـ فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع . وقال تعالى ـ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ أخبرنا علىّ بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدّثنا عبد الله بن أيوب قال حدّثنا أبو الوليد الطيالسى قال حدّثنا أبو هاشم صاحب الزعفرانى قال حدّثنا محمد بن عبد الله عن أنس بن مالك أنه حدّثه قال : « جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الكسرة يافاطمة قالت قرصا خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال أما أنه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » ، وفى بعض الروايات جاءت فاطمة رضى الله عنها بقرص شعير ولهذا كان الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة فان أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجدوا ينابيع الحكمة فى الجوع وكثرت الحكايات عنهم فى ذلك . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت ابن سالم يقول : أدب الجوع أن لا ينقص من عادته إلا مثل أذن السنور ، وقيل كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا فى كل خمسة عشر يوما ، فاذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح . وقال يحيى بن معاذ : لو أن الجوع يباع فى السوق لما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره . أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيدالله قال حدّثنا علىّ بن الحسين الأرجانى قال حدّثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الاصطخرى بمكة حرسها الله تعالى قال قال سهل بن عبدالله لما خلق الله تعالى الدنيا جعل فى الشبع المعصية والجهل ، وجعل فى الجوع العلم والحكمة . وقال يحيى بن معاذ : الجوع للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول دخل بعضهم على بعض الشيوخ فرآه يبكى فقال له مالك تبكى ؟ قال إنى جائع قال ومثلك يبكى من الجوع فقال اسكت أما علمت أن مراده من جوعى أن أبكى . سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول حدّثنا محمد بن بشر قال حدّثنا الحسين بن منصور قال حدّثنا داود بن معاذ قال سمعت مخلدا يقول : كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شىء يأكله ، وسمعته يقول سمعت أبا بكر الغزالى يقول سمعت محمد بن على يقول سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء يقول دخل أبو تراب النخشبى من بادية البصرة مكة حرسها الله تعالى فسألناه عن أكله فقال خرجت من البصرة وأكلت بنباج ثم بذات عرق ومن ذات عرق إليكم فقطع البادية بأكلتين ، وسمعته يقول حدثنا على بن النحاس المصرى قال حدثنا هرون بن محمد الدقاق قال حدثنا أبو عبد الرحمن بن الدرقش قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت عبد العزيز بن عمير يقول تجوّع صنف من الطير أربعين صباحا ثم طاروا فى الهواء فرجعوا بعد أيام فكان يفوح منهم رائحة المسك وكان سهل بن عبد الله إذا جاع قوى و إذا أكل شيئا ضعف . وقال أبو عثمان المغربى الربانى لا يأكل فى أربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما ، وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت

(فقال الحزين الخ) أى وأنت تسأل عنه فأنت فارغ منه ولولا فراغك منه لما سألت عنه (ثم سل) أى ثم بعد اجتهادك فى طلبه سل عنه ثم بعد حصول كماله لاسؤال لأن كمال الحزن يشغلك عن السؤال عنه (خصاصة) أى حاجة إلى مايؤثرون به وفى ذلك مدح على الجوع وترك الشهوة فهما مطلوبان وقد طلبا صريحا فى الصوم وروى الترمذى خبر «ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» ومن ثم كان التقليل من الدنيا ممدوحا (بنباج) بكسر النون قرية بالبادية أحياها عبد الله بن عامر قاله الجوهرى

محمد بن على العلوى يقول سمعت على بن إبراهيم القاضى بدمشق يقول سمعت محمد بن على بن خلف يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع . سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت على بن الحسين الأرجانى يقول سمعت أبا محمد الاصطخرى يقول سمعت سهل بن عبيد الله وقيل له : الرجل يأكل فى اليوم أكلة فقال أكل الصديقين قال فأكلتين قال أكل المؤمنين قال فثلاثة قال قل لأهلك يبنون لك معافا . وسمعته يقول حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا أبو بكر السائح قال سمعت يحيى ابن معاذ يقول : الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه . سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول : دخل يوما رجل من الصوفية على شيخ فقدم إليه طعاما ثم قال له مذ كم يوما لم تأكل ؟ فقال مذ خمسة أيام فقال جوعك جوع بخيل عليك ثياب وأنت تجوع ليس هذا جوع فقر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازى يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد ابن أبى الحوارى يقول قال أبو سليمان الدارانى : لأن أترك من عشائى لقمة أحب إلى من أن أقوم الليل إلى آخره . وسمعته يقول سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازى يقول : اشتهى أبو الخير العسقلانى السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده إليه ليأكل أخذت شوكة من عظامه أصبعه فذهبت فى ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة إلى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام ؟ . سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال فما ظنك بقضية شهوة الحرام . سمعت رستم الشيرازى الصوفى يقول : كان أبو عبد الله ابن خفيف فى دعوة فمد واحد من أصحابه يده إلى الطعام قبل الشيخ لما كان به من الفاقة فأراد بعض أصحاب الشيخ أن ينكر عليه لسوء أدبه حيث مد يده إلى الطعام قبل الشيخ فوضع شيئا بين يدى هذا الفقير فعلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه فاعتقد أن لا يأكل خمسة عشر يوما عقوبة لنفسه وتأديبا لها و إظهارا لتوبته من سوء أدبه وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن محمد ابن الحرث قال حدثنا سليمان بن داود قال حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول : من غلب شهوات الدنيا فذلك الذى يفرق الشيطان من ظله وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصفهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول : إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول حاكيا عن بعض المشايخ أنه قال: إن أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم فلذلك افتضحوا ، وسمعته يقول : قيل لبعضهم ألا تشتهى ؟ فقال أشتهى ولكن أحتمى ، قال وقيل لبعضهم : ألا تشتهى فقال أشتهى أن أشتهى وهذا أتم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول أخبرنا أحمد بن منصور قال أخبرنا ابن مخلد قال حدثنا أبو الحسين الحسن بن عمرو بن الجهم قال سمعت أبا نصر التمار يقول : أتانى بشر ليلة فقلت الحمد لله الذى جاء بك ، جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت وباعته واشترت لنا لحما فتفطر عندنا فقال : لو أكلت عند أحد أكلت عندكم ثم قال إنى لأشتهى الباذنجان منذ سنين ولم يتفق لى أكله فقلت إن فيها الباذنجان من الحلال فقال حتى يصفو لى حب الباذنجان . سمعت عبد الله بن باكويه الصوفى يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول : أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لإفطاره فليلة أشفقت عليه فحملت إليه خمس عشرة حبة

(مفتاح الدنيا الشبع) لأنه يحرك شهوته التى منها شهوة الفرج والعبد إذا تزوج وسلم من الفساد كثرت كافته و إن جاءته أولاد فقد حصلت عنده الأعداء وتوالت عليه جهة الفساد قال تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - (الجوع) لأنه يحرك للطاعة (معلفا) شبهه بالدواب التى لا همة لها إلا فى كثرة الأكل والشرب التى هى سبب قلة الفهم (الجوع نور) لأنه يسوق إليه بتفرغ القلب به للخيرات (فلذلك افتضحوا) بارتكاب شهواتهم لأن حمى الله محارمه فمن غلبت شهوته تقواه افتضح ومن غلبت تقواه شهواته نجح (وهذا أتم) مما قبله لأنه إخبار عن عدم شهوته وذاك إخبار عنها ولكنه احتمى عنها

فنظر إلىّ وقال : من أمرك بهذا ؟ وأكل عشر حبات وترك الباقى . سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الفراغانى يقول سمعت أبا الحسين الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت أباتراب النخشبى يقول : ماتمنت نفسى من الشهوات إلا مرة واحدة ، تمنت خبزا و بيضا وأنا فى سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق بى وقال : هذا كان مع اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبى واعتذروا إلىّ فحملنى رجل إلى منزله إكراما لى وشفقة علىّ وقدّم إلىّ خبزا و بيضا فقلت لنفسى كلى بعد سبعين درّة .

باب الخشوع والتواضع

قال الله تعالى ـ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ـ أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهرى قال حدثنا على بن الحسن قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدّثنا شعبة عن أبان بن ثعلب عن فضيل الفقيمى عن إبراهيم النخعى عن علقمة بن قيس عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولايدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يارسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا فقال إن الله تعالى جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمص الناس » أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال حدثنا أبو إبراهيم قال حدثنا على بن مسهر عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض و يشيع الجنائز و يركب الحمار و يجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف» .

الخشوع : الانقياد للحق . والتواضع : هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم وقال حذيفة أوّل ماتفقدون من دينكم الخشوع . وسئل بعضهم عن الخشوع فقال الخشوع قيام القلب بين يدى الحق سبحانه بهم مجموع وقال سهل بن عبدالله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان وقيل من علامات الخشوع للعبد أنه إذا أغضب أوخولف أوردّ عليه أن يستقبل ذلك بالقبول وقال بعضهم خشوع القلب قيد العيون عن النظر وقال محمد بن على الترمذى الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم فى قلبه فماتت شهوته وحيى قلبه فخشعت جوارحه وقال الحسن البصرى الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب وسئل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال الله تعالى ـ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ـ سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول مامعناه : متواضعين متخاشعين وسمعته يقول هم الذين لايستحسنون شسع نعالهم إذا مشوا واتفقوا على أن الخشوع محله القلب ورأى بعضهم رجلا منقبض الظاهر منكسر الشاهد قد زوى منكبيه فقال له يا فلان الخشوع ههنا وأشار إلى صدره لاههنا وأشار إلى منكبيه . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث فى صلاته بلحيته فقال « لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقيل شرط الخشوع فى الصلاة أن لايعرف من على يمينه ومن على شماله . قال الأستاذ الإمام ويحتمل أن يقال الخشوع إطراق السريرة بشرط الأدب بمشهد الحق سبحانه . ويقال الخشوع ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب و يقال الخشوع ذوبان القلب وانخناسه عند سلطان الحقيقة و يقال الخشوع مقدمات

(وترك الباقى) فيه دلالة على كمال محافظته على ماحصل له من الاستقامة فى أدب النفوس والاكتفاء باليسير واعتياد التقلل من الطعام و إن كان شهيا لذيذا حيث اكتفى بعشر حبات زبيب فى وقت إفطاره قيل ور بما كان يتسحر لصومه بمثلها (كلى الخ) قاله توبيخا لها (بطر الحق) بفتح الباء والطاء المهملة أى ردّه و إبطاله (وغمص الناس) بصاد مهملة أى احتقارهم ولأنه عبارة عن تعاظم العبد على غيره وما ذكر ليس كذلك بل فيه إظهار النعمة وهومطلوب والخبر رواه مسلم بلفظ «الكبر بطر الحق وغمط الناس» بطاء مهملة وهو بمعنى غمص والكبر ضد التواضع ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (وترك الاعتراض على الحكم) أى من الحاكم وهو أعم من الخشوع لأنه يستعمل فيما بين العباد وفيما بينهم و بين الرب بخلاف الخشوع لايستعمل إلا فى الثانى فلايقال خشع العبد لمثله و يقال تواضع له

غلبات الهيبة ويقال الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة وقال الفضيل بن عياض كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما فى قلبه وقال أبوسليمان الدارانى لو اجتمع الناس على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى لما قدروا عليه . وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عنده غيره وكان عمر بن العزيز لايسجد إلا على التراب أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا أبوالحسن على بن يزيد الفرائضى قال حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصى عن هرون بن حيان عن حصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وقال مجاهد لما أغرق الله تعالى قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودى فجعله الله تعالى قرارا لسفينة نوح عليه السلام وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يسرع فى المشى ويقول إنه أسرع للحاجة وأبعد من الزهو وكان عمر بن عبد العزيز يكتب ليلة شيئا وعنده ضيف فكاد السراج ينطفئ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال لا ليس من الكرم استخدام الضيف قال فأنبه الغلام قال لا هى أول نومة نامها فقام إلى البطة وجعل الدهن فى المصباح فقال الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال له عمر ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر . وروى أبوسعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا وكان لايمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله وكان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتديا ولايحتقر مادعى إليه ولو إلى حشف التمر وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوسة متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع» . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبدالله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول قراء الرحمن أصحاب خشوع وتواضع وقراء القضاة أصحاب عجب وتكبر وقال الفضيل بن عياض من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب . وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وقال الفضيل أوحى الله تعالى إلى الجبال إنى مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام لتواضعه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم وقال وهب مكتوب فى بعض ماأنزل الله تعالى من الكتب إنى أخرجت الدر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته وقال ابن المبارك التكبر على الأغنياء والتواضع للفقراء من التواضع وقيل لأبى يزيد متى يكون الرجل متواضعا فقال إذا لم ير لنفسه مقاما ولاحالا ولايرى أن فى الخلق من هو شر منه وقيل التواضع نعمة لايحسد عليها والكبر محنة لايرحم عليها والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر لم يجده . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة . وسمعته يقول سمعت الحسن الساوى يقول سمعت ابن الأعرابى يقول بلغنى أن سفيان الثورى قال أعز الخلق خمسة أنفس : عالم

(وتواضع طور سيناء الخ) فيه دلالة على جواز خلق الحياة والفهم والإخبار والحركات فى الجمادات (ولين الجانب لهم) ليقربوا منه فينتفعوا به ويكون بحيث إنه إن آذاه غيره بأذية حملها فلا يؤاخذه بها (الدر) بالمعجمة أى بنى آدم (اصطفيته) أى اخترته نبيا (وكلمته) فمامزه تعالى على أمته وخصه بكلامه إلا لما اختص به من كمال تواضعه (التكبر على الأغنياء الخ) الغرض منه التنفير عن التواضع للأغنياء لدنياهم وإلا فالتكبر مذموم لكل أحد فقيرا كان أوغنيا والتواضع محمود لكل أحد فالمذموم منه التواضع للأغنياء لدنياهم وللفقراء لفقرهم والمحمود التواضع لله سواء كان مع الأغنياء أم مع الفقراء .

زاهد وفقيه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكر وشريف سنى وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن فى كل أحد لكنه فى الأغنياء أحسن والتكبر سمج فى كل أحد لكنه فى الفقراء أسمج وقال ابن عطاء التواضع قبول الحق ممن كان وقيل ركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه ياابن عمّ رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت ياأمير المؤمنين لاينبغى لك هذا فقال لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت فى نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول رؤى أبو هريرة وهو أمير المدينة وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول طرقوا للأمير وقال عبد الله الرازى التواضع ترك التمييز فى الخدمة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن هرون يقول سمعت محمد بن العباس الدمشقى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة وقال يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع وقال الشبلى ذلى عطل ذل اليهود وجاءه رجل فقال له الشبلى ماأنت فقال ياسيدى النقطة التى تحت الباء فقال أنت شاهدى مالم تجعل لنفسك مقاما وقال ابن عباس من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه وقال بشر سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم وقال شعيب بن حرب بينا أنا فى الطواف إذ لكزنى إنسان بمرفقه فالتفت إليه فاذا هو الفضيل بن عياض فقال ياأبا صالح إن كنت تظن أنه شهد الموسم شرّ منى ومنك فبئسما ظننت وقال بعضهم رأيت فى الطواف إنسانا بين يديه شاكرية يمنعون الناس لأجله عن الطواف ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئا فتعجبت منه فقال لى أنا تكبرت فى موضع يتواضع الناس هناك فابتلانى الله تعالى بالتذلل فى موضع يترفع فيه الناس وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فكتب إليه عمر بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم فإذا أتاك كتابى هذا فبع الخاتم وأشبع ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه . وقيل عرض على بعض الأمراء مملوك بألف درهم فلما أحضر الثمن استكثره فبدا له فى شرائه فرد الثمن إلى الخزانة فقال العبد يامولاى اشترنى فإن فىّ بكل درهم من هذه الدراهم خصلة تساوى أكثر من ألف درهم فقال وما هى ؟ فقال أقلها وأدناها مالو اشتريتنى وقدمتنى على جميع مماليكك لاأغلظ فى نفسى وأعلم أنى عبدك فاشتراه

وحكى عن رجاء بن حيوة أنه قال قوّمت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثنى عشر درهما وكان قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة ، وقيل مشى عبد الله ابن محمد بن واسع مشيا لايحمد فقال له أبوه وتدرى بكم اشتريت أمك بثلثمائة درهم وأبوك لا أكثر الله تعالى فى المسلمين مثله أبا وأنت تمشى هذه المشية . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول سمعت حمدون القصار يقول التواضع أن لاترى لأحد إلى نفسك حاجة لافى الدين ولافى الدنيا . وقال إبراهيم بن أدهم ماسررت فى إسلامى إلا ثلاث مرّات مرّة كنت فى سفينة وفيها رجل مضحاك

(سمج) بإسكان الميم وكسرها أى قبيح (لم يذق حلاوة الخدمة) إذ لايذوقها إلا من كمل إخلاصه ورأى توفيقه للخدمة من جملة النعم عليه وذلك مفقود فيمن رأى لنفسه قيمة (عطل ذل اليهود) المذكور فى قوله تعالى ـ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ـ فهم أذل الخلق والمعنى ذلى فى نفسى أعظم من ذل اليهود فى أنفسهم لأن ذلهم قهرى وذلى عن علم بما عليه نفسى من النقص وهذا لايلزم منه جحده لفضل ربه عليه لأن ماذكر من الذل بالنظر لنفسه وما هو فيه من الفضل جار عليه من ربه فهو ذليل عزيز (مقار به[1]) أى قيامه بين يديه

(١) ليس موجودا بنسخ الرسالة التى بأيدينا اه مصححه .

كان يقول كنا نأخذ العلج فى بلاد الترك هكذا وكان يأخذ بشعر رأسى و يهزنى فيسرنى ذلك لأنه لم يكن فى تلك السفينة أحد أحقر فى عينه منى والأخرى كنت عليلا فى مسجد فدخل المؤذن وقال اخرج فلم أطق فأخذ برجلى وجرنى إلى خارج المسجد ، والثالثة كنت بالشام وعلىّ فرو فنظرت فيه فلم أميز بين شعره و بين القمل لكثرته فسرنى ذلك وفى حكاية أخرى عنه قال ما سررت بشىء كسرورى أنى كنت يوما جالسا فجاء إنسان و بال علىّ « وقيل تشاجر أبو ذرّ و بلال رضى الله عنهما فعير أبو ذر بلالا بالسواد فشكاه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا ذر إنه بقى فى قلبك من كبر الجاهلية شىء فألقى أبو ذر نفسه وحلف أن لايرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك» . ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم وقال اليد لهم لأنهم لم يجدوا غيرما أطعمونى ونحن نجد أكثر منه وقيل قسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحلل بين الصحابة من غنيمة فبعث إلى معاذ حلة يمانية فباعها واشترى ستة أعبد وأعتقهم فبلغ عمر ذلك فكان يقسم الحلل بعده فبعث إليه حلة دون تلك فعاتبه معاذ فقال له عمر لا معاتبة لأنك بعت الأولى فقال معاذ وما عليك ادفع إلى نصيبى وقد حلفت لأضربن بها رأسك فقال عمر هذا رأسى بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ .

باب مخالفة النفس وذكر عيوبها

قال الله تعالى ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ـ أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا تمتام قال حدثنا محمد بن معاوية النيسابورى قال حدثنا على بن أبى على بن عتبة بن أبى لهب عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة» ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة وقد سئل المشايخ عن الإسلام فقالوا ذبح النفس بسيوف المخالفة . واعلم أن من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أنسه وقال ذو النون المصرى مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتهما ترك شهواتهما وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد بردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها فى فسادها . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول النفس الأمارة بالسوء هى الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء وقال أبو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن إسحق بن إبراهيم الخليل يقول ـ وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء ـ . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول سمعت ابن عطاء يقول قال الجنيدى أرقت ليلة فقمت إلى وردى فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة فأردت أن أنام فلم أقدر عليه فقعدت فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح

(فينسى) صاحبه (الآخرة) لاشتغاله حينئذ غالبا بالدنيا (ذبح النفس) وفى نسخة النفوس (بسيوف المخالفة) وهو أول الطريق وذلك لأن النفس إذا اعتادت اللذات لا تنصرف إلى الطاعات إلا بالمجاهدات والتوبيخات الشديدة ومن ثم سميت هذه الأمور سيوفا وذبح النفوس قهرها ونقلها عن هواها (نجمت) أى طلعت (طوارق نفسه) أى آثار خواطرها (أفلت) أى غربت من قلبه (شوارق أنسه) بالله أى علاماته قال الله تعالى ـ ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ـ والدنيا والآخرة ككفتى الميزان فمتى مالت إحداهما ارتفعت الأخرى

على الطريق فلما أحس بى رفع رأسه وقال ياأبا القاسم إلى الساعة فقلت ياسيدى من غير موعد فقال بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك إلىّ قلبك فقلت فقد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فأقبل على نفسه وقال اسمعى قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد وقد سمعت وانصرف عنى ولم أعرفه ولم أقف عليه بعد وقال أبو بكر الطمستانى النعمة العظمى الخروج من النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك و بين الله عزّ وجل وقال سهل ماعبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت بن عطاء وقد سئل عن أقرب شئ إلى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأحوالها وأشد من ذلك مطالعة الأغراض على أفعالها وسمعته يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول كنت فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله تعالى لايخفى عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك و يقيك الأذى من هذه الزنابير فقال وأنا أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد ألمه الإنسان فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا فتركته ومضيت . وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال مابتّ تحت سقف ولا فى موضع عليه غلق أربعين سنة وكنت أشتهى فى أوقات أن أتناول شبعة عدس فلم يتفق فكنت وقتا بالشام فحمل إلى غضارة لى فيها عدس فتناولت منه وخرجت فرأيت قوارير معلقة فيها شئ شبه نموذجات فظننته خلا فقال لى بعض الناس إيش تنظر هذه نموذجات الخمر وهذه الدنان خمر فقلت فى نفسى لزمنى فرض فدخلت حانوت الخمار ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهم أنى أصبها بأمر السلطان فلما علم حملنى إلى ابن طولون فأمر بضربى مائتى خشبة وطرحنى فى السجن فبقيت فيه مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربى أستاذى ذلك البلد فشفع لى فلما وقع بصره علىّ قال إيش فعلت فقلت شبعة عدس ومائتى خشبة فقال لى نجوت مجانا . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول و إن نفسى تطالبنى منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة فى دبس فما أطعتها وسمعته يقول سمعت جدى يقول آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه . وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت الحسين بن على القرمسينى يقول وجه عصام بن يوسف البلخى شيئا إلى حاتم الأصم فقبله منه فقيل له لم قبلته فقال وجدت فى أخذه ذلى وعزّه وفى ردّه عزّى وذله فاخترت عزّه على عزى وذلى على ذله . وقيل لبعضهم إنى أريد أن أحج على التجريد فقال له جرد أولا قلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت . وقال أبو سليمان الدارانى : من أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤنتها والله أكرم من أن يعذب قلبا ترك شهوة لأجله . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة . ورؤى رجل جالسا فى الهواء فقيل له بم نلت هذا فقال تركت الهوى فسخر لى الهواء وقيل

(اللكام) بالشام (فرأيت رمانا) وكنت عزمت على تركه لله تعالى (فوجدتها حامضة) فلم يأكل منها شيئا أدب بذلك لمخالفته عزمه (لايخفى عليه شئ) بأن ييسر الله له كل مايريده تارة بالسؤال وتارة بغيره (من هذه الزنابير) التى تلدغك كان خيرا لك (ألمه فى الدنيا) وألم الدنيا أهون من ألم الآخرة (ومضيت) خشية أن أشتغل به فيفسد علىّ توكلى دل كلام المطروح الأول على أنه من العارفين وكلامه الثانى على أنه من المكاشفين (مجانا) أى بلا بدل يعنى بلا عقوبة فى الآخرة بل عجلت لك فى الدنيا لشهوتك الدنيوية

لوعرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف ولوعرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف وقيل لاتضع زمامك فى يد الهوى فانه يقودك إلى الظلمة وقال يوسف بن أسباط لايمحو الشهوات من القلب إلاخوف مزعج أو شوق مقلق وقال الخوّاص من ترك شهوة فلم يجد عوضها فى قلبه فهو كاذب فى تركها وقال جعفر بن نصير دفع إلىّ الجنيد درهما وقال اشتر لى به التين الوزيرى فاشتريته له فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى أما تستحى شهوة تركتها من أجلى ثم تعود إليها وأنشدوا :

نون الهوان من الهوى مسروقة وصريع كل هوى صريع هوان

واعلم أن للنفس أخلاقا ذميمة فمن ذلك الحسد .

باب الحسد

قال الله تعالى ـ قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ـ ثم قال ـ ومن شر حاسد إذا حسد ـ ختم السورة التى جعلها عوذة بذكر الحسد أخبرنا أبو الحسن الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إسمعيل بن الفضل قال حدثنا يحيى بن مخلد قال حدثنا معافى بن عمران عن الحرث بن شهاب عن معبد عن أبى قلابة عن ابن مسعود قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث هنّ أصل كل خطيئة فاتقوهنّ واحذروهن إياكم والكبر فان إبليس حمله الكبر على أن لايسجد لآدم و إياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة و إياكم والحسد فان ابنى آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا » وقال بعضهم الحاسد جاحد لأنه لايرضى بقضاء الواحد وقيل الحسود لايسود وقيل فى قوله تعالى ـ قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن ـ قيل مابطن الحسد وفى بعض الكتب الحاسد عدو نعمتى وقيل أثر الحسد يتبين فيك قبل أن يتبين فى عدوك وقال الأصمعى رأيت أعرابيا أتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت له ماأطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقال ابن المبارك الحمد لله الذى لم يجعل فى قلب أميرى ماجعل فى قلب حاسدى وفى بعض الآثار: إن فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد وله ضوء كضوء الشمس فيقول قف فأنا ملك الحسد أضرب به وجه صاحبه فانه حاسد وقال معاوية كل إنسان أقدر على أن أرضيه إلا الحاسد فانه لايرضيه إلازوال النعمة و يقال الحاسد ظالم غشوم لايبقى ولايذر وقال عمر بن عبد العزيز مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وقيل من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد و يغتاب إذا غاب و يشمت بالمصيبة إذا نزلت وقال معاوية ليس فى خلال الشر خلة أعدل من الحسد تقتل الحاسد قبل المحسود وقيل أوحى الله عز وجل إلى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة أشياء لاتغتابن صالح عبادى ولاتحسدن أحدا من عبادى فقال سليمان يارب حسبى وقيل رأى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغبطه فقال ماصفته فقيل كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل الحاسد إذا رأى نعمة بهت و إذا رأى عثرة شمت وقيل إذا أردت أن تسلم من الحاسد فلبس عليه أمرك وقيل الحاسد مغتاظ على من لاذنب له بخيل بما لايملكه وقيل إياك أن تتعنى فى مودة من يحسدك فانه لايقبل إحسانك وقيل إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدوا لايرحمه سلط عليه حاسده وأنشدوا :

وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحمينا

وأنشدوا : كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

(الحسد) هو تمنى العبد زوال النعمة عن غيره سواء أراد رجوعها إليه أم لا وهو حرام لأن فيه نسبة الظلم إلى الله تعالى وقد يطلق مجازا على الغبطة وتسمى بالمنافسة كما فى خبر « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا ورجل آتاه الله علما » الحديث وهو تمنى العبد أن يكون له مثل مالغيره (الفلق) أى الصبح (عوذة) بفتح العين وضمها أى تعويذا (و إياكم والحرص) على اتباع الشهوات (لايسود) لادنيا ولاأخرى بل يعود عليه فيهما ضرر الحسد وهو ألم الهم والحزن فى الدنيا وألم العقوبة فى الآخرة .

وقال ابن المعتز : قل للحسود إذا تنفس طعنة يا ظالما وكأنه مظلوم

وأنشدوا : وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ومن الأخلاق المذمومة للنفس اعتياد الغيبة .

باب الغيبة

قال الله عز وجل ـ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ـ الآية . أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الاسماعيلى قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل قال حدثنا على بن الحسن قال حدثنا إسحق بن عيسى ابن بنت داود بن أبى هند قال حدثنا محمد بن أبى حميد عن موسى بن وردان عن أبى هريرة «أن رجلا قام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك جالس فقال بعض القوم ما أعجز فلانا فقال صلى الله عليه وسلم أكلتم أخاكم واغتبتموه» وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام «من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار » وقال عوف : دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين : إن الله تعالى حكم عدل فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج و إنك إذا لقيت الله عز وجل غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج. وقيل: دعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم فقالوا إنه ثقيل فقال إبراهيم إنما فعل بى هذا نفسى حيث حضرت موضعا يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام . وقيل مثل الذى يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمى به حسناته شرقا وغربا يغتاب واحدا خراسانيا وآخر حجازيا وآخر تركيا فيفرق حسناته و يقوم ولا شىء معه ، وقيل يوتى العبد يوم القيامة كتابه فلا يرى فيه حسنة فيقول أين صلاتى وصيامى وطاعاتى ؟ فيقال ذهب عملك كله باغتيابك للناس ، وقيل من اغتيب بغيبة غفر الله تعالى له نصف ذنوبه ، وقال سفيان بن الحسين : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فنلت من إنسان فقال هل غزوت العام الترك والروم ؟ فقلت لا فقال سلم منك الترك والروم وما سلم منك أخوك المسلم . وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك الناس وأنت لم تشعر ، وسئل سفيان الثورى عن قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله يبغض أهل البيت اللحميين» فقال هم الذين يغتابون الناس يأكلون لحومهم، وذكرت الغيبة عند عبد الله ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدى لأنهما أحق بحسناتى ، وقال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال إن لم تنفعه فلا تضره ، و إن لم تسره فلا تغمه ، و إن لم تمدحه فلا تذمه ، وقيل للحسن البصرى إن فلانا اغتابك فبعث إليه طبق حلواء ، وقال بلغنى أنك أهديت إلى حسناتك فكافأتك، أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا أحمد بن عمرو القطوانى قال حدثنا سهل بن عثمان العسكرى قال حدثنا الربيع بن بدر عن أبان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له» سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد الدقى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول قال الجنيد : كنت جالسا فى مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به فلما انصرفت إلى منزلى وكان لى شىء من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبتنى

(أول من يدخل النار) فيه دلالة على شدة أمر الغيبة وعلى أن من دخل النار بسببها يطول مكثه فيها ومن تاب منها يتأخر دخوله الجنة لما تقدم له منها وللمقاصة بما عليه من الحقوق لمن اغتابه (فتناولت الحجاج) أى اغتبته (من أعظم ذنب أصابه الحجاج) إذ لا تزر وازرة وزر أخرى فالأولى لكل أحد أن يشتغل بنفسه و إن عظمت ذنوب غيره فانه إنما يطالب بجرمه و إن قل لا بجرم غيره و إن كثر (وما سلم منك أخوك المسلم) فيه تأديب حسن و إرشاد إلى تغيير المنكر فى الغيبة على الفور فانه لو قال له إنك مغتاب ربما نفرت نفسه منه

عيناى فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبته إنما قلت فى نفسى شيئا فقيل لى ما أنت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله فأصبحت ولم أزل أتردّد حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء عند تزايد الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال يا أبا القاسم تعود فقلت لا فقال غفر الله تعالى لنا ولك .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا طاهر الاسفرايني يقول سمعت أبا جعفر البلخى يقول كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد إلا أنه كان أبدا يغتاب الناس ويقول فلان كذا وفلان كذا فرأيته يوما عند المخنثين الغسالين خرج من عندهم فقلت يافلان ماحالك ؟ فقال تلك الوقيعة فى الناس أوقعتنى إلى هذا ابتليت بمخنث من هؤلاء وأنا هو ذا أخدمهم من أجله وتلك الأحوال كلها قد ذهبت فادع الله أن يرحمنى .

باب القناعة

قال الله تعالى ـ من عمل صالحا من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ـ قال كثير من أهل التفسير: الحياة الطيبة فى الدنيا القناعة. أخبرنا الشيخ أبوعبد الرحمن السلمى قال حدّثنا أبوعمرو محمد بن جعفر بن مطر قال حدّثنا محمد بن موسى الحلوانى قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الغفارى عن المنكدر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القناعة كنز لايفنى » أخبرنا أبوالحسن الأهوازى قال حدّثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدّثنا عبد الله بن أيوب القرنى قال حدّثنا أبو الربيع الزهرانى قال حدثنا إسمعيل بن زكريا عن أبى رجاء عن برد ابن سنان عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحبّ للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقلّ الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب » وقيل الفقراء أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة . وقال بشر الحافى : القناعة ملك لايسكن إلا فى قلب مؤمن . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الشعرانى يقول سمعت إسحق بن إبراهيم بن حسان الأنماطى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد ، هذا أوّل الرضا وهذا أوّل الزهد ، وقيل القناعة السكون عند عدم المألوفات وقال أبو بكر المراغى : العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف ، وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل ، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد . وقال أبوعبد الله بن خفيف : القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود . وقيل فى معنى قوله تعالى ـ ليرزقنهم الله رزقا حسنا ـ يعنى القناعة، وقال محمد بن على الترمذى القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق ، ويقال القناعة الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع فيما ليس بحاصل ، وقال وهب : إن العز والغنى خرجا يجولان يطلبان رفيقا فلقيا القناعة فاستقرا ، وقيل من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة ، ومن رجع إلى الله تعالى على كل حال رزقه الله القناعة ، وقيل مرّ أبو حازم بقصاب ومعه لحم سمين ، فقال خذ يا أبا حازم فانه سمين ، فقال ليس معى درهم ، فقال أنا أنظرك فقال نفسى أحسن نظرة لى منك ، وقيل من أقنع الناس؟ فقيل أكثرهم للناس معونة وأقلهم عليهم مؤنة ، وفى الزبور : القانع غنىّ وإن كان جائعا ، وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع :

(القناعة) هى الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما وهى ممدوحة ومطلوبة (كنز لايفنى) وقال صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه » أى وهو مالاحاجة له به وقال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وثمرة القناعة فى الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق وما يتبعها من التعب وفى الآخرة السلامة من طول الحساب (أعبد الناس) لأن الورع يجتنب مايضره شرعا فيكون أعبد الناس أشكر الناس لأن القنع يكتفى بما فتح الله به عليه فتكثر نعم الله عليه فيكون أشكر الناس بخلاف الشره لأنه لايرى من النعم إلا العظائم فيقلّ شكره

العزّ فى الطاعة ، والذلّ فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل ، والحكمة فى البطن الخالى ، والغنى فى القناعة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت نصر بن محمد يقول سمعت سليمان ابن أبى سليمان يقول سمعت أبا القاسم بن أبى نزار يقول سمعت إبراهيم المارستانى يقول : انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوّك بالقصاص ، وقال ذوالنون المصرى : من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه ، وقيل : من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل ، وقال الكتانى : من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعزّ والمروءة . وقيل : من تبعت عيناه مافى أيدى الناس طال حزنه ، وأنشدوا :

وأحسن بالفتى من يوم عار ينال به الغنى كرم وجوع٧

وقيل : رأى رجل حكيما يأكل ماتساقط من البقل على رأس ماء فقال لوخدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لوقنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان ، وقيل : العقاب عزيز فى مطاره لايسمو إليه طرف صياد ولاطمعه فاذا طمع فى جيفة علقت على حبالة نزل من مطاره فتعلق فى حبالة ، وقيل : لما نطق موسى عليه السلام بذكر الطمع فقال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال الخضر له هذا فراق بينى و بينك ، وقيل : لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بين يدى موسى والخضر عليهما السلام ظبى وكانا جائعين الجانب الذى يلى موسى عليه السلام غير مشوى والجانب الذى يلى الخضر مشوى ، وقيل فى قوله تعالى ـ إنّ الأبرار لفى نعيم ـ هوالقناعة فى الدنيا ـ و إنّ الفجار لفى جحيم ـ هو الحرص فى الدنيا ، وقيل فى قوله ـ فك رقبة ـ أى فكها من ذل الطمع ، وقيل فى قوله ـ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ـ يعنى البخل والطمع ـ و يطهركم تطهيرا ـ يعنى بالسخاء والإيثار ، وقيل فى قوله تعالى ـ هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى ـ أى مقاما فى القناعة أنفرد به من أشكالى وأكون راضيا فيه بقضائك ، وقيل فى قوله تعالى ـ لأعذبنه عذابا شديدا ـ يعنى لأسلبنه القناعة ولأبتلينه بالطمع يعنى أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك ، وقيل لأبى يزيد : بم وصلت إلى ماوصلت ؟ فقال جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها فى منجنيق الصدق ورميت بها فى بحر اليأس فاسترحت . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن فرحان بسامرة يقول سمعت خالى عبد الوهاب يقول : كنت جالسا عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين فجاء إنسان بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه وقال تفرّقها على هؤلاء الفقراء فقال ألك غيرها ؟ قال نعم لى دنانير كثيرة فقال أتريد غيرماتملك ؟ فقال نعم فقال الجنيد خذها فانك أحوج إليها منا ولم يقبلها .

باب التوكل

قال الله عزّوجل ـ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ـ وقال ـ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ وقال ـ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ـ أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال حدّثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال حدّثنا أبو داود الطيالسى قال حدّثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتى قد ملئوا السهل والجبل فأعجبنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت فقلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب لايكتوون ولايتطيرون ولايسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن

(فتعلق فى حبالة) أى فى شباكة فكذلك القنوع لايزال عزيز النفس سالما من المذلة حتى يلوح له شىء من الدنيا فيطمع فى نيلها فيزول عزّه و يحل به ذله ولهذا لما دخل الحسن البصرى مكة ورأى رجلا من أولاد فاطمة قد أسند ظهره إلى الكعبة وهو يعظ الناس فسأله ماملاك الدين ؟ فقال الورع فقال ومافساده فقال الطمع فقال له مثلك يصلح أن يعظ الناس (هو) أى الجحيم (الحرص فى) وفى نسخة على (الدنيا) هذا تفسير باللازم لأن من قنع باليسير استراح مرّه وقلّ تعبه وكان منعما ومن اشتدّ حرصه كثر تعبه وقلت راحته وكان معذبا

الأسدى فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة» . سمعت عبدالله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبانصر السراج يقول حدثنى أبو بكر الوجيهى قال قال أبوعلى الروذبارى قلت لعمرو بن سنان احكلى عن سهل بن عبد الله حكاية فقال إنه قال علامة المتوكل ثلاث لايسأل ولايرد ولايحبس. سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول سمعت أباموسى الدبيل يقول قيل لأبى يزيد ما التوكل فقال لى ماتقول أنت قال قلت إن أصحابنا يقولون لوأن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ماتحرك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لوأن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل . وقال سهل بن عبد الله : أوّل مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله عزوجل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولاتدبير . وقال حمدون : التوكل هو الاعتصام بالله تعالى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البلخى يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل؟ فقال ـ ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون ـ . واعلم أن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لاتنافى التوكل بالقلب بعد ماتحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى وإن تعسر شىء فبتقديره وإن اتفق شىء فبتيسيره ، أخبرنا على بن عبدان قال حدّثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال حدثنا اسمعيل بن مسعود الجحدرى قال حدثناخالد بن يحيى قال حدثنى عمى المغيرة بن أبى قرة عن أنس بن مالك قال «جاء رجل على ناقة له فقال :يارسول الله أدعها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل» وقال ابراهيم الخواص من صح توكله فى نفسه صح توكله فى غيره وقال بشر الحافى يقول أحدهم توكلت على الله تعالى يكذب على الله تعالى لوتوكل على الله تعالى لرضى بما يفعل الله تعالى به وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال إذا رضى بالله تعالى وكيلا . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على بن الحسين يقول سمعت عبدالله بن محمد الصامت يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول بينما أنا أسير فى البادية وإذا بهاتف يهتف فالتفت إليه فإذا أعرابى يسير فقال لى يا إبراهيم التوكل عندنا أقم عندنا حتى يصح توكلك ألم تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل وسمعته يقول سمعت محمدبن أحمد الفارمى يقول سمعت ابن عطاء وسئل عن حقيقة التوكل فقال أن لايظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدّة فاقتك إليها ولاتزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول شرط التوكل ماقاله أبوتراب النخشبى وهو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فان أعطى شكر وإن منع صبر وكما قال ذوالنون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ماهو فيه . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت أحمد بن محمد القرمسينى يقول سمعت الكتانى يقول سمعت أبا جعفر بن الفرج يقول رأيت رجلا يعرف بجمل عائشة من الشطار يضرب بالسياط فقلت له أىّ وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل؟ فقال إذا كان من ضربنا لأجله يرانا . وسمعته يقول سمعت عبدالله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور لابراهيم الخواص

(اعقلها وتوكل) فيه دلالة على أن السبب لكونه فعل الجارحة لاينافى التوكل لكونه فعل القلب بل قديجب السبب (يحملك) أى على الإقامة فيه (اقطع رجاءك الخ) ليس المراد أن الأسباب تنافى التوكل على الله بل المراد أنه ينبغى للعبد أن يمتحن نفسه فى دعوى التوكل عليه والاعراض عن الأسباب فى الأماكن التى يغلب فيها الانقطاع عن الأسباب بخلاف غيرها كالبلدان لأن النفس ساكنة فيه إلى المعتاد والمعارف فان رأى نقصا كملها أوصحة شكر

ماذا صنعت فى هذه الأسفار وقطع هذه المفاوز قال بقيت فى التوكل أصحح نفسى عليه فقال الحسين أفنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبانصرالسراج يقول التوكل ماقاله أبو بكرالدقاق وهو رد العيش إلى يوم واحد و إسقاط همّ غد قال وهو كماقال سهل بن عبد الله التوكل الاسترسال مع الله تعالى على مايريد . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر البردعى يقول سمعت أبايعقوب النهرجورى يقول التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة ماوقع لابراهيم عليه السلام فى الوقت الذى قال لجبريل عليه السلام : أما إليك فلا لأنه غابت نفسه بالله تعالى فلم يرمع الله غيرالله عزوجل . وسمعته يقول سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد ابن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصرى وسأله رجل فقال ما التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب فقال السائل زدنى فقال إلقاء النفس فى العبودية و إخراجها من الربوبية . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول سمعت حمدون القصار وسئل عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت و يبقى ذلك فى عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لاتيأس من الله تعالى أن يقضيه عنك . وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى فى كل حال فقال السائل زدنى فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هوالمتولى لذلك وقال سهل بن عبد الله التوكل حال النبى صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته وقال أبو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب وقيل التوكل أن يستوى عندك الإكثار والتقلل وقال ابن مسروق التوكل الاستسلام لجريان القضاء والأحكام. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبدالله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن غالب يحكى عن الحسين ابن منصور قال المتوكل المحق لايأكل وفى البلد من هو أحق به منه وسمعته يقول سمعت عبد الله ابن على يقول سمعت منصور بن أحمد الحربى يقول حكى لنا ابن أبى شيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له حدثنا بأعجب مارأيته فى أسفارك فقال لقينى الخضر عليه السلام فسألنى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى بسكونى إليه ففارقته . وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه . وسمعته يقول التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية . وسئل الدقاق عن التوكل فقال الأكل بلا طمع وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام فى الزهد حرفة وصحبة القوافل تعرض وهذه كلها علاقات . وجاء رجل إلى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال فقال ارجع إلى بيتك فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان . وسمعته يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت جعفرا الخلدى يقول قال إبراهيم الخواص كنت فى طريق مكة فرأيت شخصا وحشيا فقلت جنى أو إنسى فقال جنى فقلت إلى أين فقال إلى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضا من يسافر على

(ماوقع لإبراهيم الخ) وهو مكتف مربوط فى كفة المنجنيق بين السماء والأرض يهوى إلى نار لم يتمكنوا من إيصاله إليها إلا بكفة المنجنيق من شدة حرها كما أشار إلى ذلك بقوله فى الوقت إلى الخ (خلع الأرباب) وهو ماسوى الله تعالى لما يملك القلب عادة و يصير مسخرا له من درهم ودينار وغيرهما كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة» فجعله عبدا وجعلها أربابا .

التوكل فقلت إيش التوكل؟ فقال الأخذ من الله تعالى . سمعته يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغانى يقول كان إبراهيم الخواص مجردا فى التوكل يدقق فيه وكان لاتفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له ياأبا إسحق لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شىء فقال مثل هذا لاينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرّق ثوبه فان لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته فاذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته . وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الأولياء والتفويض صفة الموحدين فالتوكل صفة العوام والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خواص الخواص . وسمعته يقول التوكل صفة الأنبياء والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول مكثت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل وأنا أعمل فى السوق آخذ كل يوم أجرتى ولا أنتفع منها بشربة ماء ولا بدخلة حمام وكنت أجىء بها إلى الفقراء فى الشونيزية وأكون على حالى . وسمعته يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الخواص يقول سمعت الحسن أخا سنان يقول حججت أربع عشرة حجة حافيا على التوكل فكان يدخل فى رجلى الشوك فأذكر أنى اعتقدت على نفسى التوكل فأحكها فى الأرض وأمشى . وسمعته يقول سمعت محمد بن عبدالله الواعظ يقول سمعت خيرا النساج يقول سمعت أباحمزة يقول إنى لأستحيى من الله تعالى أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون سعيى على الشبع زادا أتزوّده . وسئل حمدون عن التوكل فقال تلك درجة لم أبلغها بعد وكيف يتكلم فى التوكل من لم يصح له حال الإيمان وقيل المتوكل كالطفل لايعرف شيئا يأوى إليه إلا ثدى أمه كذلك المتوكل لايهتدى إلا إلى ربه تعالى وعن بعضهم قال : كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحدا فتسارعت حتى أدركته فاذا هى امرأة بيدها عكازة تمشى على التؤدة فظننت أنها أعيت فأدخلت يدى فى جيبى فأخرجت عشرين درهما فقلت خذيها وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتينى الليلة حتى أصلح أمرك فقالت بيدها هكذا فى الهواء فاذا فى كفها دنانير فقالت أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب . ورأى أبو سليمان الدارانى رجلا بمكة شرفها الله تعالى لايتناول شيئا إلا شربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام فقال له أبو سليمان يوما أرأيت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله تعالى خيرا حيث أرشدتنى فانى كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى . وقال إبراهيم الخواص رأيت فى طريق الشام شابا حدثا حسن المراعاة فقال لى هل لك فى الصحبة فقلت إنى أجوع فقال إن جعت جعت معك فبقينا أربعة أيام ففتح علينا بشىء فقلت هلم فقال اعتقدت أنى لا آخذ بواسطة فقلت ياغلام دققت فقال بإبراهيم لاتتبهرج فان الناقد بصير مالك والتوكل ثم قال أقلّ التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات . وقيل التوكل نفى الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك . وقيل دخل جماعة على الجنيد فقالوا أين نطلب الرزق فقال إن علمتم أى موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى ذلك فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة فقال ترك الحيلة . وقال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن أبى الحوارى ياأحمد إن طرق الآخرة

(فتفسد عليه صلاته) و إذا كانامعه تدارك ذلك بهما (تفسد عليه طهارته) و إذا كانت معه تدارك ذلك و إذا لم يكن معه مقراض فيطول شاربه فيفوت قصه المأمور به فالأمور المذكورة محتاج إليها فى تحصيل العبادة المأمور بها (فاتهمه فى كمال صلاته) صفة الموحدين لأن المتوكل يرى السبب و يعتمد على الله تعالى فى أموره والولى مسلم إلى الله تعالى فى سائر أموره والموحد صارت نفسه محلا لجريان قدر الله تعالى فيه لكمال تفويضه (إلا إلى من إليه الكفايات) وهو الله تعالى وفى ذلك دلالة على أن الله تعالى أرى إبراهيم مع كمال قوته ورفعة حاله أقوى من حاله ليتزايد فى حاله و يتأدب مع ربه وفيه دلالة على أن لله أن يؤدب الكبار بالصغار فى السن كما مرّ نظيره فى حكاية المرأة .

كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك فانى ما شممت منه رائحة . وقيل التوكل الثقة بما فى يد الله تعالى واليأس عما فى أيدى الناس . وقيل التوكل فراغ السر عن التفكر فى التقاضى فى طلب الرزق . وسئل الحرث المحاسبى عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا يضره شىء ويقويه على إسقاط الطمع اليأس عما فى أيدى الناس . وقيل جاع النورى فى البادية فهتف به هاتف أيما أحب إليك سبب أو كفاية فقال الكفاية فليس فوقها نهاية فبقى سبعة عشر يوما لم يأكل . وقال أبو على الروذبارى إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه بالسوق ومروه بالعمل والكسب . وقيل نظر أبو تراب النخشبى إلى صوفى مدّ يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق وقال أبو يعقوب الأقطع البصرى جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فحدثتنى نفسى فخرجت إلى الوادى لعلى أجد شيئا يسكن ضعفى فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة أيام فآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا أنا برجل أعجمى جلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا إن خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشىء ونذرت أنا إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع بصرى عليه من المجاورين وأنت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك سميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى إلى صبيانك هو هدية منى لكم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول كنت عند نمشاد الدينورى فجرى حديث الدين فقال كان على دين فاشتغل قلبى فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم . ويحكى عن بنان الحمال قال كنت فى طريق مكة حرسها الله تعالى أجىء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يجىء صاحبه فربما يعطينى شيئا فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول حتى يجىء صاحبه فآخذ منه شيئا ثم رمت لى شيئا من الدراهم وقالت أنفقها فاكتفيت بها إلى قريب من مكة . ويحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجىء النفر فنشترى ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة من سمرقند فحملت إلى بنان وذكرت له القصة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسين المخزومى يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال حدثنا محمد بن عبدون قال حدثنا الحسن الخياط قال كنت عند بشر الحافى فجاء نفر فسلموا عليه فقال من أين أنتم قالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله تعالى لكم فقالوا تخرج معنا فقال بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئا ولا نسأل أحدا شيئا وان أعطانا أحد شيئا لا نقبل قالوا أما أن لا نحمل فنعم وأما أن لا نسأل فنعم وأما أن لا نقبل إن أعطينا فهذا لا نستطيعه فقال خرجتم متوكلين على زاد الحجيج ثم قال يا حسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فذاك من جملة الروحانيين وفقير لا يسأل وان أعطى قبل

(وقيل التوكل الخ) أطلق التوكل على التفويض كما يطلق على التسليم وإن كانا أعلى منه كما مر لأنهما من ثمراته واعتبر نفى الشك لأن التوكل إنما يكون عن قوة اليقين وهو بعيد عن الشك (متوكلين على زاد الحجيج) لأنهم إذا رأوكم لا تحملون زادا علموا حاجتكم فأعطوكم (الروحانيين) بضم الراء وهم من ارتفعت همتهم عن الخلق وعاشوا بدوام ذكرهم لمولاهم

فذاك توضع له موائد فى حظائر القدس وفقير يسأل و إن أعطى قبل قدر الكفاية فكفارته صدقه . وقيل لحبيب العجمى لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة . وقيل كان فى الزمن الأول رجل فى سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكل الله تعالى به ملكا وقال إن أكله فارزقه و إن لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه حتى مات ولم يأكله و بقى عنده القرص . وقيل من وقع فى ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها . والفرق بين التضييع والتفويض أن التضييع فى حق الله تعالى وذلك مذموم والتفويض فى حقك وهو محمود . وقال عبد الله ابن المبارك من أخذ فلسا من حرام فليس بمتوكل . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت نصر بن أبى نصر العطار يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأنى وصلت ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعوا صوتا فى نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاءنى جماعة فأخرجونى وحملونى إلى القرية . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسين المخزومى يقول سمعت ابن المالكى يقول قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر فنزعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذه البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا بقصب و بارية وطموا رأس البئر فهممت أن أصيح ثم قلت فى نفسى أصيح إلى من هو أقرب منهما وسكنت فبينما أنا بعد ساعة إذ أنا بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول لى تعلق بى فى همهمة له كنت أعرف ذلك منه فتعلقت به فأخرجنى فاذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول :

أهابك أن أبدى إليك الذى أخفى ... وسرى يبدى مايقول له طرفى
نهانى حيائى منك أن أكتم الهوى ... وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى ... إلى غائبى واللطف يدرك باللطف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنما ... تبشرنى بالغيب أنك فى الكف
أراك و بى من هيبتى لك وحشة ... فتؤنسنى باللطف منك و بالعطف
وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعدان التاهرتى يقول سمعت حذيفة المرعشى يقول وقد خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه فقيل له ماأعجب مارأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة حرسها الله تعالى أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلىّ إبراهيم بن أدهم وقال ياحذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو مارأى الشيخ فقال علىّ بداوة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا نائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يابارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار

(القدس) أى الطهر فقلبه مطهر من التدنس بالأغيار ناظر إلى ما يجريه الله عليه بحسن الاختيار (فكفارته) أى كفارة سؤاله (صدقه) بأن لا يسأل حتى يصدق فى جوعه واحتياجه وعلامة صدقه فيهما أن يأخذ ماتندفع به ضرورته فى وقته وفيما قاله دليل على اختلاف مقامات المتوكلين (الحتف) أى الموت فالعبد لايعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الأبيات أن الله تعالى يرى العبد من عجائب قدرته ولطفه مايغنيه عن فكره وكشفه ومن الحكاية السابقة أن المتوكل يرى أن الأفعال كلها من الله فانه المحرك له والمسكن وقد كان قادرا على أن يحفظ هذا من الوقعة فى البئر لكنه أوقعه فيها ليظهر تحقيق توكله عليه ولهذا لم يصح فى البئر حين سد رأسها مع أنه كان متمكنا من إزالة البارية عن رأسها بلا كلفة إذ تعين عليه الطلوع

والنار عندى كالسؤال فهل ترى أن لاتكلفنى دخول النـــار

ثم دفع إلىّ الرقعة وقال اخرج ولاتعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أوّل من يلقاك قال فخرجت فأوّل من لقينى رجل كان على بغلة فدفعتها إليه فأخـذها و بكى وقال : مافعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع إلىّ صرّة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فقلت من صاحب هذه البغلة فقال نصرانى جئت إلى إبراهيم بن أدهم وأخبرته بالقصة فقال : لاتمسها فانه يجىء الساعة ، فلما كان بعد ساعة وافى النصرانى وأكبّ على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم .

باب الشكر

قال الله عز وجل ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ حدثنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسن الصفار قال حدثنا الأسقاطى قال حدّثنا منجاب قال حدثنا يحيى بن يعلى عن أبى خباب عن عطاء قال دخلت على عائشة رضى الله عنها مع عبيد بن عمير فقلت «أخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأىّ شأنه لم يكن عجبا إنه أتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى أوقالت فى لحافى حتى مسّ جلدى جلده ثم قال يابنت أبى بكر ذرينى أتعبد لربى قالت قلت إنى أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل علىّ ـ إن فى خلق السموات والأرض ـ» الآية قال الأستاذ حقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى هـذا القول يوصف الحق سبحانه بأنه شكور توسعا ومعناه أنه يجازى العباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا كما قال ـ وجزاء سيئة سيئة مثلها ـ . وقيل شكره إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير من قولهم دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ماتعطى من العلف و يحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه له ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى و إحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان و إقرار القلب بإنعام الرب تعالى والشكر ينقسم إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة و يقال شكر هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم وشكر هو نعت العابدين يكون نوعا من أفعالهم وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له فى عموم أحوالهم وقال أبو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيليا وقال الجنيد الشكر فيه علة لأنه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله تعالى على حظ نفسه وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر و يقال الشكر على الشكر أتم من الشكر وذلك بأن ترى شكرك بتوفيقه و يكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلى مالاينتهى وقيل الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة . وقال الجنيد الشكر أن لاترى نفسك أهلا للنعمة وقال رويم الشكر استفراغ الطاقة . وقيل الشاكر الذى يشكر على

(أن لاترى نفسك أهلا للنعمة) لأن من لم ير ذلك ورأى أن النعمة فضل من الله استحيا من الله أن يكون شكره جزاء عليها لأنه إذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج إلى شكر فهو يتبرأ من أن يكون شاكرا أبدا

الموجود والشكور الذى يشكر على المفقود . ويقال الشاكر الذى يشكر على الرفد والشكور الذى يشكر على الرد ويقال الشاكر الذى يشكر على النفع والشكور الذى يشكر على المنع ويقال الشاكر الذى يشكر على العطاء والشكور الذى يشكر على البلاء ويقال الشاكر الذى يشكر عند البذل والشكور الذى يشكر عند المطل . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدى السرى ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى ياغلام ما الشكر فقلت أن لاتعصى الله بنعمة فقال يوشك أن يكون حظك من الله تعالى لسانك قال الجنيد فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى وقال الشبلى الشكر رؤية النعم لارؤية النعمة وقيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقال أبوعثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على مايرد على قلوبهم من المعانى . وقيل قال داود عليه السلام إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله إليه الآن قد شكرتنى وقيل قال موسى عليه السلام فى مناجاته إلهى خلقت آدم بيدك فعلمت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى . وقيل كان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب إليه فقال اشكر الله تعالى فجىء بمجوسى مبطون وقيد وجعلت حلقة من قيده على رجل هذا وحلقة على رجل المجوسى فكان يقوم المجوسى بالليل مرات وهذا يحتاج أن يقوم على رأسه حتى يفرغ فكتب إلى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال إلى متى تقول وأى بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لووضع الزنار الذى فى وسطه فى وسطك كاوضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ماذا كنت تصنع؟ . وقيل دخل رجل على سهل بن عبدالله فقال إن اللص دخل دارى وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لودخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع . وقيل شكر العينين أن تستر عيبا تراه بصاحبك وشكر الأذنين أن تستر عيبا تسمعه فيه . وقيل الشكر التلذذ بثنائه على مالم يستوجبه من عطائه . سمعت السلمى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين ابن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول كان السرى إذا أراد أن ينفعنى يسألنى فقال لى يوما ياأبا القاسم إيش الشكر فقلت أن لايستعان بشىء من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من مجالستك وقيل التزم الحسن بن على الركن وقال إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا وابتليتنى فلم تجدنى صابرا فلاأنت سلبت النعمة بترك الشكر ولاأدمت الشدة بترك الصبر إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم . وقيل إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر . وقيل أربعة لاثمرة لأعمالهم مسارّة الأصم وواضع النعمة عند من لايشكر والباذر فى السبخة والمسرج فى الشمس وقيل لمابشر إدريس عليه السلام بالمغفرة سأل الحياة فقيل له فيه فقال لأشكره فانى كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه وحمله إلى السماء . وقيل مرّ بعض الأنبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى معه فقال مذ سمعت الله تعالى يقول — نارا وقودها الناس والحجارة — أنا أبكى من خوفه قال فدعا ذلك النبى أن يجير الله ذلك الحجر فأوحى الله تعالى إليه إنى أجرته من النار لمرذلك النبى فلما عاد وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك فعجب فأنطق الله تعالى ذلك الحجر معه فقال له لم تبكى وقد غفر الله تعالى لك فقال ذلك كان بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور . وقيل الشاكر مع المزيد لأنه فى شهود النعمة قال الله عز وجل — لئن شكرتم لأزيدنكم — والصابر مع الله تعالى لأنه بشهود المبتلى قال الله عز وجل — إن الله مع الصابرين — وقيل قدم وفد على

(قيد الموجود) أى حفظه (وصيد المفقود) الممكن الموعود به من الزيادة فى قوله — لئن شكرتم لأزيدنكم — من توفيقى وطاعتى وهذا من ثمرات الشكر لانفسه (إلهى نعمتنى الخ) ضمن ذلك كمال الثناء على الله حيث اعترف فيه بالنعمة وبالتقصير عن الشكر وبأنه غير صابر على البلاء وبأن الله هو الفاعل للخير والشر ثم اعترف بفضل الله فى حالة نقصه فقال فلا أنت سلبت الخ (عن المكافأة للناس) بأن عجزت عنها (فليطل لسانك بالشكر) لأنه الممكن والشكر الكامل عند الإمكان يكون بالقلب واللسان والأفعال

عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر الكبير الكبر فقال الشاب يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة . أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك . وأما الرهبة فقد أمنا منها عدلك فقال فمن أنتم ؟ فقال وفد الشكر جئناك نشكرك وننصرف ، وأنشدوا :

ومن الرزية أن شكرى صامت عما فعلت وأن برّك ناطق
وأرى الصنيعة منك ثم أسرّها إنى إذن ليد الكريم لسارق

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أرحم عبادى المبتلى والمعافى فقال مابال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتى إياهم . وقيل : الحمد على الأنفاس والشكر على نعم الحواس . وقيل : الحمد ابتداء منه والشكر افتداء منك ، وفى الخبر الصحيح « أوّل من يدعى إلى الجنة الحامدون لله تعالى على كل حال » . وقيل : الحمد على مادفع والشكر على ماصنع . وحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت فى بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال إنى كنت فى ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى وهى لى كذلك تهواني فاتفق أنها زوّجت منى فليلة زفافها قلنا نعال حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ماجمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرّغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الصفة كل ليلة أليس كذلك يافلانة ؟ فقالت العجوز كما يقول الشيخ .

باب اليقين

قال الله تعالى ـ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ـ حدّثنا الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك قال حدثنا أبو بكر أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازى بها قال حدّثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال حدّثنا خالد يعنى ابن يزيد قال حدثنا سفيان الثورى وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة عن سليمان التيمى عن خيثمة عن عبد الله ابن مسعود عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لاترضين أحدا بسخط الله تعالى ولاتحمدن أحدا على فضل الله عزّ وجل ولاتذمنّ أحدا على مالم يؤتك الله تعالى فان رزق الله تعالى لايسوقه إليك حرص حريص ولايردّه عنك كراهة كاره وإن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهمّ والحزن فى الشك والسخط » . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازى قال حدّثنا عياش بن حمزة قال حدّثنا أحمد بن أبى الحوارى قال قال أبو عبد الله الأنطاكى : إن أقلّ اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نورا وينفى عنه كل ريب ويمتلئ القلب به شكرا ومن الله تعالى خوفا . ويحكى عن أبى جعفر الحدّاد قال : رآنى أبو تراب النخشبى وأنا فى البادية جالس على بركة ماء ولى ستة عشر يوما لم آكل ولم أشرب فقال لى ماجلوسك ؟ فقلت أنا بين العلم واليقين أنتظر مايغلب فأكون معه يعنى إن غلب العلم شربت وإن غلب اليقين مررت فقال سيكون لك شأن وقال أبو عثمان الحيرى : اليقين قلة الاهتمام لغد وقال سهل ابن عبد الله : اليقين من زيادة الإيمان ومن تحقيقه ، وقال سهل أيضا : اليقين شعبة من الإيمان وهو دون التصديق . وقال بعضهم : اليقين هو العلم المستودع فى القلوب يشير هذا القائل إلى أنه غير مكتسب . وقال سهل : ابتداء اليقين المكاشفة ولذلك قال بعض السلف : لو كشف الغطاء مازددت يقينا ثم المعاينة والمشاهدة ، وقال أبو عبد الله بن خفيف : اليقين تحقق الأسرار بأحكام المغيبات .

(يملأ القلب نورا) أى يصير القلب به على بصيرة من الأمور بحيث يصير به المعلوم مشاهدا أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية وامتناع العلائق الطبيعية (شأن) أى ارتفاع ومن شأنه مواصلته ستة عشر يوما ولم يأذن لنفسه فى الشرب بل انتظر مايفعل الله به ليتقوّى يقينه بخوارق العادات (قلة الاهتمام) بالمطعم ونحوه (لغد) هذا من جملة اليقين وإلا فاليقين متعلقات كثيرة

وقال أبو بكر بن طاهر: العلم بمعارضة الشكوك ، واليقين لاشك فيه أشار إلى العلم الكسبي ومايجرى مجرى البديهي وكذلك علوم القوم فى الابتداء كسبي وفى الانتهاء بديهي . سمعت محمد بن الحسين يقول قال بعضهم : أوّل المقامات المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الاخلاص ثم الشهادة ثم الطاعة والايمان اسم يجمع هذا كله أشار هذا القائل إلى أن أوّل الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمعرفة لاتحصل إلا بتقديم شرائطها وهو النظر الصائب ، ثم إذا توالت الأدلة وحصل البيان صار بتوالى الأنوار وحصول الاستبصار كالمستغنى عن تأمل البرهان وهو حال اليقين ثم تصديق الحق سبحانه فيما أخبر عند إصغائه إلى إجابة الداعى فيما يخبر من أفعاله سبحانه فى المستأنف لأن التصديق إنما يكون فى الاخبار ثم الاخلاص فيما يتعقبه من أداء الأوامر ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة ثم أداء الطاعات بالتوحيد فيما أمر به والتجرد عما زجر عنه ، و إلى هذا المعنى أشار الإمام أبو بكر بن فورك فيما سمعته يقول : ذكر اللسان فضلة يفيض عليها القلب . وقال سهل بن عبد الله : حرام على قلب أن يشمّ رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى . وقال ذو النون المصرى : اليقين داع إلى قصر الأمل ، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد ، والزهد يورث الحكمة ، والحكمة تورث النظر فى العواقب . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول : ثلاثة من أعلام اليقين : قلة مخالطة الناس فى العشرة ، وترك المدح لهم فى العطية ، والتنزه عن ذمهم عند المنع . وثلاثة من أعلام يقين اليقين : النظر إلى الله تعالى فى كل شىء ، والرجوع إليه فى كل أمر ، والاستعانة به فى كل حال . وقال الجنيد : اليقين هو استقرار العلم الذى لاينقلب ولايحول ولا يتغير فى القلب ، وقال ابن عطاء : على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين . وأصل التقوى مباينة النهى ، ومباينة النهى مباينة النفس ، فعلى قدر مفارقتهم النفس وصلوا إلى اليقين ، وقال بعضهم : اليقين هو المكاشفة ، والمكاشفة على ثلاثة أوجه : مكاشفة بالاخبار ، ومكاشفة باظهار القدرة ، ومكاشفة القلوب بحقائق الايمان . واعلم أن المكاشفة فى كلامهم عبارة عن ظهور الشىء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب ، وربما أرادوا بالمكاشفة مايقرب مما يراه الرائى بين اليقظة والنوم ، وكثيرا مايعبر هؤلاء عن هذه الحالة بالثبات ، سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول سألت أبا عثمان المغربى ، فقلت ماهذا الذى تقول ؟ قال الأشخاص أراهم كذا وكذا ، فقلت تراهم معاينة أو مكاشفة ؟ فقال مكاشفة وقال عامر بن عبد قيس : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، وقيل اليقين رؤية العيان بقوّة الايمان ، وقيل اليقين زوال المعارضات . وقال الجنيد : اليقين ارتفاع الريب فى مشهد الغيب . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عيسى ابن مريم عليه السلام «لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء» قال رحمه الله تعالى : إنه أشار بهذا إلى حال نفسه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لأن فى لطائف المعراج أنه قال « رأيت البراق قد بقى ومشيت » . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علىّ بن جعفر يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول وقد سئل عن اليقين فقال : اليقين سكونك عند جولان الموارد فى صدرك لتيقنك أن حركتك فيها لاتنفعك ولا تردّ عنك مقضيا ، وسمعته يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا جعفر الأصبهانى يقول سمعت علىّ بن سهل يقول الحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطنات واليقين خطرات كأنه جعل اليقين ابتداء الحضور والحضور دوام ذلك ، فكأنه جوّز حصول اليقين

(وترك المدح لهم فى العطية) و إن أمر الآخذ منهم بشكرهم والدعاء لهم ولا يلزم منهما المدح لأنهما يحصلان بنحو جزاك الله خيرا وأكرمك الله وأعاننا على مكافأتك والمدح ذكر المحاسن التى تقرن غالبا بدخول العجب على الممدوح (والتنزه الخ) أى منعهم من الإعطاء لأن المانع فى الحقيقة هنا غيرهم وهو الله تعالى ولا يليق الذم بغير الفاعل وذمّ الفاعل مجازا يخشى منه ذم الفاعل حقيقة و بالجملة من تيقن أن الله هو الرزاق فى سائر أحواله حصلت له الثلاثة

خاليا من الحضور وأحال جواز الحضور بلا يقين ولهذا قال النورى اليقين المشاهدة يعنى أن فى المشاهدة يقينا لاشك فيه لأنه لايشاهده من لايثق بمامنه وقال أبو بكر الوراق اليقين ملاك القلب وبه كمال الايمان وباليقين عرف الله تعالى وبالعقل عقل عن الله تعالى وقال الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقينا . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول قال ابراهيم الخواص لقيت غلاما فى التيه كأنه سبيكة فضة فقلت إلى أين ياغلام فقال إلى مكة حرسها الله تعالى فقلت بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة فقال لى ياضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والأرضين لايقدر على أن يوصلنى إلى مكة بلا علاقة قال فلما دخلت مكة حرسها الله تعالى إذا أنا به فى الطواف وهو يقول :

ياعين سحى أبدا يانفس موتى كمدا ولا تحبى أحدا إلا الجليل الصمدا

فلما رآنى قال لى ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين . وسمعته يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت النهرجورى يقول إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة . وقال أبو بكر الوراق اليقين على ثلاثة أوجه يقين خبر ويقين دلالة ويقين مشاهدة وقال أبو تراب رأيت غلاما فى البادية يمشى بلا زاد فقلت إن لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت ياغلام فى مثل هذا الموضع بلا زاد فقال ياشيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله عز وجل فقلت الآن اذهب حيث شئت . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت محمد بن عيسى يقول قال أبو سعيد الخراز العلم ماستعملك واليقين ماحملك . وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان الأدمى يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت المعاش لأكل الحلال فاصطدت السمك فيوما وقعت فى الشبكة سمكة فأخرجتها وطرحت الشبكة فى الماء فوقعت أخرى فيها فرميت بها ثم عدت فهتف بى هاتف لم تجد معاشا إلا أن تأتى من يذكرنا فتقتلهم قال فكسرت القصبة وتركت الاصطياد .

باب الصبر

قال الله تعالى ـ واصبر وما صبرك إلا بالله ـ أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد ابن عبيد البصرى قال حدثنا أحمد بن على الخراز قال حدثنا أسيد بن زيد قال حدثنا مسعود ابن سعد عن الزيات عن أبى هريرة عن عائشة رضى الله عنها رفعته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الصبر عند الصدمة الأولى» وأخبرنا على بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا محمد بن مرداس قال حدثنا يوسف بن عطية عن عطاء بن أبى ميمونة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصبر عند الصدمة الأولى» ثم الصبر على أقسام صبر على ماهو كسب للعبد وصبر على ماليس بكسب فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ماأمر الله تعالى به وصبر على مانهى عنه وأما الصبر على ماليس بمكتسب للعبد فصبره على مقاساة مايتصل به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن وهجران الخلق فى جنب الله شديد والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله عز وجل أشد فسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى ـ واصبر ـ أمر بالعبادة ـ وقوله تعالى ـ وماصبرك إلا بالله ـ

(خبر) وهو العلم الحاصل عن خبر الأنبياء بماغاب عن المشاهدة من الجنة والنار وغيرهما من أحوال يوم القيامة (ويقين دلالة) وهو ماحدث بالنظر الدال على حدوث العالم وقدم محدثه وكماله وكمال صفاته (ماحملك) وهو العلم بأنه لافاعل إلا الله فلامعين إلا الله ولا معين سواه ولا يجرى عليك إلا ماسبق لك عنده (فتقتلهم) نزل السمك منزلة من يعقل فعبر عنه بما يعبر به عمن يعقل (الصبر) هو حبس النفس على كره تتحمله أو لذيذ تفارقه وهو ممدوح ومطلوب

عبودية فمن ترق من درجة لك إلى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم «بك أحيا و بك أموت». سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عياشا يقول سمعت أحمد يقول سألت أباسليمان عن الصبر فقال والله ما نصبر على ما نحب فكيف على ما نكره وقال ذوالنون الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية و إظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقيل هو الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار الذى عوّد نفسه الهجوم على المكاره وقيل الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية وقال أبو عثمان أحسن الجزاء على عبادة الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه قال الله عزّ وجلّ ـ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ـ وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقى بلائه بالرحب والدعة وقال الخواص الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال يحيى بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وأنشدوا :

الصبر يجمل فى المواطن كلها إلا عليك فانه لايجمل

وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستعانة بالله تعالى . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول الصبر كاسمه وأنشدنى الشيخ أبو عبد الرحمن قال أنشدنى أبو بكر الرازى قال أنشدنى ابن عطاء لنفسه :

سأصبر كى ترضى وأتلف حسرة وحسبى أن ترضى و يتلفنى صبرى

وقال أبو عبد الله بن خفيف الصبر على ثلاثة أقسام : متصبر وصابر وصبار .وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الصبر مطية لاتكبو . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علىّ بن عبد الله البصرى يقول وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله عز وجلّ فقال لا،فقال الصبر لله تعالى قال لا قال الصبر مع الله تعالى قال لاقال فأى شئ قال الصبر عن الله عزّ وجل قال فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه أن تتلف وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول الصبر أن لايفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة وأنشد بعضهم :

صبرت ولم أطلع هواك على صبرى وأخفيت مابى منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضميرى صبابتى إلى دمعتى سرا فتجرى ولا أدرى

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله تعالى معيته قال الله تعالى ـ إن الله مع الصابرين ـ وقيل فى معنى قوله اصبروا وصابروا ورابطوا ـ الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة وقيل اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى وصابروا بقلوبكم على البلوى فى الله تعالى ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله تعالى وقيل اصبروا فى الله تعالى وصابروا بالله تعالى ورابطوا مع الله تعالى . وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : تخلق بأخلاقى و إن من أخلاقى أنى أنا الصبور وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيدا و إن أحياك أحياك عزيزا وقيل الصبر لله تعالى عناء والصبر بالله تعالى بقاء والصبر فى الله تعالى بلاء والصبر مع الله تعالى وفاء والصبر عن الله تعالى جفاء وأنشدوا :

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر فى سائر الأشياء محمود

وأنشدوا : وكيف الصبر عمن حل منى بمنزلة اليمين من الشمال

(الصبر) يعنى من قام به الصبر (لاتكبو) لخبر «من تأنى أصاب أو كاد» ولا يمكنه التأنى وترك العجلة إلا بالصبر فمن جعل الصبر مطيته استقام فى سيره و بعد خطوه فى عامه وعمله (الصبر فى الله) وهو الصبر على تغيير الأخلاق المذمومة والإنصاف بالمحمودة والاشتغال بأنواع الطاعات (الصبر لله) وهو الصبر على مايرد على القلب من الله وهو متأدب معه فى حال مايرد منه راض بذلك (والصبر مع الله) وهو الصبر على ذلك من التبرى من الحول والقوة

إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر فى المحن عنوان الفرج . سمعت منصور بن خلف المغربى يقول جرد واحد للسياط فلما رد إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل على يده وألقى من فمه دقاق الفضة على يده فسئل فقال كان فى فمى درهمان وكان على حاشية الحلقة لى عين لم أرد أن أصيح لرؤيته إياى فكنت أعض على الدرهمين فتكسرا فى فمى وقيل حالك التى أنت فيها باطنك ومادون الله تعالى أعداؤك فأحسن المرابطة فى رباط حالك . وقيل المصابرة هى الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر فى الصبر فيعجز الصبر عن الصبر كما قيل :

صابر الصبر فاستغاث به الصـــبر فصاح المحب بالصبر صبرا

وقيل حبس الشبلى وقتا فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحباؤك جاءوك زائرين فأخذ يرميهم بالحجر وأخذوا يهربون فقال يا كذابون لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى وفى بعض الأخبار : يعنى مايتحمل المتحملون من أجلى وقال الله تعالى ـ واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ـ وقال بعضهم كنت بمكة حرسها الله تعالى فرأيت فقيرا طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومرّ فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثله فيوما من الأيام طاف ونظر فى الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها ـ واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ـ وقيل رؤى حدث يضرب وجه شيخ بنعله فقيل له ألا تستحى تضرب حرّ وجه شيخ مثل هذا فقال جرمه عظيم فقيل وما ذاك فقال هذا الشيخ يدعى أنه يهوانى ومنذ ثلاث مارآنى ، وقال بعضهم دخلت بلاد الهند فرأيت رجلا بفرد عين يسمى فلانا الصبور فسألت عن حاله فقيل هذا فى عنفوان شبابه سافر صديق له فخرج فى وداعه فدمعت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى فقال لعينه التى لم تدمع لم لم تدمعى على فراق صاحبى لأحرمنك النظر إلى الدنيا وغمض عينه فمنذ ستين سنة لم يفتح عينه . وقيل فى قوله تعالى ـ فاصبر صبرا جميلا ـ الصبر الجميل أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لايدرى من هو وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال سحابة ثم تنقشع وفى الخبر « أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الإيمان فقال الصبر والسماحة » أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن طاهر الصوفى قال حدثنا محمد بن على التيجانى قال حدثنا محمد بن إسمعيل البخارى قال حدثنا موسى ابن إسمعيل قال حدثنا سويد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن عبيد عن عمير عن أبيه عن جده قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة» وسئل السرى عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدبّ على رجله عقرب وهى تضربه بابرتها ضربات كثيرة وهو ساكن فقيل له لم لم تنحها قال استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى الصبر ولم أصبر وفى بعض الأخبار الفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالإجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شىء به أرحمك وقال ابن عيينة فى معنى قوله تعالى ـ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ـ قال لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤساء سمعت الأستاذ أبا على يقول إن الصبر حده أن لاتعترض على التقدير فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافى الصبر قال الله تعالى فى قصة أيوب ـ إناوجدناه صابرا نعم العبد ـ مع ماأخبرنا عنه أنه قال ـ مسنى الضر ـ وسمعته يقول استخرج الله منه هذه المقالة يعنى قوله ـ مسنى الضر ـ لتكون متنفسا لضعفاء هذه

(والسماحة) بالقربات ولذلك قيل الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فالصبر على البلايا والشكر على النعم وفيه دليل على أن الإيمان يطلق على أعمال الجوارح (قال استحييت الخ) فيه أن العبد لايتكلم فى شىء من علوم المقامات والأحوال الصالحات حتى يكون متخلقا به ليسلم من الدخول فى ذم الله لمن يقول ما لايفعل فيسلم من مقته كما قال ـ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون ـ لكن هذا المقت إنما يكون للمرائى فى كلامه الذى يوهم الناس أنه متخلق بما يقول ليعظم قدره عندهم وللكذاب المستشبع بمالم ينل وهو المدعى لمقام لم يبلغه

الأمة . وقال بعضهم إنا وجدناه صابرا ولم يقل صبورا لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر بل كان فى بعض أحواله يستلذ البلاء و يستعذبه فلم يكن فى حالة الاستلذاذ صابرا فلذلك لم يقل صبورا . سمعت الأستاذ أبا على يقول حقيقة الصبر الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال فى آخر بلائه ـ مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ـ فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله وأنت أرحم الراحمين ولم يصرح بقوله ارحمنى . واعلم أن الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظا وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضا . وفى معناه أنشدوا :

تبين يوم البين أن اعتزامه على الصبر من إحدى الظنون الكواذب

وفى هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله تعالى يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال ـ فصبر جميل ـ أى فشأنى صبر جميل ثم لم يمس حتى قال ـ ياأسفا على يوسف ـ .

باب المراقبة

قال الله تعالى ـ وكان الله على كل شىء رقيبا ـ أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين بن محمد ابن إسحق قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحق قال حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال حدثنا خالد بن يزيد قال حدثنا إسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبدالله البجلى قال «جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل فقال يا محمد ماالإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره قال صدقت قال فتعجبنا من تصديقه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسأله قال فأخبرنى ما الإسلام قال الإسلام أن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت قال فأخبرنى ماالإحسان قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت » الحديث قال الشيخ هذا الذى قاله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك إشارة إلى حال المراقبة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير له ولا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن بينه و بين الله تعالى مراعاة القلب وحفظ مع الله تعالى الأنفاس راقب الله تعالى فى عموم أحواله فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله و يرى أفعاله و يسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول من لم يحكم بينه و بين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان لبعض الأمراء وزير وكان بين يديه يوما فالتفت إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا لاريبة ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم فاتفق أن ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير فى تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الأمير أنه نظر إليهم لريبة فجعل ينظر إليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير وهو أبدا ينظر إلى جانب حتى توهم الأمير أن ذلك خلقه وحول فيه فهذا مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده . سمعت بعض الفقراء يقول كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا أحسنهم صورة فقالوا له فى ذلك فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام

(المراقبة) هى لغة دوام ملاحظة المقصود واصطلاحا دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى و يراقب ما يبدو من أفعاله وأحكامه و يعبر عنه باستشعارك نظر الله إليك فى حركاتك وسكناتك وسببها معرفة الله بصفاته ومعرفة وعده ووعيده وأحكامه وثمرتها حسن الآداب والسلامة من شدائد الحساب والتحلى بحلية الأولياء ذوى الألباب وهى ممدوحة مطلوبة

فى الخدمة على غيره فيوما من الأيام كان راكبا ومعه الحشم وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق رأسه فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ومعه شيء من الثلج فقال له الأمير ماأدراك أنى أردت الثلج فقال الغلام لأنك نظرت إليه ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غير قصد صحيح . فقال الأمير : إنما أخصه باكرامى و إقبالى لأن لكل أحد شغلا وشغله مراعاة لحظاتى ومراقبة أحوالى وقال بعضهم من راقب الله تعالى فى خواطره عصمه الله تعالى فى جوارحه وسئل أبو الحسين بن هند متى يهش الراعى غنمه بعصا الرعاية عن مراتع الهلكة فقال إذا علم أن عليه رقيبا . وقيل كان ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنما فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال إنها ليست لى فقال قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة فقال العبد فأين الله؟ فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة قال ذلك العبد فأين الله . وقال الجنيد من تحقق فى المراقبة خاف على فوت حظه من ربه عز وجل لاغير وكان بعض المشايخ له تلامذة فكان يخص واحدا منهم باقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال أبين لكم فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لايراه أحد ودفع إلى هذا أيضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره وجاء هذا بالطائر حيا فقال هلا ذبحته فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لايراه أحد ولم أجد موضعا لايراه فيه أحد فقال : لهذا أخصه باقبالى عليه . وقال ذوالنون علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ماعظم الله تعالى وتصغير ماصغر الله تعالى . وقال النصراباذى الرجاء يحركك إلى الطاعات والخوف يبعدك عن المعاصى والمراقبة تؤديك إلى طرق الحقائق . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال مراعاة السر لملاحظة الحق سبحانه مع كل خطرة وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول أمرنا هذا مبنى على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى و يكون العلم على ظاهرك قائما وسمعته يقول سمعت أبا القاسم البغدادى يقول سمعت المرتعش يقول المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وسئل ابن عطاء ماأفضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال إبراهيم الخواص المراعاة تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت أباعثمان المغربى يقول أفضل مايلزم به الإنسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وسمعته يقول سمعت عبدالله الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول قال لى أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولايغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطنك وسمعته يقول سمعت محمد بن عبدالله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول قال لى بعض مشايخى عليك بمراعاة سرك والمراقبة قال فبينا أنا يوما أسير فى البادية إذا أنا بخشخشة خلفى فهالنى ذلك وأردت أن ألتفت فلم ألتفت فرأيت شيئا واقفا على كتفى فانصرف وأنا مراع لسرى ثم التفت فإذا أنا بسبع عظيم وقال الواسطى أفضل الطاعات حفظ الأوقات وهو أن لايطالع العبد غير حده ولايراقب غير ربه ولايقارن غير وقته .

باب الرضا

قال الله عزوجل ـ رضى الله عنهم ورضوا عنه ـ الآية أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا الكريمى قال حدثنا يعقوب بن إسمعيل السلال قال حدثنا

(فأين الله) فانه يعلم ذلك و يؤاخذنى به (فأين الله) لأنه لما علم بذلك دينه ومراقبته لله أعجبه حاله وصار عبرة له يتذكر به زمانا وروى أنه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم فأعتقه ووهبها له (تحقق) أى ثبت (لاغير) لأن المراقبة على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم من العقاب وقد يراقبها لزيادة الثواب وقد يراقبها ليرفع عنه الحجاب وقد يراقبها ليكون من الأحباب فاذا وصل إلى هذا الحال الشريف راقب ربه ودام نظره لما يتفضل به عليه ليسلم من الغفلات التى يفوت بسببها حظه من مولاه

أبو عاصم العبادانى عن الفضل بن عيسى الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بينا أهل الجنة فى مجالس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رءوسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم فقال يا أهل الجنة سلونى فقالوا نسألك الرضا عنا قال تعالى رضاى قد أحللكم دارى وأنالكم كرامتى هذا أوانها فاسألونى قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرذ أخضر و ياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار وتجىء جوار من الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الخالدات فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام و يأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فتثير عليهم ريحا يقال لها المثيرة حتى تنتهى بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنة فتقول الملائكة يار بنا قد جاء القوم فيقول الله مرحبا بالصادقين مرحبا بالطائعين قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا ثم يقول أرجعوهم إلى القصور بالتحف قال فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله ـ نزلا من غفور رحيم ـ» وقد اختلف العراقيون والخراسانيون فى الرضا هل هو من الأحوال أو من المقامات فأهل خراسان قالوا الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه أنه يئول إلى أنه مما يتوصل إليه العبد با كتسابه وأما العراقيون فانهم قالوا الرضا من جملة الأحوال وليس ذلك كسبا للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال و يمكن الجمع بين اللسانين فيقال بداية الرضا مكتسبة للعبد وهى من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست بمكتسبة وتكلم الناس فى الرضا فكل عبر عن حاله وشربه فهم فى العبارة عنه مختلفون كما أنهم فى الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون فأما شرط العلم والذى هو لابد منه فالراضى بالله تعالى هو الذى لا يعترض على تقديره . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء . واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذى أمر بالرضا به إذ ليس كل ماهو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصى وفنون محن المسلمين وقال المشايخ الرضا باب الله الأعظم يعنون أن من أكرم بالرضا فقد لقى بالترحيب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى . سمعت محمد بن الحسين يقول أخبرنا أبو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا ابن أبى الحوارى قال قال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا . واعلم أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق سبحانه إلا بعد أن يرضى عنه الحق سبحانه لأن الله عز وجل قال ـ رضى الله عنهم ورضوا عنه ـ سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال تلميذ لأستاذه هل يعرف العبد أن الله تعالى راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاه غيب فقال التلميذ الولى يعلم ذلك فقال كيف ؟ قال إذا وجدت قلبى راضيا عن الله تعالى علمت أنه راضٍ عنى فقال الأستاذ أحسنت ياغلام . وقيل قال موسى عليه السلام إلهى دلنى على عمل إذا عملته رضيت به عنى فقال إنك لا تطيق ذلك فخر موسى عليه السلام ساجدا متضرعا فأوحى الله تعالى إليه يا ابن عمران إن رضاى فى رضاك بقضائى. أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا أبو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا ابن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول : من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ماجعل الله رضاه فيه وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين : رضا به ورضا عنه فالرضا به مدبرا والرضا عنه فيما يقضى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول طريق السالكين أطول وهو طريق الرياضة وطريق الخواص أقرب

(فلا نبؤس) أى فلا نجد عندنا شدة من بؤس الرجل يبؤس بأسا إذا كان شديد البأس أى الشدة (الخالدات) أى الدائمات البقاء (بكثبان) أى تلال (أذفر) بالمعجمة أى بين الذفر بفتح الفاء الرائحة الطيبة (ريحا) أى رائحة (قصبة الجنة) أى وسطها (لا يبصر بعضهم بعضا) لاشتغال كل بتمتعه بذلك (اللسانين) أى قول الفريقين (بمكتسبة) له كالنوازل الضرورية كالرعشة والرعدة بالحمى

لكنه أشقّ وهو أن يكون عملك بالرضا ورضاك بالقضا . وقال رويم : الرضا أن لو جعل الله جهنم على يمينه ماسأل أن يحوّلها إلى يساره ، وقال أبو بكر بن طاهر : الرضا إخراج الكراهية من القلب حتى لايكون فيه إلافرح وسرور ، وقال الواسطى : استعمل الرضا جهدك ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجوبا بلذته ورؤيته عن حقيقة ماتطالع . واعلم أن هذا الكلام الذى قاله الواسطى شىء عظيم ، وفيه تنبيه على مقطعة للقوم خفية فان السكون عندهم إلى الأحوال حجاب عن محوّل الأحوال فاذا استلذّ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله عن شهود حقه ، ولقد قال الواسطى أيضا : إياكم واستحلاء الطاعات فانها سموم قاتلة ، وقال ابن خفيف : الرضا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره . وسئلت رابعة متى يكون العبد راضيا ؟ فقالت إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة ، وقيل قال الشبلى بين يدى الجنيد لاحول ولا قوة إلا بالله فقال الجنيد قولك ذا ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء فسكت الشبلى ، وقال أبو سليمان الرضا أن لاتسأل الله تعالى الجنة ولا تستعيذ به من النار . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول ثلاثة من أعلام الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء ، وهيجان الحب فى حشو البلاء ، وسمعته يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادى يقول سمعت إسمعيل ابن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد المبرد يقول : قيل للحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما إن أبا ذر يقول الفقر أحبّ إلىّ من الغنى ، والسقم أحبّ إلىّ من الصحة ، فقال رحم الله تعالى أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمنّ غير ما اختاره الله عزّ وجلّ له ، وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافى : الرضا أفضل من الزهد فى الدنيا لأن الراضى لايتمنى فوق منزلته ، وسئل أبو عثمان عن قول النبى صلى الله عليه وسلم «أسألك الرضا بعد القضاء» فقال لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا والرضا بعد القضاء هو الرضا . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت ابن أبى حسان الأنماطى يقول سمعت أحمد ابن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول أرجو أن أكون عرفت طرفا من الرضا لو أنه أدخلنى النار لكنت بذلك راضيا . وقال أبو عمر الدمشقى الرضا ارتفاع الجزع فى أىّ حكم كان وقال الجنيد الرضا رفع الاختيار ، وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك التسخط ، وقال رويم الرضا استقبال الأحكام بالفرح ، وقال المحاسبى الرضا سكون القلب تحت مجارى الأحكام ، وقال النورى الرضا سرور القلب بمر القضاء . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول من رضى بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته ، وسمعته يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قال أبو تراب النخشبى ليس ينال الرضا من للدنيا فى قلبه مقدار . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال حدّثنا عبد الله بن شترويه قال حدّثنا بشر بن الحكم قال حدّثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهادى عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا» ، وقيل كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى : أما بعد فان الخير كله فى الرضا فان استطعت أن ترضى وإلا فاصبر ، وقيل إن عتبة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح إن تعذبنى فأنا لك محبّ ، وإن ترحمنى فأنا لك محبّ . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الانسان

(شهود حقه) أى ربه تعالى أو حقه الذى فوق حاله فلا ينبغى للنفس أن تسكن إلى حال وتقف معه بل حقها أن تعرف النعم وتشكر عليها وترتقب المزيد من الحق ناظرة إليه فسكت الشبلى إما لما فهمه الجنيد أو لأنه كان راضيا ولكنه تبرأ من دعوى هذا المقام ورآه إنما هو بحول الله وقوته وعونه فان كل مقام لاقوة للعبد على القيام به إلا بعون ربه (فى حشو البلاء) لأن الراضى بحسن مايجريه الله عليه لااختيار له وإنما هو مذعن لما يختاره الله له لعلمه بفضل ربه عليه وحسن اختياره له فيما يجريه عليه ومتى كان له اختيار فى نفسه فهو مع نفسه راض بحكمها لابحكم ربه

خزف وليس للخزف من الخطر مايعارض فيه حكم الحق تعالى . وقال أبو عثمان الحيرى : منذ أربعين سنة ماأقامنى الله عزّوجل فى حال فكرهته ومانقلنى إلى غيره فسخطته . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول : غضب رجل على عبده فاستشفع العبد إلى سيده إنسانا فعفا عنه فأخذ العبد يبكى فقال له الشفيع لم تبكى وقد عفاعنك سيدك ؟ فقال السيد إنه يطلب الرضا منى ولاسبيل إليه فانما يبكى لأجله .

باب العبودية

قال الله عزّوجل ـ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ـ أخبرنا أبوالحسن الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدّثنا عبيد بن شريك قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن حبيب ابن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب عن أبى سعيد الخدرىّ وأبى هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظلّ إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذاخرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرّقا عليه ورجل ذكرالله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى أخاف الله ربّ العالمين ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه » . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول : العبودية أتم من العبادة فأوّلا عبادة ثم عبودية ثم عبودة فالعبادة للعوامّ من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخاص ، وسمعته يقول : العبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين . وسمعته يقول : العبادة لأصحاب المجاهدات والعبودية لأرباب المكابدات والعبودة صفة أهل المشاهدات فمن لم يدخر عنه نفسه فهو صاحب عبادة ومن لم يضنّ عليه بقلبه فهو صاحب عبودية ومن لم يبخل عليه بروحه فهوصاحب عبودة ، ويقال : العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى مامنك بعين التقصير وشهود مايحصل من مناقبك من التقدير ويقال : العبودية ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار ، ويقال : العبودية التبرّى من الحول والقوّة والإقرار بما يعطيك ويوليك من الطول والمنة ، ويقال : العبودية معانقة مأأمرت به ومفارقة مازجرت عنه. وسئل محمد بن خفيف : متى تصح العبودية ؟ فقال إذاطرح كله على مولاه وصبرمعه على بلواه . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبدالله يقول : لايصح التعبد لأحد حتى لايجزع من أربعة أشياء : من الجوع والعرى والفقر والذل ، وقيل : العبودية أن تسلم إليه كلك وتحمل عليه كلك ، وقيل : من علامات العبودية ترك التدبير وشهود التقدير ، وقال ذوالنون المصرى : العبودية أن تكون عبده فى كل حال كما أنه ربك فى كل حال ، وقال الجريرى : عبيد النعم كثير عديدهم وعبيد المنعم عزيز وجودهم . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : أنت عبد من أنت فى رقه وأسره فان كنت فى أسر نفسك فأنت عبد نفسك وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبدالدرهم ، تعس عبدالدينار ، تعس عبد الخميصة » . ورأى أبوزيد رجلا فقال له ماحرفتك ؟ فقال خر بنده فقال أمات الله تعالى حمارك لتكون عبد الله لاعبدالحمار . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت جدّى أباعمرو بن نجيد يقول : لاتصفو لأحد قدم فى العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى ، وسمعته يقول : سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول : العبد عبد مالم يطلب لنفسه خادما فاذا طلب لنفسه خادما فقد سقط

(العبودية) هى تذلل وتبرّم من الحول والقوّة فى عبادته ويقال غير ذلك كما سيأتى وأصلها العبادة وهى القيام بالفعل المطلوب شرعا وهى ممدوحة ومطلوبة والعبودية لخاص الخاص لكمال معرفته بربه حيث أتى بما طلب منه ورأى نفسه محلا لجريان قضاء الله فيه ولتوفيقه له فى فعل ماطلب منه فقلبه أقرب إلى مقام الجمع وهو إفراد الحق بالفعل من الثانى لأن الثانى شاهد لنفسه كسبا واختيارا وإن كان مفتقرا لعون ربه فيما يختاره والأوّل أقرب إلى مقام التفرقة لكونه يرى نفسه عابدا محسنا مطيعا ويطلب الجزاء على عمله (وأحواله دعاوى) مع سلامتهما فى الواقع من ذلك بأن يتبرّأ من إضافتهما إليه فانه إن أضاف إليه الأعمال كان مرائيا لكونه نظر فيها لغير الله أو الأحوال كان مدعيا لما لايملكه فاذا شاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى كان مخلصا باضافته ذلك إلى الله كامرّ

عن حد العبودية وترك آدابها . وسمعته يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لايرى عليه أثر المسكنة فى العدم ولا أثر الغنى فى الوجود وقيل العبودية شهود الربوبية . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول سمعت النصراباذى يقول قيمة العابد بمعبوده كما أن شرف العارف بمعروفه وقال أبو حفص العبودية زينة العبد فمن تركها تعطل من الزينة . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عباس بن حمزة يقول أخبرنا أحمد ابن أبى الحوارى قال سمعت النباجى يقول أصل العبادة فى ثلاثة أشياء لا ترد من أحكامه شيئا ولا تدخر عنه شيئا ولا يسمعك تسأل غيره حاجة .وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول العبودية فى أربع خصال : الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر عن المفقود وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الكتانى يقول سمعت عمرو بن عثمان المكى يقول ما رأيت أحدا من المتعبدين فى كثرة من لقيت بمكة حرسها الله تعالى وغيرها ولا أحدا ممن قدم علينا فى المواسم أشد اجتهادا ولا أدوم على العبادة من المزنى رحمه الله تعالى ولا رأيت أحدا أشد تعظيما لأوامر الله تعالى منه وما رأيت أحدا أشد تضييقا على نفسه وتوسعة على الناس منه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول ليس شىء أشرف من العبودية ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ولذلك قال سبحانه فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته فى الدنيا ـ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ـ وقال تعالى ـ فأوحى إلى عبده ما أوحى ـ فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به وفى معناه أنشدوا :

ياعمرو ثارى عند زهرائى يعرفه السامع والرائى
لاتدعنى إلا بياعبدها فانه أشرف أسمائى

وقال بعضهم إنما هو شيآن سكونك إلى اللذة واعتمادك على الحركة فاذا أسقطت عنك هذين فقد أديت العبودية حقها كما قال الواسطى احذروا لذة العطاء فانها غطاء لأهل الصفاء وقال أبو على الجورجانى الرضا دار العبودية والصبر بابه والتفويض بيته فالصوت على الباب والفراغة فى الدار والراحة فى البيت . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كما أن الربوبية نعت للحق سبحانه لايزول فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه مادام وأنشد بعضهم :

فان تسألونى قلت ها أنا عبده وإن سألوه قال هذاك مولايا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الإعواض والجزاء عليها وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول العبودية إسقاط رؤية التعبد فى مشاهدة المعبود وسمعته يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله بن شاذان يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول العبودية ترك الأشغال والاشتغال بالشغل الذى هو أصل الفراغة .

باب الإرادة

قال الله عزوجل ـ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ـ أخبرنا على ابن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا هشام بن على قال حدثنا الحكم بن أسلم قال أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إذا أراد الله

(شهود الربوبية) وهو سبب عظيم فى دوام العبودية لأن العبد إذا توالت عليه مراقبته لجلال مولاه ذل فى نفسه بالنظر لما هى عليه من جهة طبعها لابالنظر لما خصها به ربها من كرامته (الإرادة) هى عندهم التجرد لله فى السلوك إلى كمال التوحيد وهى ممدوحة ومطلوبة

بعبد خيرا استعمله فقيل له كيف يستعمله يارسول الله ؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت» والإرادة بدء طريق السالكين وهى اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى و إنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئا لم يفعله فلما كان هذا أول الأمر لمن سلك طريق الله عزّ وجلّ سمى إرادة تشبيها بالقصد فى الأمور الذى هو مقدمتها والمريد على موجب الاشتقاق من له إرادة كما أن العالم من له علم لأنه من الأسماء المشتقة ولكن المريد فى عرف هذه الطائفة من لاإرادة له فمن لم يتجرد عن إرادته لايكون مريدا كما أن من لاإرادة له على موجب الاشتقاق لايكون مريدا وتكلم الناس فى معنى الإرادة فكل عبر على حسب مالاح لقلبه فأكثر المشايخ قالوا الإرادة ترك ماعليه العادة وعادة الناس فى الغالب التعريج فى أوطان الغفلة والركون إلى اتباع الشهوة والاخلاد إلى مادعت إليه المنية والمريد منسلخ عن هذه الجملة فصار خروجه أمارة ودلالة على صحة الإرادة فسميت تلك الحالة إرادة وهى خروج عن العادة فاذن ترك العادة أمارة الإرادة فأما حقيقتها فهى نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه ولهذا يقال إنها لوعة تهوّن كل روعة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول حاكيا عن ممشاد الدينورى أنه قال مذ علمت أن أحوال الفقراء جدّ كلها لم أمازح فقيرا وذلك أن فقيرا قدم علىّ فقال أيها الشيخ أريد أن تتخذ لى عصيدة فجرى على لسانى إرادة عصيدة فتأخر الفقير ولم أشعر به فأمرت باتخاذ عصيدة وطلبت الفقير فلم أجده فتعرّفت خبره فقيل لى إنه انصرف من فوره وكان يقول فى نفسه إرادة وعصيدة إرادة وعصيدة وهام على وجهه حتى دخل البادية ولم يقل هذه الكلمة حتى مات . وعن بعض المشايخ قال كنت بالبادية وحدى فضاق صدرى فقلت ياإنس كلونى ياجنّ كلونى فهتف بى هاتف إيش تريد فقلت أريد الله تعالى فقال متى تريد الله يعنى أن من قال للجن والإنس كلونى متى يكون مريدا لله عزّ وجلّ والمريد لايفتر آناء الليل والنهار فهو فى الظاهر بنعت المجاهدات وفى الباطن بوصف المكابدات فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمل المصاعب وركب المتاعب وعالج الأخلاق ومارس المشاقّ وعانق الأهوال وفارق الأشكال كما قيل :

ثم قطعت الليل فى مهمه لاأسدا أخشى ولا ذيبا
يغلبنى شوقى فأطوى السرى ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإرادة لوعة فى الفؤاد لدغة فى القلب غرام فى الضمير انزعاج فى الباطن نيران تتأجج فى القلوب . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا بكر السباك يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول كان بين أبى سليمان وأحمد بن أبى الحوارى عقد لايخالفه أحمد فى شىء يأمره به فجاء يوما وهو يتكلم فى مجلسه فقال إن التنور قد سجر فما تأمره فلم يجبه فقال مرتين أو ثلاثة فقال أبو سليمان اذهب فاقعد فيه كأنه ضاق به قلبه وتغافل عنه أبو سليمان ساعة ثم ذكر فقال أدركوا أحمد فانه فى التنور لأنه آلى على نفسه أن لايخالفنى فنظروا فاذا هو فى التنور لم تحترق منه شعرة . وسمعت الأستاذ أبا على يقول كنت فى فى ابتداء صباى محترقا فى الإرادة وكنت أقول فى نفسى ليت شعرى مامعنى الإرادة وقيل من صفات المريدين التحبب إليه بالنوافل والخلوص فى نصيحة الأمة والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام والإيثار لأمره والحياء من نظره و بذل المجهود فى محبوبه والتعرض لكل سبب يوصل إليه والقناعة بالحصول وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب وقال أبو بكر الوراق آفة المريد ثلاثة أشياء التزويج وكتبة الحديث والأسفار وقيل له لم تركت كتابة الحديث فقال منعتنى عنها الإرادة

(من لا إرادة له) أى لااختيار له فى نفسه ولا تمييز لمراده و إنما تجرد لمراد الحق تعالى (ترك ماعليه العادة) لأن من اجتهد فى طلب الحق أعرض عن عاداته (هذه الجملة) أى التعريج والركون والإخلاد إلى ماذكر (إرادة) أى تشتهى إرادة (فتأخر الفقير) أى فلما سمع منه الفقير ذلك أخذته غيرة وقوى حاله وتأخروانصرف (لم تحترق منه شعرة) كأنه كان يعلم من حال أحمد أن العادة انخرقت له فى أن النار لاتؤثر فيه فأمره بذلك وامتثل أحمد وفائدة حكاية ذلك تعريف الناس منزلة أحمد ورفعة مقامه ليقتدى به من بعده وطلب كمال الجد والامتثال لأوامر المشايخ فى السلوك (والقناعة بالحصول) ليسلم من آفات الشهرة وما يدخل عليه من تشويش الخلق وتعلقهم به إذا عرفوا مقامه ورفعة منزلته عند ربه (منعتنى عنها الإرادة) لما بينهما من المنافاة كما علم مما مرّ

وقال حاتم الأصم إذا رأيت المريد يريد غير مراده فاعلم أنه قدأظهر بذالته . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الكتانى يقول من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء نومه غلبة وأكله فاقة وكلامه ضرورة .وسمعته يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول إذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة الفقراء وسمعته يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الدقى يقول سمعت الدقاق يقول نهاية الارادة أن تشير إلى الله تعالى فتجده مع الاشارة فقلت فايش يستوعب الارادة فقال أن تجد الله تعالى بلا إشارة . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت عباس بن أبى الصحو يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة وقال أبو عثمان الحيرى من لم تصح إرادته بدار لايزيده مرور الأيام عليه إلا إدبارا وقال أبو عثمان المريد إذا سمع شيئا من علوم القوم فعمل به صار حكمة فى قلبه إلى آخر عمره ينتفع به ولو تكلم به انتفع به من سمعه ومن سمع شيئا من علومهم ولم يعمل به كان حكاية يحفظها أياما ثم ينساها وقال الواسطى أول مقام المريد إرادة الحق باسقاط إرادته وقال يحيى بن معاذ أشد شىء على المريدين معاشرة الأضداد . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت أباالقاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجىء منه شىء وسمعته يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جعفرا الخلدى يقول سئل الجنيد مالمريدين فى مجاراة الحكايات فقال الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين فقيل له فهل لك فى ذلك شاهد فقال نعم قوله عزوجل ـ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك ـ . وسمعته يقول سمعت محمد بن خالد يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول المريد الصادق غنى عن علم العلماء فأما الفرق بين المريد والمراد فكل مريد على الحقيقة مراد إذ لولم يكن مرادالله عزوجل بأن يريده لم يكن مريدا إذ لا يكون إلا ماأراده الله تعالى وكل مراد مريد لأنه إذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه للإرادة ولكن القوم فرقوا بين المريد والمراد فالمريد عندهم هوالمبتدىء والمراد هو المنتهى والمريد الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاق والمراد الذى كفى بالأمر من غير مشقة فالمريد متعن والمراد مرفوق به مرفه وسنة الله تعالى مع القاصدين مختلفة فأكثرهم يوفقون للمجاهدات ثم يصلون بعد مقاساة اللتيا والتى إلى سنى المعالى وكثير منهم يكاشفون فى الابتداء بجليل المعانى ويصلون إلى مالم يصل إليه كثير من أصحاب الرياضات إلا أن أكثرهم يردون إلى المجاهدات بعد هذه الارفاق ليستوفى منهم مافاتهم من أحكام أهل الرياضة . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول المريد متحمل والمراد محمول . وسمعته يقول كان موسى عليه السلام مريدا فقال ـ رب اشرح لى صدرى ـ وكان نبينا صلى الله عليه وسلم مرادا فقال الله تعالى ـ ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ـ وكذلك قال موسى عليه السلام ـ رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ـ وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم ـ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ـ وكان أبو على يقول إن المقصود قوله ـ ألم تر إلى ربك ـ وقوله ـ كيف مد الظل ـ ستر للقصة وتحصيل للحالة . وسئل الجنيد عن المريد والمراد فقال المريد تتولاه سياسة العلم والمراد تتولاه رعاية الحق سبحانه لأن المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر . وقيل أرسل ذو النون إلى أبى يزيد رجلا وقال له قل له إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة

(من أحكام أهل الرياضة) ليس مراده أنهم يردون إلى ماخرجوا منه من الأخلاق الذميمة والأعمال الشاقة بل مراده أنهم يلقون فى مقاماتهم العالية من المجاهدات وملازمة الآداب والامتحان فى ذلك مالقيه أرباب البدايات فى بداياتهم فان كل مقام عال لابد له من مواضع تسد عنه (سياسة العلم) بأن يجاهد نفسه ويروضها فى أعمال قلبه وجوارحه بعلم الشريعة وبذلك يكون محفوظا عن الزيغ

فقال

فقال أبو يزيد قل لأخي ذى النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح فى المنزل قبل القافلة وقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لاتبلغه أحوالنا .

باب الاستقامة

قال الله تعالى ـ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ـ الآية أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله تعالى قال حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال أخبرنا أبو بشر يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن الأعمش عن سالم ابن أبى الجعد عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير دينكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » قال الأستاذ : الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها و بوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال الله تعالى ـ ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ـ ومن لم يكن مستقيما فى صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره ولم يبن سلوكه على صحة فمن شرط المستأنف الاستقامة فى أحكام البداية كما أن من حق العارف الاستقامة فى آداب النهاية فمن أمارات استقامة أهل البداية أن لاتشوب معاملتهم فترة ومن أمارات استقامة أهل الوسايط أن لايصحب منازلتهم وقفة ومن أمارات استقامة أهل النهاية أن لاتتداخل مواصلتهم حجبة . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول الاستقامة لها ثلاثة مدارج أولها التقويم ثم الإقامة ثم الاستقامة فالتقويم من حيث تأديب النفوس والإقامة من حيث تهذيب القلوب والاستقامة من حيث تقريب الأسرار. وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى معنى قوله ـ ثمّ استقاموا ـ لم يشركوا وقال عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب فقول الصديق محمول على مراعاة الأصول فى التوحيد وقول عمر محمول على ترك طلب التأويل والقيام بشرط العهود وقال ابن عطاء استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى وقال أبو على الجوزجانى كن صاحب الاستقامة لاطالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك عزّ وجلّ يطالبك بالاستقامة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أباعلى الشبوّى يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له روى عنك أنك قلت «شيبتنى هود» فما الذى شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله تعالى ـ فاستقم كما أمرت ـ وقيل إن الاستقامة لايطيقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « استقيموا ولن تحصوا » وقال الواسطى الخصلة التى بها كملت المحاسن و بفقدها قبحت المحاسن الاستقامة وحكى عن الشبلى أنه قال الاستقامة أن تشهد الوقت قيامة و يقال الاستقامة فى الأقوال بترك الغيبة وفى الأفعال بنفى البدعة وفى الأعمال بنفى الفترة وفى الأحوال بنفى الحجبة . سمعت الأستاذ الامام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك يقول السين فى الاستقامة سين الطلب أى طلبوا من الحق أن يقيمهم على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم قال الأستاذ : واعلم أن الاستقامة توجب إدامة الكرامة قال الله تعالى ـ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ـ لم يقل سقيناهم بل قال أسقيناهم يقال أسقيته إذا جعلت له سقيا فهو يشير إلى الدوام سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت أبا العباس الفرغانى يقول قال الجنيد لقيت شابا من المريدين فى البادية تحت شجرة من شجر أم غيلان فقلت ماأجلسك ههنا فقال حال

(ولن تحصوا) أى تستطيعوا الاستقامة أى المخالفة للمعتاد (الشبوى) بفتح المعجمة وضم الموحدة وكسر الواو المشددات (والعادات) من حظوظ النفس والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استقيموا ولن تحصوا» وتقدم بيانه (فهو يشير إلى الدوام) أى دوام الخير من المطر ومايترتب عليه وماقاله جار على قول من فرّق بين سقاه وأسقاه والمشهور أنهما بمعنى و يقال سقيته لنفسه وأسقيته لماشيته وأرضه

افتقدته فمضيت وتركته فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة فقلت ماجلوسك ههنا فقال وجدت ما كنت أطلبه فى هذا الموضع فلزمته قال الجنيدى فلا أدرى أيهما كان أشرف لزومه لافتقاد حاله أولزومه للموضع الذى نال فيه مراده .

باب الإخلاص

قال الله تعالى ـ ألا لله الدين الخالص ـ أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد ابن عبيد البصرى قال حدثنا جعفر بن محمد الفريابى قال حدثنا أبوطالوت قال حدثنى هانئ ابن عبدالرحمن بن أبى عبلة العقيلى عن إبراهيم بن أبى عبلة قال حدثنى عطية بن وشاح عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله تعالى ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين » قال الأستاذ : الإخلاص إفراد الحق سبحانه فى الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شىء آخر من تصنع لمخلوق أوا كتساب محمدة عند الناس أومحبة مدح من الخلق أومعنى من المعانى سوى التقرب به إلى الله تعالى ويصح أن يقال الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ويصح أن يقال الإخلاص التوقى عن ملاحظة الأشخاص وقد ورد خبر مسند «أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى أنه قال : الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى» . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول ، وقد سألته عن الإخلاص ماهو فقال سمعت على بن سعيد وأحمد بن محمد بن زكريا وقد سألتهما عن الإخلاص قالا سمعنا على بن إبراهيم الشقيق وقد سألناه عن الإخلاص فقال : سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الإخلاص فقال : سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو؟ قال سألت أبايعقوب الشريطى عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ماهو ؟ قال سألت الحسن عن الإخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو قال «سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ماهو؟ قال سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الإخلاص ماهو قال : سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى» . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإخلاص التوقى عن ملاحظة الخلق والصدق التنقى من مطالعة النفس فالمخلص لارياء له والصادق لاإعجاب له ، وقال ذوالنون المصرى: الإخلاص لايتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لايتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه . وقال أبو يعقوب السوسى . متى شهدوا فى إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص وقال ذو النون : ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول الإخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا إخلاص العوام وأما إخلاص الخواص فهو مايجرى عليهم لابهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولايقع لهم عليها رؤية ولابها اعتداد فذلك إخلاص الخواص وقال أبو بكر الدقاق نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه فإذا أراد الله تعالى أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصا لامخلصا وقال سهل لايعرف الرياء إلا مخلص . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الوجيهى يقول

(لايغل) بفتح الياء مع ضم الغين أى لايخون ومع كسرها أى لايحقد (عن ملاحظة الخلق) بأن لايفرح برؤيتهم لما هوفيه من العمل ليمدحوه أو يصلوه أولئلا يستنقصوه (احتاج إخلاصهم إلى إخلاص) لحق المخلص أن لايرى إخلاصه ولايسكن إليه فمتى خالف ذلك لم يكمل إخلاصه بل سماه بعضهم رياء فقال رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين (لايعرف الرياء إلا مخلص) لأن الإخلاص ضد الرياء فمن لم يشتغل به ولم يقصد تخليص عمله من الشوائب لم يسلم من الرياء لدخوله عليه وهو لايشعر ومن اشتغل به اتقاه وسلم منه لمعرفته به

سمعت أبا على الروذبارى يقول قال لى رويم قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين وقال ذو النون الإخلاص ماحفظ من العدوّ أن يفسده . وقال أبو عثمان : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق وقال حذيفة المرعشى : الإخلاص أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن . وقيل الإخلاص ماأريد به الحق سبحانه وقصد به الصدق . وقيل الإغماض عن رؤية الأعمال . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن عبد الحميد يقول سمعت السرى يقول : من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى . وسمعته يقول سمعت على بن بندار الصوفى يقول سمعت عبد الله بن محمود يقول سمعت محمد بن عبد ربه يقول سمعت الفضيل يقول ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وقال الجنيد الاخلاص سر بين الله و بين العبد لايعلمه ملك فيكتبه ولاشيطان فيفسده ولاهوى فيميله . وقال رويم الاخلاص من العمل هو الذى لايريد صاحبه عليه عوضا من الدارين ولاحظا من الملكين وقيل لسهل بن عبدالله أى شىء أشد على النفس فقال الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب . وسئل بعضهم عن الإخلاص فقال أن لاتشهد على عملك غير الله عزّوجل . وقال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلاة فرأيت فى البيت حية فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى فقال ادخل لايبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شىء يخافه ثم قال هل لك فى صلاة الجمعة فقلت بيننا و بين المسجد مسيرة يوم وليلة فأخذ بيدى فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد فدخلناه وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون فقال أهل لاإله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل أخبرنا حمزة بن يوسف الجرجانى قال حدثنا محمد بن محمد بن عبدالرحيم قال حدثنا أبوطالب محمد بن زكريا المقدسى قال حدثنا أبوقرصافة محمد بن عبدالوهاب العسقلانى قال حدثنا زكريا بن نافع قال حدثنا محمد بن يزيد القراطيسى عن إسمعيل بن أبى خالد عن مكحول قال ماأخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شادان يقول سمعت عبد الرزاق يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول أعز شىء فى الدنيا الإخلاص وكم أجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى فكأنه ينبت على لون آخر وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت أبا الجهم يقول سمعت ابن أبى الحوارى يقول سمعت أباسليمان يقول : إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء .

باب الصدق

قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ـ أخبرنا الإمام أبو بكر محمد ابن فورك رحمه الله قال أخبرنا عبدالله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال حدثنا أبو بشر يونس ابن حبيب قال حدثنا أبوداود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل عن عبدالله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «لايزال العبد يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله تعالى صديقا ولايزال يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» قال الأستاذ والصدق عماد الأمر و به تمامه وفيه نظامه وهو تالى درجة النبوّة قال الله تعالى ـ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين ـ الآية والصادق الاسم اللازم من الصدق والصدّيق المبالغة منه

(الصدق) هو الحكم المطابق للواقع و يقال غير ذلك كما سيأتى ومحاله اللسان والقلب والأفعال وكل منها يحتاج إلى لفظ يخصه فهو فى اللسان الاخبار عن الشىء على ماهو عليه وفى القلب العزم الأكيد وفى الأفعال إيقاعها على وجه النشاط والجد وسببه الوثوق بخبر المتصف به وثمرته مدح الله والخلق للمتصف به

وهو الكثير الصدق الذى الصدق غالبه كالسكير والخمير وبابه وأقلّ الصدق استواء السرّ والعلانية والصادق من صدق فى أقواله والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق فانّ الله تعالى قال ـ إنّ الله مع الصادقين ـ . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول : الصادق يتقلب فى اليوم أربعين مرّة والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة وقال أبو سليمان الدارانى : لو أراد الصادق أن يصف ما فى قلبه ما نطق به لسانه . وقيل : الصدق القول بالحق فى مواطن الهلكة . وقيل : الصدق موافقة السرّ النطق . وقال القناد : الصدق منع الحرام من الشدق . وقال عبد الواحد بن زيد : الصدق الوفاء لله عزّ وجل بالعمل . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول : لايشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره . وقال أبو سعيد القرشى : الصادق الذى يتهيأ له أن يموت ولايستحى من سرّه لو كشف قال الله تعالى ـ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ـ . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : كان أبو على الثقفى يتكلم يوما فقال له عبدالله بن منازل ياأبا علىّ استعدّ للموت فلابدّ منه فقال أبو على وأنت ياعبدالله استعدّ للموت فلابدّ منه فتوسد عبدالله ذراعه ووضع رأسه وقال قدمتّ فانقطع أبو على لأنه لم يمكنه أن يقابله بما فعل لأنه كان لأبى علىّ علاقات وكان عبد الله مجردا لاشغل له . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : كان أبو العباس الدينورى يتكلم فصاحت عجوز فى المجلس صيحة فقال لها أبو العباس موتى فقامت وخطت خطوات ثم التفتت إليه وقالت قد متّ ووقعت ميتة . وقال الواسطى : الصدق صحة التوحيد مع القصد . وقيل : نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نحل بدنه فقال ياغلام أتديم الصوم ؟ فقال ولا أديم الإفطار فقال أتديم القيام بالليل ؟ فقال ولا أديم النوم فقال فما الذى أنحلك فقال هوى دائم وكتمان دائم عليه فقال عبد الواحد اسكت فما أجرأك فقام الغلام وخطى خطوتين وقال إلهى إن كنت صادقا فخذنى فخرّ ميتا . وحكى عن أبى عمرو الزجاجى أنه قال : ماتت أمى فورثت منها دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت إلى الحج فلما بلغت بابل استقبلنى واحد من القناقنة وقال : إيش معك ؟ فقلت فى نفسى الصدق خير ثم قلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرّة فعدّها فاذا هى خمسون دينارا فقال خذها فلقد أخذنى صدقك ثم نزل عن الدابة وقال اركبها فقلت لا أريد فقال لابد وألحّ علىّ فركبتها فقال وأنا على أثرك فلما كان العام المستقبل لحق بى ولازمنى حتى مات . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت جعفرا الخوّاص يقول سمعت إبراهيم الخوّاص يقول : الصادق لاتراه إلا فى فرض يؤدّيه أو فضل يعمل لربه فيه . وسمعته يقول سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول سمعت جعفرا الخوّاص يقول سمعت الجنيد يقول : حقيقة الصدق أن تصدق فى مواطن لاينجيك منها إلا الكذب وقيل : ثلاثة لاتخطىء الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة . وقيل : أوحى الله إلى داود عليه السلام ياداود من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته . وقيل : دخل إبراهيم بن دوحة مع إبراهيم بن ستنبة البادية فقال إبراهيم بن ستنبة اطرح مامعك من العلائق قال فطرحت كل شىء إلا دينارا فقال ياإبراهيم لاتشغل سرّى اطرح مامعك من العلائق قال فطرحت الدينار ثم قال ياإبراهيم اطرح مامعك من العلائق فتذكرت أن معى شسوعا للنعل فطرحتها فما احتجت فى الطريق

(كالسكير) الكثير السكر من شرب المسكر (والخمير) الكثير شرب الخمر (وبابه) وهو كل ماكان بزنة فعيل كالشرير (مع الصادقين) أى بالعون والحفظ لأنهم صدقوا فيه وفى القيام بحقه ومع هذا فالتلاوة ـ إنّ الله مع الصابرين ـ (القناقنة) جمع قنقن وهو الدليل الهادى (لاتخطىء الصادق) أى لاتتجاوزه إلى غيره كما جرت عادة الله تعالى به (الحلاوة) فى منطقه لإتيانه بالحق فى رفق وسهولة (والهيبة) أى الحرمة له لدوام توقفه عما يكرهه مولاه وإنكاره المنكر ولوكان فاعله إياه (والملاحة) له لضياء الطاعة على وجهه ، وقد قيل : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (من صدقنى الخ) لخبر « من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها » والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص أن تجرى حركاته وسكناته على حسب مافى قلبه فيظهر الصدق فى أحواله وأفعاله

إلى شسع إلا وجدته بين يدى فقال إبراهيم بن ستنبة هكذا من عامل الله تعالى بالصدق وقال ذوالنون الصدق سيف الله ماوضع على شيء إلا قطعه وقال سهل بن عبد الله أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم . وسئل فتح الموصلى عن الصدق فأدخل يده فى كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق وقال يوسف بن أسباط لأن أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفى فى سبيل الله تعالى . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول الصدق أن تكون كما ترى من نفسك أوترى من نفسك كما تكون . وسئل الحرث المحاسبى عن علامة الصدق فقال الصادق هو الذى لايبالى لو خرج على قدر له فى قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيىء من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين وقال بعضهم من لم يؤد الفرض الدائم لايقبل منه الفرض المؤقت قيل ماالفرض الدائم قال الصدق وقيل إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقيل عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فانه ينفعك ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك وقيل كل شيء شيء ومصادقة الكذاب لاشيء وقيل علامة الكذاب جوده باليمين بغير مستحلف وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف وقيل ماأملق تاجر صدوق .

باب الحياء

قال الله تعالى ـ ألم يعلم بأن الله يرى ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى المزكى قال أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد النحوى ببغداد قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم قال حدثنا موسى بن حيان قال حدثنا المقدمى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحياء من الايمان» أخبرنا أبوسعيد محمد بن إبراهيم الاسماعيلى قال حدثنا أبوعثمان عمرو بن عبد الله البصرى قال حدثنا أبوأحمد محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا يعلى بن عبيد قال حدثنا أبان بن إسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه «استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحى يانبى الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وماوعى وليحفظ البطن وماحوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول أخبرنا أبو نصر الوزيرى قال حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال حدثنا الغلابى قال حدثنا محمد بن مخلد عن أبيه قال قال بعض الحكماء :أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت ابن عطاء يقول العلم الأكبر الهيبة والحياء فاذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيه خير وسمعته يقول سمعت أباالفرج الورثانى يقول سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول حدثنى محمد بن عبد الملك قال سمعت ذا النون المصرى يقول الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة ماسبق منك إلى ربك تعالى وقال ذو النون الحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال أبو عثمان من تكلم فى الحياء ولا يستحى من الله عز وجل فيما يتكلم به فهو مستدرج . سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول دخل الحسن بن الحداد على عبد الله بن منازل فقال من أين تجىء فقال من مجلس أبى القاسم المذكر فقال فيما ذا كان يتكلم فقال فى الحياء فقال عبد الله واعجباه

(الحياء) هو مايمنعك عما يضرك ويقال تعظيم يمنع من الانبساط ويقال غيرذلك كماسيأتى. وسببه ملازمة من يستحيا منه كأهل العلم والأدب وثمرته الأمن من المقت والعذاب وخفة الحساب وعدم الدعوى وكثرة الثواب ويكفى فى ذلك خبر «الحياء لايأتى إلابخير» وهو ممدوح ،ومطلوب (أحيوا الحياء الخ) واحذروا أن يمازجه رياء كأن يمر بأخيه وهو محتاج إلى من يساعده فى شغل له فيقف ليساعده حياء لحسن خلقه ثم يعزم على المضى فيقول له الشيطان الآن يذمك فى كونك لم تثبت معه حتى يفرغ من شغله فيساعده رياء بعد أن كان حياء

من لم يستح من الله تعالى كيف يتكلم فى الحياء . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت أحمد بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول قال السرى إن الحياء والأنس يطرقان القلب فان وجدا فيه الزهد والورع حطا وإلا رحلا . وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الجريرى يقول تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة وقيل فى قوله تعالى ـ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ـ البرهان أنها ألقت ثوبا على وجه صنم فى زاوية البيت فقال يوسف ماذا تفعلين ؟ فقالت أستحيي منه قال يوسف عليه السلام أنا أولى منك أن أستحيي من الله تعالى . وقيل فى قوله تعالى ـ فجاءته إحداهما تمشى على استحياء ـ قيل إنما استحيت منه لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة فاستحيت أن لا يجيب موسى عليه السلام فصفة المضيف الاستحياء وذلك استحياء الكرم . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين يقول سمعت أبا محمد البلاذرى يقول سمعت أبا عبد الله العمرى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول قال الله تعالى «عبدى إنك مااستحييت منى أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك الحساب يوم القيامة» وقيل رؤى رجل يصلى خارج المسجد فقيل له لم لاتدخل المسجد فتصلى فيه فقال أستحيي منه أن أدخل بيته وقد عصيته وقيل من علامات المستحيي أن لا يرى بموضع يستحيا منه وقال بعضهم خرجنا ليلة فمررنا بأجمة فاذا رجل نائم وفرس عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له ألا تخاف أن تنام فى مثل هذا الموضع المخوف وهو مسبع فرفع رأسه وقال أنا أستحيي منه أن أخاف غيره ووضع رأسه ونام. وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح منى أن تعظ الناس وقيل الحياء على وجوه : حياء الجناية كآدم عليه السلام لما قيل له أفرارا منا فقال لا بل حياء منك وحياء التقصير كالملائكة يقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وحياء الإجلال كإسرافيل عليه السلام تسربل بجناحه حياء من الله عزّ وجلّ وحياء الكرم كالنبىّ صلى الله عليه وسلم كان يستحى من أمته أن يقول اخرجوا فقال الله عزّ وجلّ ـ ولا مستأنسين لحديث ـ وحياء حشمة كعلىّ رضى الله عنه حين سأل المقداد حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم المذى لمكان فاطمة رضى الله عنهما وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال إنى لتعرض لى الحاجة من الدنيا فأستحيي أن أسألك يارب فقال الله عزّ وجلّ سلنى حتى ملح عجينك وعلف شاتك وحياء الإنعام هو حياء الرب سبحانه يدفع إلى العبد كتابا مختوما بعد ماعبر الصراط وإذا فيه فعلت مافعلت ولقد استحييت أن أظهر عليك فاذهب فانى قد غفرت لك. سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول فى هذا الخبر إن يحيى بن معاذ قال سبحان من يذنب العبد فيستحى هو منه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن جعفر يقول سمعت زنجويه اللباد يقول سمعت على بن الحسين الهلالى يقول سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول خمس من علامات الشقاء : القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل وفى بعض الكتب ماأنصفنى عبدى يدعونى فأستحيي أن أرده ويعصينى فلا يستحيي منى وقال يحيى بن معاذ من استحيا من الله مطيعا استحيا الله تعالى منه وهو مذنب. قال الأستاذ واعلم أن الحياء

(ماستحييت) مامصدرية ظرفية (أنسيت الناس عيوبك) لئلا يفضحوك (وأنسيت بقاع الخ) لئلا تشهد عليك يوم القيامة (أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ (زلاتك) ولم أطلع عليها أحدا من خلقى (أن أدخل بيته الخ) لأن العادة أن من كمل حياؤه من غيره لم يقرب له موضعا (ونام) فيه دلالة على كمال حيائه من ربه حيث لم يخامر قلبه خوف من غيره حتى من الأماكن التى يخشى منها الأذية (الجناية) بالإخلال بالأمر والنهى (وحياء حشمة) هو قد يرجع إلى إحياء الإجلال

يوجب التذويب فيقال الحياء ذوبان الحشا لاطلاع المولى ويقال الحياء انقباض القلب لتعظيم الرب وقيل إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك وإلا فاستحي من سيدك فانه يراك . وسئل الجنيد عن الحياء فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء وقال الواسطى لم يذق لذعات الحياء من لابس خرق حد أو نقض عهد . وقال الواسطى أيضا المستحيي يسيل منه العرق وهو الفضل الذى فيه وما دام فى النفس شىء فهو مصروف عن الحياء . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول: الحياء ترك الدعوى بين يدى الله عز وجل سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا العباس بن الوليد الزوزنى يقول سمعت محمد بن أحمد الجوزجانى يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول : ربما أصلى لله تعالى ركعتين فأنصرف عنهما وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء .

باب الحرية

قال الله عز وجل ـ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ قال إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به. أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا ابن أبى قماش قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثنا نعيم بن مورع بن توبة عن إسماعيل المكى عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما يكفى أحدكم ماقنعت به نفسه وإنما يصير إلى أربعة أذرع وشبر وإنما يرجع الأمر إلى آخره» قال الأستاذ الحرية أن لايكون العبد تحت رق المخلوقات ولايجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء فيتساوى عنده أخطار الأعراض . قال حارثة رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول من دخل الدنيا وهو عنها حرّ ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا محمد المراغى يحكى عن الدقى عن الدقاق أنه كان يقول من كان فى الدنيا حرا منها كان فى الآخرة حرا منها قال الأستاذ واعلم أن حقيقة الحرية فى كمال العبودية فاذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رقّ الأغيار حريته فأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتا عذار العبودية ويحيد بلحظه عن حد الأمر والنهى وهو مميز فى دار التكليف فذلك انسلاخ من الدين قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ـ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ـ يعنى الأجل وعليه أجمع المفسرون وأن الذى أشار إليه القوم من الحرية هو أن لا يكون العبد بقلبه تحت رق شىء من المخلوقات لامن أعراض الدنيا ولامن أعراض الآخرة فيكون فرد الفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا آجل منى ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظ وقيل للشبلى ألا تعلم أنه رحمن فقال بلى ولكن منذ عرفت رحمته ماسألته أن يرحمنى ومقام الحرية عزيز . سمعت الشيخ أبا على رحمه الله تعالى يقول كان أبو العباس السيارى يقول لوصحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت

أتمنى على الزمان محالا ... أن ترى مقلتاى طلعة حر

وأما أقاويل المشايخ فى الحرية فقال الحسين بن منصور من أراد الحرية فليصل العبودية . وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد مابقى عليه درهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول إنك لاتصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية وقال بشر الحافى

(الحرية) هى كما سيأتى أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ويقال الاعراض عن الكل والاقبال على من له الكل ويقال أن لايدخل قلبك سوى الله وكلها متقاربة وهى ممدوحة ومطلوبة (عما خرجوا منه) من الدنيا (وآثروا به) غيرهم (إلى أربعة أذرع وشبر) أى إلى قبر عمقه ذلك (عزفت) بالزاى أى زهدت (فاستوى عندى حجرها وذهبها) ويكفى فى الزهد عنها خبر «تعس عبد الدينار والدرهم» فمن تحرز عن رقتها شغلا به وإعراضا عنها فهو الحر عن غير الله والعبد فى الحقيقة لله

من أراد أن يذوق طعم الحرية و يستريح من العبودية فليطهر السريرة بينه و بين الله تعالى وقال الحسين بن منصور إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حرا من تعب العبودية فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة وذلك مقام الأنبياء والصديقين يعنى يصير محمولا لايلحقه بقلبه مشقة و إن كان متحليا بها شرعا أنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن قال أنشدنا أبو بكر الرازى قال أنشدنى منصور الفقيه لنفسه :

مابقى فى الانس حر لا ولا فى الجن حر قدمضى حرالفريقين فلو العيش مر

واعلم أن معظم الحرية فى خدمة الفقراء . سمعت الشيخ أباعلى الدقاق يقول أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما وقال صلى الله عليه وسلم « سيد القوم خادمهم » . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل يقول سمعت محمد ابن الرومى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار . وسمعته يقول سمعت عبدالله بن عثمان بن يحيى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت يوسف بن موسى يقول سمعت ابن خبيق يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول إن الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها وقال إبراهيم ابن أدهم لاتصحب إلا حرا كريما يسمع ولا يتكلم .

باب الذكر

قال الله عز وجل ـ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ـ أخبرنا أبوالحسين على بن محمد ابن عبد الله بن بشران ببغداد قال أخبرنا أبو على الحسين بن صفوان البردعى قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قال حدثنا هرون بن معروف قال حدثنا أنس بن عياض قال حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبى هند عن زياد بن أبى زياد عن أبى بحرية عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم قالوا ماذاك يارسول الله قال ذكر الله تعالى » أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال حدثنا يعقوب بن إسحق بن إبراهيم قال حدثنا الدبرى عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله » أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا معاذ قال حدثنا أبى قال حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الأرض الله الله » . قال الأستاذ الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهوالكامل فى وصفه فى حال سلوكه . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقيل إن الشبلى كان فى ابتداء أمره ينزل كل يوم سربا و يحمل مع نفسه حزمة من القضبان فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه فربما كانت الحزمة تفنى قبل أن يمسى فكان يضرب بيديه ورجليه على الحائط وقيل ذكر الله بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم وبه يدفعون الآفات

(قبل أن يخرج منها) لأنها عبارة عن المال والجاه وما يتبعهما فان زهد فيها خلص من ضررها وخرج عنها و إن أقام معها وأحبها أخرج منها قهرا إما بالزوال أو بالموت والأول أشرف من الأخير (ولا يتكلم) أى يحمل الأذى ولا يكافئ عليه ولا يحقد ليجازى فى وقت آخر هذا كله مدح لمن حسنت أخلاقه وتحرز عن رق الشهوات (مليككم) ملككم (ذكر اللسان وذكر القلب) فان اقتصر على أحدهما فالثانى أفضل ثم لاينبغى أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفا من أن يظن به الرياء بل يذكر بهما جميعا و يقصد وجه الله

التى تقصدهم و إن البلاء إذا أظلّ العبد فاذافزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد عنه فى الحال كل ما يكرهه. وسئل الواسطى عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدّة الحب . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن الحسين يقول سمعت أبا محمد البلاذرى يقول سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول سمعت ذا النون المصرى يقول : من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شىء وحفظ الله تعالى عليه كل شىء وكان له عوضا عن كل شىء ، وسمعته يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت أحمد المسجدى يقول سئل أبو عثمان فقيل له نحن نذكر الله تعالى ولا نجد فى قلو بنا حلاوة فقال احمدوا الله تعالى على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته ، وفى الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها ، فقيل له وما رياض الجنة ؟ فقال مجالس الذكر » أخبرنا أبو الحسن علىّ بن بشران ببغداد قال حدّثنا أبو على بن صفوان قال حدّثنا الحسين بن أبى الدنيا قال حدّثنا الهيثم بن خارجة قال حدّثنا إسمعيل بن عياش عن عمر بن عبد الله أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة ، قلنا يارسول الله مارياض الجنة ؟ قال مجالس الذكر قال اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمدا الفراء يقول سمعت الشبلى يقول أليس الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرنى ما الذى استفدتم من مجالسة الحق سبحانه ، وسمعته يقول سمعت عبد الله بن موسى السلامى يقول سمعت الشبلى ينشد فى مجلسه :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة ... وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام علىّ القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى ... شهدتك موجودا بكلّ مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ... ولاحظت معلوما بغير عيان

ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بل مامن وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى إما فرضا و إما ندبا والصلاة و إن كانت أشرف العبادات فقد لاتجوز فى بعض الأوقات والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات ، قال الله تعالى ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ـ سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله يقول قياما بحق الذكر وقعودا عن الدعوى فيه ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يسأل الأستاذ أبا على الدقاق فقال الذكر أتمّ أم الفكر ؟ فقال الأستاذ أبوعلى ما الذى يقع للشيخ منه فقال الشيخ أبو عبد الرحمن عندى الذكر أتمّ من الفكر لأن الحق سبحانه يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر وما وصف به الحق سبحانه أتمّ مما اختصّ به الخلق فاستحسنه الأستاذ أبوعلى رحمه الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمىّ يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول : لولا أن ذكره فرض علىّ لما ذكرته إجلالا له مثلى يذكره ولم يغسل فمه بألف توبة متقبلة عن ذكره . سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله ينشد لبعضهم :

ما إن ذكرتك إلا همّ يزجرنى ... قلبى وسرى وروحى عند ذكراكا
حتى كأن رقيبا منك يهتف بى ... إياك ويحك والتذكار إياكا

(على الحقيقة) أى الذكر الكامل وهو الاستغراق فى المذكور (كل شىء) حتى كونه ذاكرا (بطاعته) أى بالذكر فاذا شكرتموه على ذلك نقلكم إلى ماهو أعلى فى درجات الذكر وهو وجود اللذة به ثم إلى ماهو أرفع من وجودها وهذا إرشاد بالغ وفاء بقوله تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ (حيث أنزله من نفسه) قال تعالى ـ اذكرونى أذكركم ـ وقال ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ والكل من فضله وفى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال «لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده »

ومن خصائص الذكر أنه جعل فى مقابلته الذكر قال الله تعالى ـ فاذكرونى أذكركم ـ وفى خبر «أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول أعطيت أمتك مالم أعط أمة من الأمم فقال وماذاك ياجبريل؟ فقال قوله تعالى ـ فاذكرونى أذكركم ـ لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة» . وقيل إن الملك يستأمر الذاكر فى قبض روحه . وفى بعض الكتب أن موسى عليه السلام قال : يارب أين تسكن؟ فأوحى الله تعالى إليه فى قلب عبدى المؤمن ومعناه سكون الذكر فى القلب فان الحق سبحانه وتعالى منزه عن كل سكون وحلول وإنما هو إثبات ذكر وتحصيل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت فارسا يقول سمعت الثورى يقول سمعت ذا النون المصرى وسألته عن الذكر فقال : غيبة الذاكر عن الذكر ثم أنشأ يقول :

لا لأنى أنساك أكثر ذكرا ك ولكن بذاك يجرى لسانى

(أين تسكن) أى يسكن ذكرك فحذف المضاف (يجرى لسانى) أى لم يحملنى على كثرة الذكر بلسانى زوال غفلتى ونسيانى لك عن قلبى بل أنا ذاكرك بقلبى بكل حال ولكل امتلاء قلبى بك جرى ذكرك على لسانى فان من أحب شيئا أكثر من ذكره (فترصاحبى) عن العمل فجوزى بذلك لقوله تعالى ـ إنما تجزون ما كنتم تعملون ـ ولخبر «إنما هى أعمالكم تردّ عليكم» وهؤلاء الملائكة يحتمل أنهم يطلعون على أعمال العباد ويحتمل أن تكون الملائكة الموكلون بالعباد ينقلون إليهم أحوالهم

وقال سهل بن عبد الله : مامن يوم إلا والجليل سبحانه ينادى : عبدى ماأنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك إلىّ وتذهب إلى غيرى وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا إذا جئتنى . وقال سليمان الدارانى : إن فى الجنة قيعانا فاذا أخذ الذاكر فى الذكر أخذت الملائكة فى غرس الأشجار فيها فربما يقف بعض الملائكة فيقال له لم وقفت فيقال فتر صاحبى وقال الحسن تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فان وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق وقال حامد الأسود كنت مع إبراهيم الخواص فى سفر فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس وجلست فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ فقال اذكر الله تعالى فذكرت فرجعت ثم عادت فصحت به فقال مثل ذلك فلم أزل إلى الصباح فى مثل تلك الحالة فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطأته حية عظيمة قد تطوّقت به فقلت ماأحسنت بها فقال لامنذ زمان مابت ليلة أطيب من البارحة وقال أبو عثمان : من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الدبيانى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول مكتوب فى بعض الكتب التى أنزل الله تعالى إذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقته وباسناده أنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بى ففرحوا وبذكرى فتنعموا وقال النورى لكل شىء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر وفى الإنجيل اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتى لك فان نصرتى لك خير لك من نصرتك لنفسك وقيل لراهب أنت صائم فقال صائم بذكره فإذا ذكرت غيره أفطرت وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فتجتمع إليه الشياطين فيقولون مالهذا فيقال قد مسه الإنس وقال سهل ماأعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب وقيل الذكر الخفى لايرفعه الملك لأنه لااطلاع له عليه فهو سر بين العبد وبين الله عزّ وجل وقال بعضهم وصف لى ذاكر فى أجمة فأتيته فبينا هو جالس إذا سبع عظيم ضربه ضربة واستلب منه قطعة فغشى عليه وعلىّ فلما أفاق قلت ماهذا فقال قيض الله هذا السبع علىّ فكلما دخلتنى فترة عضنى عضة كما رأيت . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول : كان بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله فوقع يوما على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط الدم فاكتب على الأرض الله الله .

باب الفتوّة

قال الله تعالى ـ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ـ قال الأستاذ أصل الفتوة أن يكون العبد أبدا فى أمر غيره قال صلى الله عليه وسلم «لايزال الله تعالى فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخيه المسلم» أخبرنا به على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا إسمعيل بن الفضل قال حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثنا ابن أبى حازم عن عبد الله بن عامر الأسلمى عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبى هريرة عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لايزال الله تعالى فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخيه المسلم» . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل أحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول : الفتوّة بالشأم واللسان بالعراق والصدق بخراسان . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصير بن منصور الصائغ يقول سمعت ابن مردويه الصائغ يقول سمعت الفضل يقول الفتوّة الصفح عن عثرات الإخوان. وقيل الفتوّة أن لاترى لنفسك فضلا على غيرك وقال أبو بكر الوراق الفتى من لايكون خصما لأحد . وقال محمد بن على الترمذى الفتوّة أن تكون خصما لربك على نفسك ويقال الفتى من لاخصم له . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول سمعت النصراباذى يقول سمى أصحاب الكهف فتية لأنهم آمنوا بالله تعالى بلاواسطة وقيل الفتى من كسر الصنم قال الله تعالى ـ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ـ وقال تعالى ـ جعلهم جذاذا ـ وصنم كل إنسان نفسه فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة وقال الحرث المحاسبى الفتوّة أن تنتصف ولاتنصف وقال عمرو بن عثمان المكى الفتوّة حسن الخلق . وسئل الجنيد عن الفتوّة فقال أن لاتنافر فقيرا ولاتعارض غنيا وقال النصراباذى المروءة شعبة من الفتوّة وهو الإعراض عن الكونين والأنفة منهما وقال محمد بن على الترمذى الفتوّة أن يستوى عندك المقيم والطارئ . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن عمر الحافظ يقول سمعت أبا سهل بن زياد يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سئل أبى ماالفتوّة؟ فقال ترك ماتهوى لما تخشى وقيل لبعضهم ماالفتوّة فقال أن لايميز بين أن يأكل عنده ولى أو كافر . سمعت بعض العلماء يقول استضاف مجوسى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال بشرط أن تسلم فمرّ المجوسى فأوحى الله تعالى إليه منذ خمسين سنة نطعمه على كفره فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه فمضى إبراهيم عليه السلام على أثره حتى أدركه واعتذر إليه فسأله عن السبب فذكر ذلك له فأسلم المجوسى وقال الجنيد الفتوّة كف الأذى وبذل الندى وقال سهل بن عبد الله الفتوّة اتباع السنة وقيل الفتوّة الوفاء والحفاظ وقيل الفتوّة فضيلة تأتيها ولاترى نفسك فيها وقيل الفتوّة أن لاتهرب إذا أقبل السائل وقيل أن لاتحتجب من القاصدين وقيل أن لاتدّخر ولاتعتذر وقيل إظهار النعمة وإسرار المحنة . وقيل أن تدعو عشرة أنفس فلا تتغير إن جاء تسعة أو أحد عشر وقيل الفتوّة ترك التميز . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول قال أحمد بن خضرويه لامرأته أم على أريد أن أتخذ دعوة أدعو عيارا شاطرا كان فى بلدهم رأس الفتيان فقالت امرأته إنك لاتهتدى إلى دعوة الفتيان فقال لابدّ فقالت إن فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحمر وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك فقال أما الأغنام

(سمى أصحاب الكهف الخ) وقيل لكونهم فتيانا فارقوا أهلهم وخرجوا إلى ربهم فارّين إليه معرضين عن حظوظهم الدنيوية فمدحوا بكونهم تركوها لله ولذلك خرقت لهم العادة فلبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ولم يتغير لهم حال (حسن الخلق) لاشتماله على جميع الصفات الحميدة (والأنفة) أى الاستنكاف (والحفاظ) أى وحفظك الحدود بأن لاتتعداها (عشرة أنفس) أى مثلا (ترك التميز) فى طعامك بين آكليه من حبيب ومبغض ومستحق وغيره لزهدك فى الدنيا

والبقر فأعلم فما بال الحمر فقالت تدعو فتى إلى دارك فلا أقل من أن يكون لكلاب المحلة خير . وقيل اتخذ بعضهم دعوة وفيهم شيخ شيرازى فلما أكلوا وقع عليهم النوم فى حال السماع فقال الشيخ الشيرازى لصاحب الدعوة إيش السبب فى نومنا فقال لاأدرى اجتهدت فى جميع ماأطعمتكم إلا الباذنجان فلم أسأل عنه فلما أصبحوا سألوا بياع الباذنجان فقال لم يكن لى شىء فسرقت الباذنجان من الموضع الفلانى و بعته فحملوه إلى صاحب الأرض ليجعله فى حل فقال الرجل تسألون منى ألف باذنجانة قد وهبته تلك الأرض ووهبته ثورين وحمارا وآلة الحرث لئلا يعود إلى مثل مافعل . وقيل تزوّج رجل بامرأة فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدرى فقال الرجل اشتكت عينى ثم قال عميت فزفت إليه المرأة ثم ماتت بعد عشرين سنة ففتح الرجل عينيه فقيل له فى ذلك فقال لم أعم ولكن تعاميت حذرا أن تحزن فقيل له سبقت الفتيان . وقال ذوالنون المصرى من أراد الظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد فقيل له كيف هو فقال لما حملت إلى الخليفة فيما نسب إلىّ من الزندقة رأيت سقاء عليه عمامة وهو متردّ بمنديل مصرى و بيده كيزان خزف رقاق فقلت هذا ساقى السلطان فقالوا لا هذا ساقى العامة فأخذت الكوز وشربت وقلت لمن معى أعطه دينارا فلم يأخذ وقال أنت أسير وليس من الفتوّة أن تأخذ منك شيئا وقيل ليس من الفتوّة أن تربح على صديقك قاله بعض أصدقائنا رحمه الله تعالى وكان فتى يسمى أحمد بن سهل التاجر وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ الثمن رأس ماله فقلت ألا تأخذ ربحا فقال أما الثمن فآخذه ولاأحملك منة لأنه ليس له من الخطر ماأتخلق به معك ولكن لا آخذ الربح إذ ليس من الفتوّة أن تربح على صديقك . وقيل خرج إنسان يدعى الفتوّة من نيسابور إلى نسا فاستضافه رجل ومعه جماعة من الفتيان ، فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصبّ الماء على أيديهم فانقبض النيسابورى عن غسل اليد وقال : ليس من الفتوّة أن تصبّ النسوان الماء على أيدى الرجال . فقال واحد منهم أنا منذ سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امرأة تصبّ الماء على أيدينا أم رجلا . سمعت منصورا المغربى يقول : أراد واحد أن يمتحن نوحا العيار النيسابورى فباع منه جارية فى زىّ غلام وشرط أنه غلام وكانت وضيئة الوجه فاشتراها نوح على أنها غلام ولبثت عنده شهورا كثيرة ، فقيل للجارية هل علم أنك جارية ؟ فقالت لا إنه مامسنى و يتوهم أنى غلام وقيل إن بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان فأبى فضرب ألف سوط فلم يسلم فاتفق أنه احتلم تلك الليلة وكان بردا شديدا فلما أصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت بروحك فقال استحييت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق ولا أصبر على مقاساة برد الاغتسال لأجله . وقيل قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدعى الفتوة فقال الرجل يا غلام قدّم السفرة فلم يقدّم فقال الرجل ثانيا وثالثا فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : ليس من الفتوّة أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه فى تقديم السفرة كل هذا فقال الرجل لم أبطأت بالسفرة فقال الغلام كان عليها نمل فلم يكن من الأدب تقديم السفرة إلى الفتيان مع النمل ولم يكن من الفتوّة إلقاء النمل من السفرة فلبثت حتى دبّ النمل فقالوا دققت ياغلام مثلك من يخدم الفتيان . وقيل إن رجلا نام بالمدينة من الحاج فتوهم أن همیانه سرق فخرج فرأى جعفرا الصادق فتعلق به وقال أخذت همیانى فقال إيش كان فيه؟ فقال ألف دينار فأدخله داره ووزن له ألف دينار فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى همیانه فى بيته وقد كان توهم أنه سرق فخرج إلى جعفر معتذرا وردّ عليه الدنانير فأبى أن يقبلها وقال شىء أخرجته من يدى لاأستردّه فقال الرجل

من

(وكان فتى) أى وكان هذا البعض فتى الخ (نسا) اسم لبلدة (وقال ليس من الفتوّة الخ) كل منهما كلامه يقتضى أنه متصف بالفتوّة و إن كان الثانى أكمل فيها لتركه فضول النظر الذى لاحاجة إليه ، إذ من الفضول تمييز العبد مافى دار غيره من متاع وخادم وغيرهما مما لاحاجة به إليه (العيار) أى الشجاع (كل هذا التعاصى) إذ من أخلاق الخادم أنه يبادر لما لم يؤمر به من الخير فكيف لما أمر به (همیانه) أى كيسه (معتذرا) مستغفرا مما جرى منه

من هذا ؟ فقيل جعفر الصادق . وقيل : سأل شقيق البلخى جعفر بن محمد عن الفتوة فقال ما تقول أنت ؟ فقال شقيق إن أعطينا شكرنا و إن منعنا صبرنا قال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن بنت رسول الله ما الفتوة عندكم ؟ فقال إن أعطينا آثرنا و إن منعنا شكرنا . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول دعانا أبو العباس بن مسروق ليلة إلى بيته فاستقبلنا صديق لنا فقلنا ارجع معنا فنحن فى ضيافة الشيخ فقال إنه لم يدعنى فقلنا نحن نستثنى كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها فرددناه فلما بلغ باب الشيخ أخبرناه بما قال وقلنا فقال جعلت موضعى من قلبك أن تجىء إلى منزلى من غير دعوة علىّ كذا وكذا إن مشيت إلى الموضع الذى تقعد فيه إلا على خدّى وألحّ عليه ووضع خدّه على الأرض وحمل الرجل فوضع قدمه على خده من غير أن يوجعه وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ موضع جلوسه . قال الأستاذ : واعلم أنّ من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء لاسيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : كان يقال للنصراباذى كثيرا إن علينا القوّال يشرب بالليل و يحضر مجلسك بالنهار وكان لايسمع فيه مايقال فاتفق أنه كان يمشى يوما ومعه واحد ممن يذكر عليا بذلك فوجد عليا مطروحا فى موضع وقد ظهر عليه أثر السكر وصار بحيث يغسل فمه فقال الرجل إلى كم نقول للشيخ ولايسمع ؟ هذا علىّ على الوصف الذى نقول فنظر إليه النصراباذى وقال للعذول احمله على رقبتك وانقله إلى منزله فلم يجد بدّا من طاعته فيه ، وسمعته يقول سمعت أبا على الفارسى يقول سمعت المرتعش يقول : دخلنا مع أبى حفص على مريض نعوده ونحن جماعة فقال للمريض أتحب أن تبرأ فقال نعم فقال لأصحابه تحملوا عنه فقام العليل وخرج معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد .

باب الفراسة

قال الله تعالى — إنّ فى ذلك لآيات للمتوسمين — قيل للمتفرسين . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال أخبرنا أحمد بن على بن الحسين الرازى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن السكن قال حدثنا موسى بن داود قال حدثنا محمد بن كثير الكوفى قال حدثنا عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى » . قال الأستاذ : الفراسة خاطر يهجم على القلب فينفى مايضادّه وله على القلب حكم اشتقاقا من فريسة السبع وليس فى مقابلة الفراسة مجوّزات للنفس وهى على حسب قوّة الإيمان فكل من كان أقوى إيمانا كان أحدّ فراسة . وقال أبو سعيد الخراز : من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق وتكون موادّ علمه من الحق بلاسهو ولاغفلة بل حكم حق جرى على لسان عبد . وقوله نظر بنور الحق يعنى بنور خصه به الحق سبحانه . وقال الواسطى : إنّ الفراسة سواطع أنوار لمعت فى القلوب وتمكين معرفة حملت السرائر فى الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق سبحانه إياها فيتكلم على ضمير الخلق . و يحكى عن أبى الحسن الديلمى أنه قال : دخلت أنطاكية لأجل أسود قيل لى إنه يتكلم على الأسرار فأقمت فيها إلى أن أخرج من جبل لكام ومعه شىء من المباح يبيعه وكنت جائعا منذ يومين لم آكل شيئا فقلت له بكم هذا وأومأت أنى أشترى مابين يديه فقال اقعد ثم حتى إذا بعناه نعطيك مانشترى به شيئا فتركته وسرت إلى غيره أومأت أنى أساومه ثم رجعت إليه وقلت له إن كنت تبيع هذا فقل لى بكم ؟ فقال إنما جعت يومين اقعد ثم حتى إذا بعناه

(الفراسة) بكسر الفاء مأخوذ من التفرّس وهو التثبت والنظر يقال : تفرّست فيه الخير إذا تثبت فيه ونظرت إليه والتفرّس يطلق أيضا على التوسم من السمة وهى العلامة ، والفراسة قد تكون عادية تعرف بقرائن الأحوال وقد تكون وهبية إلهامية يخلقها الله فى القلب وهى المراد غالبا عند القوم وعرفت بأنها الاطلاع على مافى ضمائر الناس و بغير ذلك كما سيأتى فى كلامه وهى ممدوحة (وقوله) أى أبى سعيد ،

نعطيك ماتشترى به شيئا فقعدت فلما باعه أعطانى شيئا ومشى فتبعته فالتفت إلىّ وقال إذا عرض لك حاجة فأنزلها بالله تعالى إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فتحجب عن الله تعالى . وسمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول الفراسة مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب وهى من مقامات الإيمان . وقيل كان الشافعى ومحمد بن الحسن رحمهما الله تعالى فى المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد بن الحسن أتفرس أنه نجار ، وقال الشافعى أتفرس أنه حداد فسألاه فقال كنت قبل هذا حدادا والساعة أنجر وقال أبو سعيد الخراز المستنبط من يلاحظ الغيب أبدا ولا يغيب عنه ولا يخفى عليه شىء وهو الذى دلّ عليه قوله تعالى ـ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ والمتوسم هو الذى يعرف الوسم وهو العارف بما فى سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات قال الله تعالى ـ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ـ أى للعارفين بالعلامات التى يبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه والمتفرس ينظر بنور الله تعالى وذلك سواطع أنوار لمعت فى قلبه فأدرك بها المعانى وهو من خواص الإيمان والذين هم أكثر منه حظا الربانيون قال الله تعالى ـ كونوا ربانيين ـ يعنى علماء حكماء متخلقين بأخلاق الحق نظرا وخلقا وهم فارغون عن الإخبار عن الخلق والنظر إليهم والاشتغال بهم وقيل كان أبو القاسم المنادى مريضا وكان كبير الشأن من مشايخ نيسابور فعاده أبو الحسن البوشنجى والحسن الحداد واشتريا بنصف درهم تفاحا فى الطريق نسيئة وحملاه إليه فلما قعدا قال أبو القاسم ماهذه الظلمة فخرجا وقالا إيش فعلنا وتفكرا فقالا لعلنا لم نؤد ثمن التفاح فأعطيا الثمن وعادا إليه فلما وقع بصره عليهما قال يمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبرانى عن شأنكما فذكرا له القصة فقال نعم كان يعتمد كلّ واحد منكما على صاحبه فى إعطاء الثمن والرجل يستحى منكما فى التقاضى فكان يتقى التبعة وأنا السبب إنما رأيت ذلك فيكما وكان أبو القاسم المنادى هذا يدخل السوق كل يوم ينادى فاذا وقع بيده مافيه كفايته من دانق إلى نصف درهم خرج وعاد إلى رأس وقته ومراعاة قلبه ، وقال الحسين بن منصور الحق إذا استولى على سرّ ملكه الأسرار فيعاينها ويخبر عنها ، وسئل بعضهم عن الفراسة فقال أرواح تتقلب فى الملكوت فتشرف على معانى الغيوب فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لانطق ظن وحسبان ، وقيل كان بين زكريا الشختنى وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على رأس أبى عثمان الحيرى بعد ماصار من خواص تلامذته فتفكر فى شأنها فرفع أبو عثمان رأسه إليه وقال أما تستحيى . قال الأستاذ الإمام رحمه الله كنت فى ابتداء وصلتى بالأستاذ أبى على رضى الله عنه عقد لى المجلس فى مسجد المطرز فاستأذنته وقتا للخروج إلى نسا فأذن لى فكنت أمشى معه يوما فى طريق مجلسه فخطر ببالى ليته ينوب عنى فى مجالسى أيام غيبتى فالتفت إلىّ وقال أنوب عنك أيام غيبتك فى عقد المجالس فمشيت قليلا فخطر ببالى أنه عليل يشق عليه أن ينوب عنى فى الأسبوع يومين فليته يقتصر على يوم واحد فى الأسبوع فالتفت إلى وقال إن لم يمكنى فى الأسبوع يومان أنوب عنك فى الأسبوع مرة واحدة فمشيت معه قليلا فخطر ببالى شىء ثالث فالتفت إلىّ وصرح بالإخبار عنه على القطع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول كان شاه الكرمانى حادّ الفراسة لا يخطىء ويقول من غضّ بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعوّد أكل الحلال لم تخطىء فراسته ، وسئل أبو الحسن النورى من أين تولدت فراسة المتفرسين فقال من قوله تعالى ـ ونفخت فيه من روحى ـ

(ماهذه الظلمة) أى التى عليكما (القصة) أى قصة شراء التفاح نسيئة وكيفية القضاء (ينادى) أى يدلل على الأمتعة (أرواح) أى هى أرواح أى نفوس بمعنى خواطر (تتقلب فى الملكوت) أى لاشغل لأربابها إلا النظر فى كمال الله وجلاله وفى أمره ونهيه ووعده ووعيده ومراقبته (فتنطق) بنطق أربابها (الشختنى) نسبة إلى شختن قرية بنيسابور (مسجد المطرز) بنيسابور

فمن كان حظه من ذلك النور أتمّ كانت مشاهدته أحكم وحكمه بالفراسة أصدق ألا ترى كيف أوجب نفخ الروح فيه السجود له بقوله تعالى ـ فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ـ قال الأستاذ : وهذا الكلام من أبى الحسن النورى فيه أدنى غموض وإبهام بذكر نفخ الروح لا لتصويب من يقول بقدم الأرواح ولا كما يلوح لقلوب المستضعفين فان الذى يصح عليه النفخ والاتصال والانفصال فهو قابل للتأثير والتغيير وذلك من سمات الحدوث وإن الله سبحانه وتعالى خص المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفرسون وهى فى الحقيقة معارف وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم فانه ينظر بنور الله أى بعلم و بصيرة يخصه الله تعالى به و يفرده به من دون أشكاله وتسمية العلوم والبصائر أنوارا غير مستبدع ولا يبعد وصف ذلك بالنفخ والمراد منه الخلق . وقال الحسين بن منصور المتفرّس هو المصيب بأول مرماه إلى مقصده ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان وقيل فراسة المريدين تكون ظنا يوجب تحقيقا وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة وقال أحمد بن عاصم الأنطاكى : إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فانهم جواسيس القلوب يدخلون فى قلوبكم و يخرجون منها من حيث لاتحسون . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الخلدى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول : الفراسة أول خاطر بلا معارض فان عارض معارض من جنسه فهو خاطر وحديث نفس . ويحكى عن أبى عبد الله الرازى نزيل نيسابور قال كسانى ابن الأنبارى صوفا ورأيت على رأس الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت فى نفسى أن يكونا جميعا لى فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلىّ فتبعته وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلىّ فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما . وقال أبو حفص النيسابورى ليس لأحد أن يدعى الفراسة ولكن يتقى الفراسة من الغير لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا فراسة المؤمن » ولم يقل تفرسوا وكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو فى محل اتقاء الفراسة وقال أبو العباس ابن مسروق : دخلت على شيخ من أصحابنا أدعوه فوجدته على حال رثة فقلت فى نفسى من أين يرتزق هذا الشيخ فقال ياأبا العباس دع عنك هذه الخواطر الدنيئة فان لله ألطافا خفية . ويحكى عن الزبيدى قال : كنت فى مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء فلم يفتح علينا بشىء أياما فأتيت الخواص لأسأله شيئا فلما وقع بصره علىّ قال الحاجة التى جئت لأجلها يعلمها الله تعالى أم لا فقلت بلى فقال اسكت ولا تبدها لمخلوق فرجعت ولم ألبث إلا قليلا حتى فتح علينا بما فوق الكفاية وقيل كان سهل بن عبد الله يوما فى الجامع فوقع حمام فى المسجد من شدة مالحقه من الحرّ والمشقة فقال سهل إنّ شاه الكرمانى مات الساعة إن شاء الله تعالى فكتبوا ذلك فكان كما قال . وقيل خرج أبو عبد الله التروغندى وكان كبير الوقت إلى طوس فلما بلغ خرّ وقال لصاحبه اشتر الخبز فاشترى ما يكفيهما فقال اشتر أكثر فاشترى صاحبه ما يكفى عشرة أنفس تعمدا فكأنه لم يجعل لقول ذلك الشيخ تحقيقا قال فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيدتهم اللصوص لم يأكلوا منذ مدة فسألونا الطعام فقال قدم إليهم السفرة قال الأستاذ الإمام رضى الله عنه كنت بين يدى الأستاذ أبى على رحمه الله يوما فجرى حديث الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى رحمه الله وأنه يقوم فى السماع موافقة للفقراء فقال الأستاذ أبو على مثله فى حاله لعل السكون أولى به ثم قال فى ذلك المجلس امض إليه فتجده وهو قاعد فى بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئا وجئنى بها وكان وقت هاجرة فدخلت عليه

(المتفرس هو المصيب الخ) لأن الفراسة مما يخلقه الله فى قلب العبد من غير كسب منه وهو من ثمرات الإيمان الكامل فلا بدّ أن يكون متعلقه معلوما لأنه موهبة يدركه العبد قطعا فأين هو من الظن والحسبان الذى من آثار المنجمين (دع عنك هذه الخواطر الخ) أى فلا تنظر لظاهر الحال فقد تكون نعم الله على بعض عبيده فى قلوبهم و إن كانت خفية عن الخلق أعظم من نعمه الظاهرة (التروغندى) نسبة إلى تروغند بالغين والدال المعجمتين (لصاحبه) هو تلميذه

و إذا هو فى بيت كتبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكر فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرحمن فى الحديث وقال كان بعض الناس ينكر على أحد من العلماء حركته فى السماع فرأى ذلك الإنسان يوما خاليا فى بيت وهو يدور كالمتواجد فسئل عن حاله فقال كانت مسئلة مشكلة على فتبين لى معناها فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور فقيل له مثل هذا يكون حالهم فلما رأيت ما أمرنى به الأستاذ أبو على وما وصف لى على الوجه الذى قال وجرى على لسان الشيخ أبى عبد الرحمن ما كان قد ذكره به تحيرت وقلت كيف أفعل بينهما ثم فكرت فى نفسى وقلت لا وجه إلا الصدق فقلت إن الأستاذ أبا على وصف لى هذه المجلدة وقال لى احملها إلى من غير أن تستأذن الشيخ وأنا هو ذا أخافك وليس يمكننى مخالفته فأى شىء تأمر فأخرج مسدسا من كلام الحسين وفيه تصنيف له سماه كتاب الصبور فى نقض الدهور وقال احمل هذا إليه وقل له إنى أطالع تلك المجلدة وأنقل منها أبياتا إلى مصنفاتى فخرجت . ويحكى عن الحسن الحداد أنه قال كنت عند أبى القاسم المنادى وعنده جماعة من الفقراء فقال لى اخرج وائتهم بشىء فسررت حيث أذن لى فى التكلف للفقراء وأن آتيهم بشىء بعد ما علم فقرى قال فأخذت مكتلا وخرجت فلما أتيت سكة سيار رأيت شيخا بهيا فسلمت عليه وقلت جماعة من الفقراء فى موضع فهل لك أن تتخلق معهم بشىء فأمر حتى إذا أخرج إلى شيئا من الخبز واللحم والعنب فلما بلغت الباب نادانى أبو القاسم المنادى من وراء الباب رده إلى الموضع الذى أخذته منه فرجعت واعتذرت إلى الشيخ وقلت لم أجدهم وعرضت بأنهم تفرقوا فرددت السبب عليه ثم جئت إلى السوق ففتح على بشىء فحملته فقال ادخل فقصصت عليه القصة فقال نعم ذاك ابن سيار رجل سلطانى إذا جئت للفقراء بشىء فأتهم بمثل هذا لا بمثل ذاك . وقال أبو الحسين القرافى زرت أبا الخير التيناتى فلما ودعته خرج معى إلى باب المسجد فقال يا أبا الحسين أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوما ولكن احمل هاتين التفاحتين فأخذتهما ووضعتهما فى جيبى وسرت فلم يفتح لى بشىء ثلاثة أيام فأخرجت واحدة منهما وأكلتها ثم أردت أن أخرج الثانية فاذا هما جميعا فى جيبى فكنت آكل منهما و يعودان إلى باب الموصل فقلت فى نفسى إنهما يفسدان على حال توكلى إذا صارتا معلوما لى فأخرجتهما من جيبى بمرة فنظرت فاذا فقير ملفوف فى عباءة يقول أشتهى تفاحة فناولتهما إياه فلما عبرت وقع لى أن الشيخ إنما بعثهما إليه وكنت فى رفقة فى الطريق فانصرفت إلى الفقير فلم أجده. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا عمر بن علوان يقول : كان شاب يصحب الجنيد وكان يتكلم على خواطر الناس فذكرت للجنيد فقال له الجنيد إيش هذا الذى ذكر عنك فقال للجنيد أعتقد شيئا فقال اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال اعتقد ثانيا ففعل فقال اعتقدت كذا وكذا فقال لا فقال ثالثا فقال مثله فقال الشاب هذا عجب أنت صدوق وأنا أعرف قلبى فقال الجنيد صدقت فى الأول والثانى والثالث ولكنى أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك . وسمعته يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول اعتل ابن الرقى فحمل إليه دواء فى قدح فأخذه ثم قال وقع اليوم فى المملكة حدث لا آكل ولا أشرب حتى أعلم ماهو فورد الخبر بعده بأيام أن القرطى دخل مكة فى ذلك اليوم وقتل بها تلك المقتلة العظيمة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول ذكر لابن الكاتب هذه الحكاية فقال هذا عجب فقلت ليس هذا بعجب فقال لى أبو على بن الكاتب إيش خبر مكة حرسها الله تعالى اليوم فقلت ذا تحارب الطلحيون و بنو الحسن ومقدم الطلحيين أسود عليه عمامة حمراء وعلى

(مكتلا) هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا (جماعة من الفقراء) محتاجون إلى طعام (فأمر) أى خادمه باخراج ما عنده (السبب) يعنى الطعام (سلطانى) أى منسوب إلى السلطان وطعامه ليس بصاف (فاتتهم بمثل الخ) محل الاستدلال على الفراسة أمره له بردّ طعام ذلك الشيخ لما ذكر و إذنه له بالدخول بما أتى به ثانيا ولم يكن رآه فى الحالين ولا علم ما معه إلا بالفراسة (بمرة) أى بالكلية لاستريح منهما ولئلا يسكن قلبى لغير الله (الطلحيون) أى بنو طلحة

مكة اليوم غيم على مقدار الحرم فكتب أبو على إلى مكة فكان كما ذكرت . ويروى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت رأيت فى الطريق امرأة تأملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه : يدخل علىّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينه فقلت أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لاولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة . وقال أبو سعيد الخراز : دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان يسأل شيئا فقلت فى نفسى مثل هذا كلّ على الناس فنظر إلىّ وقال ـ واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه ـ قال فاستغفرت فى سرى فنادانى وقال ـ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ـ . وحكى عن ابراهيم الخواص أنه قال كنت ببغداد فى جامع المدينة وهناك جماعة من الفقراء فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الحرمة حسن الوجه فقلت لأصحابنا يقع لى أنه يهودى فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال إيش قال الشيخ فىّ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا قال إنك يهودى قال فجاءنى وأكب على يدى وأسلم فقيل له ماالسبب قال نجد فى كتبنا أنّ الصديق لاتخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صدّيق ففى هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع هذا الشيخ علىّ وتفرس فىّ علمت أنه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء يقول سمعت محمد بن داود يقول كنا عند الجريرى فقال هل فيكم من إذا أراد الحق سبحانه أن يحدث فى المملكة حدثا أعلمه قبل أن يبديه قلنا لافقال ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيئا وقال أبوموسى الديلمى سألت عبدالرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لوأدخلت يدك فى فم التنين حتى تبلغ الرسغ لاتخاف مع الله تعالى شيئا غيره قال فخرجت إلى أبى يزيد لأسأله عن التوكل فدققت الباب فقال أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية فقلت افتح الباب فقال مازرتنى أتاك الجواب من وراء الباب ولم يفتح لى الباب قال فمضيت ولبثت سنة ثم قصدته فقال مرحبا جئتنى زائرا فكنت عنده شهرا فكان لايخطر بقلبى شىء إلا حدثنى عنه فعند وداعه قلت أفدنى فائدة فقال حدثتنى أمى أنها كانت حاملا بى فكانت إذا قدّم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه وإذا كان فيه شبهة انقبضت يدها عنه . وقال إبراهيم الخواص دخلت البادية فأصابتنى شدة فلما بلغت مكة داخلنى شىء من الإعجاب فنادتنى عجوز يا ابراهيم كنت معك فى البادية فلم أكلمك لأنى لم أرد أن أشغل سرّك أخرج عنك هذا الوسواس . وحكى أن الفرغانى كان يخرج كل سنة إلى الحج ويمر بنيسابور ولا يدخل على أبى عثمان الحيرى قال فدخلت عليه مرة وسلمت فلم يردّ علىّ السلام فقلت فى نفسى مسلم يدخل عليه ويسلم فلا يردّ سلامه فقال أبو عثمان مثل هذا يحج ويدع أمه لايبرها قال فرجعت إلى فرغانة ولزمتها حتى ماتت ثم قصدت أبا عثمان فلما دخلت استقبلنى وأجلسنى ثم إن الفرغانى لازمه وسأله سياسة دابته فولاه ذلك حتى مات أبوعثمان وقال خير النساج : كنت جالسا فى بيتى فوقع لى أن الجنيد بالباب فنفيت عن قلبى فوقع ثانيا وثالثا فخرجت فاذا بالجنيد فقال لم لم تخرج مع الخاطر الأول وقال محمد بن الحسين البسطامى دخلت على أبى عثمان المغربى فقلت فى نفسى لعله يتشهى على شيئا فقال أبو عثمان لا يكفى الناس أن آخذ منهم حتى يريدوا مسألتى إياهم وقال بعض الفقراء : كنت ببغداد فوقع لى أن المرتعش يأتينى بخمسة عشر درهما لأشترى بها الركوة والحبل والنعل وأدخل البادية قال فدق على البادية ففتحت فاذا أنا بالمرتعش معه خريقة فقال خذها فقلت ياسيدى لاأريدها قال فلم تؤذينا كم أردت فقلت خمسة عشر درهما فقال هى خمسة عشر درهما

(كلّ) أى ثقل (الحرمة) فى نسخة الخدمة وفى أخرى الجمة وهى مجتمع شعر الرأس (يقولون) فى نسخة يتلون (حديثه) أى كلامه (ابكوا على قلوب الخ) أى لفقدها الفراسة بفقد الإستقامة التى هى الإعراض عن الخلق وكمال الشغل بالله تعالى فلوا تصفت القلوب بذلك عاشت من موت الغفلة ووجد فيها الالهام الصحيح والخواطر الصائبة (التنين) نوع من الحيات (مازرتنى) أى ماجئتنى زائرا بل سائلا (فكنت) أى فمكثت

وقال بعضهم فى قوله تعالى ـ أو من كان ميتا فأحييناه ـ أى ميت الذهن فأحياه الله تعالى بنور الفراسة وجعل له نور التجلى والمشاهدة لايكون كمن يمشى بين أهل الغفلة غافلا ، وقيل إذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت أبا العباس بن مسروق يقول : قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا فى هذا الشأن بكلام حسن وكان عذب اللسان جيد الخاطر فقال لنا فى بعض كلامه كل ماوقع لكم فى خاطركم فقولوه لى فوقع فى قلبى أنه يهودىّ وكان الخاطر يقوى ولايزول فذكرت ذلك للجريرى فكبر عليه ذلك فقلت لابدّ أن أخبر الرجل بذلك فقلت له تقول لنا ماوقع لكم فى خاطركم فقولوه لى إنه يقع لى أنك يهودىّ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال صدقت أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقال : قد مارست جميع المذاهب وكنت أقول إن كان مع قوم منهم شىء فمع هؤلاء فداخلتكم لأختبركم فأنتم على الحقّ وحسن إسلامه . ويحكى عن الجنيد أنه كان يقول له السرى تكلم على الناس فقال الجنيد وكان فى قلبى حشمة من الكلام على الناس فانى كنت أتهم نفسى فى استحقاق ذلك فرأيت ليلة النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وكانت ليلة جمعة فقال لى تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن أصبح فدققت عليه الباب فقال لم تصدّقنا حتى قيل لك فقعد للناس فى الجامع بالغد فانتشر فى الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف عليه غلام نصرانى متنكرا وقال له أيها الشيخ مامعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله تعالى» فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال اسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام .

باب الخلق

قال الله تعالى ـ و إنك لعلى خلق عظيم ـ أخبرنا علىّ بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدّثنا هشام بن محمد بن غالب قال حدّثنا معلى بن مهدى قال حدّثنا بشار بن إبراهيم النميرى قال حدّثنا غيلان بن جرير عن أنس قال «قيل يارسول الله أىّ المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال أحسنهم خلقا » قال الأستاذ الخلق الحسن أفضل مناقب العبد و به يظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهود بخلقه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول إن الله تعالى خصّ نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به ثم لم يثن عليه بشىء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه فقال عزّ من قائل ـ و إنك لعلى خلق عظيم ـ وقال الواصفى وصفه بالخلق العظيم لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى ، وقال الواسطى أيضا : الخلق العظيم أن لايخاصم ولايخاصم من شدّة معرفته بالله تعالى وقال الحسين بن منصور: معناه لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق. وقال أبوسعيد الخراز لم يكن لك همة غير الله تعالى ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين ابن أحمد بن جعفر يقول سمعت الكتانى يقول : التصوّف خلق من زاد عليك بالخلق فقد زاد عليك فى التصوف ، ويروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : إذا سمعتمونى أقول لمملوك أخزاه الله تعالى فاشهدوا أنه حر. وقال الفضيل : لوأن العبد أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين وقيل كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا رأى واحدا من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة وكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول

(حان) أى قرب .

(باب الخلق) هو بضم الخاء مع ضم اللام و إسكانها بسط الوجه وكفّ الأذى و بذل الندى و يقال غير ذلك كما سيأتى وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى) فى حقّ النبىّ صلى الله عليه وسلم (هشام) وفى نسخة تمتام

سمعت أبا محمد بن الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحرث المحاسبى يقول : فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الأمانة وحسن الإخاء مع الوفاء . وسمعته يقول سمعت عبدالله بن محمد الرازى يقول: الخلق استصغار مامنك واستعظام مامنه إليك . وقيل للأحنف ممن تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقرى قيل ومابلغ من خلقه فقال بينا هو جالس فى داره إذ جاءت خادمله بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لاروعة عليك أنت حرّة لوجه الله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : علامة حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤن ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق». وقيل لذى النون المصرى من أكثر الناس هما قال أسوأهم خلقا. وقال وهب ماتخلق عبد بخلق أرجى صباحا إلا جعل الله ذلك طبيعة فيه . وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى ـ وثيابك فطهر ـ أى وخلقك فحسن وقيل كان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم فقال من فعل هذا بها فقال غلام له أنا فقال لم ، قال لأغمك بها فقال لابل لأغمنّ من أمرك بذلك اذهب فأنت حر وقيل لابراهيم بن أدهم هل فرحت فى الدنيا قط فقال نعم مرتين إحداهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء إنسان وبال علىّ والثانية كنت قاعدا فجاء إنسان وصفعنى . وقيل كان أويس القرنى إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول إن كان لابد فارمونى بالصغار كيلا تدقوا ساقى فتمنعونى عن الصلاة . وشتم رجل الأحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال يافتى إن بقى فى قلبك شىء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحى فيجيبوك ، وقيل لحاتم الأصم أيحتمل الرجل من كل أحد فقال نعم إلا من نفسه ، وروى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه دعا غلامالله فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام . فقال نعم ، قال فما حملك على ترك جوابى فقال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى وقيل نزل معروف الكرخى الدجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة وحملتهما فتبعها معروف وقال يا أختى أنا معروف ولابأس عليك ألك ابن يقرأ ؟ قالت لا قال فزوج؟ قالت لا قال فهاتى المصحف وخذى الثوب . ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبى عبدالرحمن السلمى بالمكابرة وحملوا ماوجدوا فسمعت بعض أصحابنا يقول سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول اجتزت بالسوق فوجدت جبتى على من يزيد فأعرضت ولم ألتفت إليه . سمعت الشيخ أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبانصر السراج الطوسى يقول سمعت الوجيهى يقول قال الجريرى قدمت من مكة حرسها الله تعالى فبدأت بالجنيد لكيلا يتعنى إلىّ فسلمت عليه ثم مضيت إلى المنزل فلما صليت الصبح فى المسجد إذا أنابه خلفى فى الصف فقلت إنما جئتك أمس لئلا تتعنى فقال ذاك فضلك وهذا حقك . وسئل أبوحفص عن الخلق فقال ما اختار الله عزّوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ـ خذ العفو ـ الآية ، وقيل الخلق أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا ، وقيل الخلق قبول مايرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلاضجر ولاقلق وقيل كان أبوذر على حوض يسقى إبلاله فأسرع بعض الناس إليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له فى ذلك فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فإذا ذهب عنه وإلا فليضطجع وقيل مكتوب فى الإنجيل عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ، وقالت امرأة لمالك ابن دينار يامرائى فقال ياهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ، وقال لقمان لابنه لاتعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والأخ عند الحاجة إليه . وقال موسى عليه

(الصيانة) أى العفاف والسلامة من العجب والكبر (الإخاء) أى المؤاخاة فى الله بأن تخلف أخاك فى غيبته وتقوم بحقوقه فى حضرته وتنصحه إن رأيت منه زللا وتعينه إن رأيت منه خبرا ولاتبخل عليه بشىء وتتحمل مايبدو منه المأخوذ ذلك من آية ـ خذ العفو ـ ونحوها مع الوفاء بالعهد المأمور به فى قوله ـ وأوفوا بالعهد ـ ونحوه (الخلق) أى الحسن (خادم) أى جارية (سفود) بتشديد الفاء حديد يشوى به اللحم (أيحتمل الرجل) أى الخطأ .

السلام: إلهى لا أسألك أن لا يقال لى ما ليس فى فأوحى الله تعالى إليه ما فعلت ذلك لنفسى فكيف أفعله لك وقيل ليحيى بن زياد الحارثى وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لأتعلم عليه الحلم . وقيل فى قوله تعالى ـ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ـ الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخلق وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحبّ إلىّ من أن يصحبنى عابد سيىء الخلق . وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة . وحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة فضرب رأسه وأوضحه فلما جاوزه قيل له إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاء يعتذر إليه فقال إنك لما ضربتنى سألت الله تعالى لك الجنة فقال لم فقال علمت أنى أؤجر عليه فلم أرد أن يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر . وحكى أن أبا عثمان الحيرى دعاه إنسان إلى ضيافة فلما وافى باب داره قال يا أستاذ ليس الآن وقت دخولك وقد ندمت فانصرف فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد إليه الرجل وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى فلما وافى باب داره قال مثل ما قال فى الأوّل ثم كذلك فعل فى الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر فلما كان بعد مرات قال يا أستاذ أردت اختبارك وأخذ يعتذر ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجد مثله مع الكلاب الكلب إذا دعى حضر وإذا زجر انزجر . وقيل إن أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فألقى عليه من سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجزله أن يغضب وقيل نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة فكان جعفر يخدمه جدا والفقير يقول نعم الرجل أنت لو لم تكن يهوديا فقال جعفر عقيدتى لا تقدح فيما تحتاج إليه من الخدمة فسل لنفسك الشفاء ولى الهداية . قيل كان لعبدالله الخياط حريف مجوسى يخيط له ثيابا ويدفع إليه دراهم زيوفا وكان عبدالله يأخذها فاتفق أنه قام من حانوته يوما لشغل فجاء المجوسى بالدراهم الزيوف فدفعها إلى تلميذه فلم يقبلها فدفع إليه الصحاح فلما رجع عبدالله قال لتلميذه أين قميص المجوسى فذكر له القصة فقال بئسما عملت إنه مذمدة يعاملنى بمثلها وأنا أصبر عليه وألقيها فى بئر لئلا يغرّبها غيرى . وقيل الخلق السيىء يضيق قلب صاحبه لأنه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه . وقيل حسن الخلق أن لا تتغير ممن يقف فى الصف بجنبك وقيل من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك . « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال سوء الخلق» . أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال حدثنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا معاذ بن المثنى قال حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا مروان الفزارى قال حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال «قيل يارسول الله ادع الله تعالى على المشركين فقال إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا» .

باب الجود والسخاء

قال الله عزّ وجل ـ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الحسن بن العباس قال حدثنا سهل قال حدثنا سعيد بن مسلم عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السخى قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار

(مافعلت ذلك لنفسى) ليس ذلك لقصور قدرته تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل لأن ماسبق فى علم الله لابدّ من وقوعه فذلك إنما هو إخبار منه عما سبق فى علمه لا غير وعليه يحمل قوله ـ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ـ وقوله ـ ولو شاء ربك مافعلوه ـ فلو أراد تعالى أن لا يكفر به أحد يصح ولا يقع كفر لكن لما سبق فى علمه أنه لابدّ من الكلام فيه وفى رسوله ومن الكفر بهما استحال أن يقع خلافه ومحل الاستدلال أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى أن يكون كامل الأخلاق حتى لا يتكلم فيه فأعلمه الله أنه قد سبق فى علمه أنه لابد أن يتكلم فيك وإن كملت أخلاقك .

(باب الجود والسخاء) هما عند كثير بمعنى وفرق القوم بينهما كما سيأتى بأن السخاء إخراج العبد بعض مايملكه بسهولة والجود إخراجه أكثر مايملكه بسهولة والإيثار المذكور فى الآية الآتية إخراجه جميع مايملكه بسهولة مع حاجته إليه فحقيقته تقديمك غيرك على نفسك ومنه ـ بل تؤثرون الحياة الدنيا ـ أى تقدمون العمل بها على العمل للآخرة ـ والآخرة خير وأبقى ـ وقريب مما قاله السماحة والكرم وكل منهما ممدوح ومطلوب (خصاصة) أى حاجة

والبخيل بعيد من الله تعالى بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخيّ أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل » . قال الأستاذ : ولا فرق على لسان العلم بين الجود والسخاء ولا يوصف الحق سبحانه بالسخاء والسماحة لعدم التوقيف ، وحقيقة الجود أن لا يصعب عليه البذل . وعند القوم السخاء هو الرتبة الأولى ثم الجود بعده ثم الإيثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود والذى قاسى الضرر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رضى الله عنه يقول قال أسماء بن خارجة ما أحب أن أردّ أحدا عن حاجة طلبها لأنه إن كان كريما أصون عرضه وإن كان لئيما أصون عنه عرضى . وقيل كان مورّق العجلى يتلطف فى إدخال الرفق على إخوانه يضع عندهم ألف درهم فيقول امسكوها عندكم حتى أعود إليكم ثم يرسل إليهم أنتم منها فى حلّ . وقيل : لقى رجل من أهل منبج رجلا من أهل المدينة فقال ممن الرجل ؟ فقال من أهل المدينة فقال لقد آتانا منكم رجل يقال له الحكم بن المطلب فأغنانا فقال المدنى فكيف وما أتاكم إلا فى جبة صوف فقال ما أغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : لما سمى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب أبى ثور وأما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدّم النورى فقال السياف تدرى إلى ماذا تبادر ؟ فقال نعم فقال ومايعجلك قال أوثر على أصحابى محياة ساعة فتحير السياف وأنهى الخبر إلى الخليفة فردّهم إلى القاضى ليتعرّف حالهم فألقى القاضى على أبى الحسين النورى مسائل فقهية فأجابه عن الكل ثم أخذ يقول : و بعد فانّ لله تعالى عبادا إذا قاموا قاموا بالله و إذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظا أبكى القاضى فأرسل القاضى إلى الخليفة وقال إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم . وقيل : كان على بن الفضيل يشترى من باعة المحلة فقيل له لو دخلت السوق فاسترخصت فقال هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا . وقيل : بعث رجل إلى جبلة بجارية وكان بين أصحابه فقال قبيح أن أتخذها لنفسى وأنتم حضور وأكره أن أخصّ بها واحدا وكلكم له حق وحرمة وهذه لاتحتمل القسمة وكانوا ثمانين فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف . وقيل : عطش عبيدالله بن أبى بكرة يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فانى امرأة من العرب مات خادمى منذ أيام فشرب عبيد الله الماء وقال لغلامه احمل إليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله تسخر بى فقال احمل إليها عشرين ألف درهم فقالت اسأل الله تعالى العافية فقال ياغلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم فردّت الباب وقالت أفّ لك فحمل إليها ثلاثين ألف درهم فأخذتها فما أمست حتى كثر خطابها . وقيل : الجود إجابة الخاطر الأوّل . سمعت بعض أصحاب أبى الحسن البوشنجى رحمه الله يقول : كان أبو الحسن البوشنجى فى الخلاء فدعا تلميذا له وقال له انزع عنى هذا القميص وادفعه إلى فلان فقيل له هلا صبرت حتى تخرج من الخلاء فقال لم آمن على نفسى أن يتغير علىّ ماوقع لى من التخلف منه بذلك القميص وقيل لقيس بن سعد بن عبادة : هل رأيت أسخى منك ؟ فقال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت إنه نزل بك ضيفان فجاء بناقة ونحرها وقال شأنكم بها فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها وقال شأنكم بها فقلنا ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا اليسير فقال إنى لا أطعم أضيافى الغابّ فبقينا عنده يومين أو ثلاثة والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار

(إجابة الخاطر الأوّل) لأنه لو لم يجب لخيف على صاحبه تغيره فيما عزم عليه (فى الخلاء) يقضى حاجته فوقع فى خاطره أن فقيرا يعرفه محتاج إلى قميص (هلا صبرت) إلى فراغك من قضاء حاجتك (الغابّ) بالمعجمة وبالموحدة المشددة أى البائت

فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا إليه ومضينا فلما متع النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونى ثمن قراى ثم إنه لحقنا وقال لتأخذنه و إلا طعنتكم برمحى فأخذناه وانصرف فانشأ يقول

و إذا أخذت ثواب ما أعطيته فكفى بذاك لنائل تكديرا

سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول دخل أبوعبد الله الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيت له مقفل فقال صوفى وله باب بيت مقفل اكسروا القفل فكسروا القفل وأمر بجميع ماوجد فى الدار والبيت وأنفذه إلى السوق و باعوه وأصلحوا وقتا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت ياأصحابنا هذا أيضا من جملة المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا و يحكم علينا و يبقى لنا شىء ندخره عنه قال بشر بن الحرث النظر إلى البخيل يقسى القلب . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فسأل عنهم فقيل إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله تعالى مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر من ينادى من كان لقيس عليه دين فهو منه فى حل فكسرت عتبته بالعشى لكثرة من عاده وقيل لعبدالله بن جعفر إنك تبذل الكثير إذا سئلت وتضن فى القليل إذا نوجزت فقال إنى أبذل مالى وأضن بعقلى وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على تحيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بقوته فدخل كلب الحائط ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه بالثانى والثالث فأكله وعبدالله ينظر فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ماهى بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ردّه قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء إن هذا لأسخى منى فاشترى الحائط والغلام وما فيها من الآلات فأعتق الغلام ووهبها له . وقيل أتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج إليه قال لماذا جئتنى قال لأر بعمائة درهم دين ركبتنى فدخل الدار ووزن له أر بعمائة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باكيا فقالت له امرأته هلا تعللت حين شق عليك الإجابة فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتى به . وقال مطرف بن الشخير إذا أراد أحدكم منى حاجة فليرفعها فى رقعة فإنى أكره أن أرى فى وجهه ذل الحاجة وقيل أراد رجل أن يضادّ عبدالله بن العباس فأتى وجوه البلد وقال لهم يقول لكم ابن العباس تغدوا عندى اليوم فأتوه فملئوا الدار فقال ماهذا فأخبر الخبر فأمر بشراء الفواكه فى الوقت وأمر بالخبز والطبيخ وأصلح أمرا فلما فرغوا قال لوكلائه أموجود لنا كل يوم هذا فقالوا نعم فقال فليتغد هؤلاء كلهم عندنا كل يوم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكى يتوضأ يوما فى صحن داره فدخل إليه إنسان وسأله شيئا من الدنيا ولم يحضره شىء فقال اصبر حتى أفرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فأخذها وخرج ثم صبر حتى علم أنه بعد فصاح وقال دخل إنسان وأخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه و إنما فعل ذلك لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل . وسمعته يقول وهب الأستاذ أبوسهل جبته من إنسان فى الشتاء وكان يلبس جبة النساء حين يخرج إلى التدريس إذ لم يكن له جبة أخرى فقدم الوفد المعروفون من فارس فيهم من كل نوع إمام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين فأرسل إليه صاحب الجيش أبوالحسن وأمره بأن يركب للاستقبال فلبس دراعة فوق تلك الجبة التى للنساء وركب فقال صاحب الجيش إنه يستخف بى إمام البلد يركب فى جبة النساء

(متع النهار) بتخفيف التاء أى ارتفع وسرنا زمانا (فقالت له امرأته) ظنامنها أن بكاءه على كثرة الدراهم التى أخرجها

ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم فى كل فن . وسمعته يقول لم يناول الأستاذ أبو سهل أحدا شيئا بيده وكان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن أرى لأجلها يدى فوق يد أحد وقد قال صلى الله عليه وسلم «اليد العليا خير من اليد السفلى» وقيل كان أبو مرثد علىّ رحمه الله أحد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ماعندى ماأعطيك ولكن قدّمنى إلى القاضى وادّع علىّ عشرة آلاف درهم حتى أقرّ لك بها ثم احبسنى فان أهلى لايتركونى مسجونا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وخرج من السجن . وقيل سأل رجل الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه شيئا فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلى . وسألت امرأة الليث بن سعد سكرجة عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له فى ذلك فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمنا وقال بعضهم صليت فى مسجد الأشعث بالكوفة الصبح أطلب غريما لى فلما سلمت وضع بين يدى كل واحد حلة ونعلين وكذلك وضع بين يدىّ فقلت ماهذا فقالوا إن الأشعث قدم من مكة فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده فقلت إنما جئت أطلب غريما لى ولست من جماعته فقالوا هو لكل من حضر وقيل لما قربت وفاة الشافعى رضى الله تعالى عنه قال مروا فلانا يغسلنى وكان الرجل غائبا فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته فوجد عليه سبعين ألف درهم دينا فقضاها وقال هذا غسلى إياه وقيل لما قدم الشافعى من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقيل له تشترى بها قنية فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شىء . وقيل خرج السرى يوم عيد فاستقبله رجل كبير الشأن فسلم السرى عليه سلاما ناقصا فقيل له هذا رجل كبير الشأن فقال قد عرفته ولكن روى مسندا أنه إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما فأردت أن يكون معه الأكثر وقيل بكى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يوما فقيل له مايبكيك فقال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهاننى وروى عن أنس بن مالك أنه قال زكاة الدار أن يتخذ فيها بيت للضيافة وقيل فى قوله تعالى ـ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ـ قيل قيامه عليهم بنفسه وقيل لأن ضيف الكريم كريم وقال إبراهيم بن الجنيد كان يقال أربعة لاينبغى للشريف أن يأنف منهن وإن كان أميرا قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وخدمته لعالم يتعلم منه والسؤال عما لم يعلم . وقال ابن عباس فى قوله تعالى ـ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ـ إنهم كانوا يتحرجون أن يأكل أحدهم وحده فرخص لهم فى ذلك وقيل أضاف عبد الله بن عامر بن كريز رجلا فأحسن قراه فلما أراد الرجل أن يرتحل عنه لم يعنه غلمانه فقيل له فى ذلك فقال عبد الله إنهم لايعينون من يرتحل عنا أنشد عبد الله بن باكوية الصوفى قال أنشدنى المتنبى فى معناه :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لاتفارقهم فالراحلون هم

وقال عبد الله بن المبارك سخاء النفس عما فى أيدى الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل وقال بعضهم دخلت على بشر بن الحرث فى يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب وهو ينفض فقلت ياأبا نصر الناس يزيدون فى الثياب فى مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت فقال ذكرت الفقراء وماهم فيه ولم يكن لى ماأواسيهم به فأردت أن أوافقهم بنفسى فى مقاساة البرد . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الدقاق يقول ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد.

(لم يناول الخ) أى على وجه الصدقة وإنما كان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ لكمال زهده فى الدنيا وقلة قدرها فى عينه (العليا) هى المنفقة و (السفلى) هى الآخذة فلم ير لنفسه قدرا لكونه منفقا لحقارة الدنيا فى عينه ولم يهن عليه أن تكون يده فوق يد من يأخذ صدقته ويد الآخذ أسفل من يده وفى ذلك دلالة على فضيلته وكمال جوده وسخائه وزهده فى الدنيا (فى مقاساة البرد) بأن أخرجت من ثيابى ما كان يدفع عنى ألم البرد لفقير ولم أقدر أن أعمهم فوافقتهم بأن قاسيت ألم البرد مثلهم وفيه دلالة على كمال إيثاره بما يحتاجه

باب الغيرة

قال الله تعالى ـ قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن عبدوس المزكى قال أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار ببغداد قال حدثنا محمد بن غالب ابن حرب حدثنا عبد الله بن مسلم قال حدثنا محمد بن الفرات عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار قال حدثنا على بن الحسن بن بنان قال حدثنا عبد الله بن رجاء قال أخبرنا حرب ابن شداد قال حدثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله يغار و إن المؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى العبد المؤمن ماحرم الله تعالى عليه » قال الأستاذ : الغيرة كراهية مشاركة الغير و إذا وصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه أنه لايرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له من طاعة عبده . حكى عن السرى أنه قرئ بين يديه ـ و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ـ فقال السرى لأصحابه أتدرون ما هذا الحجاب هذا حجاب الغيرة ولا أحد أغير من الله تعالى . ومعنى قوله هذا حجاب الغيرة يعنى أنه لم يجعل الكافرين أهلا لمعرفة صدق الدين . وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله يقول إن أصحاب الكسل عن عبادته هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان فاختار لهم البعد عنه وأخرهم عن محل القرب ولذلك تأخروا وفى معناه أنشدوا :

أناصب لمن هويت ولكن ... مااحتيالى بسوء رأى الموالى

وفى معناه أيضا قالوا سقيم ليس يعاد ومريد لا يراد . سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله يقول سمعت العباس الزوزنى يقول كان لى بداية حسنة وكنت أعرف كم بقى بينى و بين الوصول إلى مقصودى من الظفر بمرادى فرأيت ليلة من الليالى فى المنام كأننى أتدهده من حالق جبل فأردت الوصول إلى ذروته قال فحزنت فأخذنى النوم فرأيت قائلا يقول ياعباس الحق لم يرد منك أن تصل إلى ما كنت تطلب ولكنه فتح على لسانك الحكمة قال فأصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة . وسمعت الأستاذ أبا على يقول كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله تخفى مدة لم ير بين الفقراء ثم إنه ظهر بعد ذلك لاعلى ما كان عليه من الوقت فسئل عنه فقال آه وقع حجاب وكان الأستاذ أبو على رحمه الله تعالى إذا وقع شئ فى خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين يقول هذا من غيرة الحق سبحانه يريد أن لايجرى من صفاء هذا الوقت وأنشدوا فى معناه :

همت باتياننا حتى إذا نظرت ... إلى المرآة نهاها وجهها الحسن

وقيل لبعضهم تريد أن تراه فقال لافقيل لم فقال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى وفى معناه أنشدوا:

إنى لأحسد ناظرى عليكا ... حتى أغض إذا نظرت إليكا

وأراك تخطر فى شمائلك التى ... هى فتنتى فأغار منك عليكا

وسئل الشبلى متى تستريح فقال إذا لم أره ذاكرا . سمعت الأستاذ أباعلى يقول فى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى مبايعته فرسا من أعرابى وأنه استقاله فأقاله فقال الأعرابى عمرك الله تعالى ممن أنت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم امرؤ من قريش فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابى كفاك جفاء أن لا تعرف نبيك فكان رحمه الله تعالى يقول إنما قال امرؤ من قريش غيرة

(باب الغيرة) هى سقوط الاحتمال وضيق الصدر عن الصبر و يقال غير ذلك كما سيأتى وهى إن لم تكن فى مباح فهى مذمومة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم «لاتمنعوا إماء الله مساجد الله» و إن كانت فى مباح فهى ممدوحة ومطلوبة (فرأيت قائلا الخ) فى ذلك تحريض على رضا العبد بالمقام الذى أقامه الله فيه و إن علم أن فوقه أرفع منه لأنه تعالى عالم بما يصلح عبيده ور بما أهلهم لحمله ولا يمنعه ذلك من سؤال المقامات العالية فالممنوع إنما هو كراهة المقام الذى هو فيه لاسؤال ما هو أرفع منه والرائى كانت نفسه متعلقة بذروة الجبل الذى رآه وهى حالة رفيعة فى الدين والقدر يمنعه من ذلك لحزن على تقصيره عن مطلوبه فرأى فى نومه مادله على مااختاره الله له من فتح الحكمة على لسانه كما تقرر

و إلا كان واجبا عليه التعرف إلى كل أحد أنه من هو ثم إن الله سبحانه أجرى على لسان ذلك الصحابى التعريف للأعرابى بقوله كفاك جفاء أن لاتعرف نبيك . ومن الناس من قال إن الغيرة من صفات أهل البداية و إن الموحد لايشهد الغيرة ولا يتصف بالاختيار وليس له فيما يجرى فى المملكة تحكم بل الحق سبحانه أولى بالأشياء فيما يقضى على مايقضى . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول الغيرة عمل المريدين فأما أهل الحقائق فلا . وسمعته يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت الشبلى يقول الغيرة غيرتان غيرة البشرية على النفوس وغيرة الإلهية على القلوب . وقال الشبلى أيضا غيرة الإلهية على الأنفاس أن تضيع فيما سوى الله تعالى والواجب أن يقال الغيرة غيرتان غيرة الحق سبحانه على العبد وهو أن لايجعله للخلق فيضن به عليهم وغيرة العبد للحق وهو أن لايجعل شيئا من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى فلا يقال أنا أغار على الله تعالى ولكن يقال أنا أغار لله تعالى فاذن الغيرة على الله جهل ور بما تؤدى إلى ترك الدين والغيرة لله تعالى توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له واعلموا أن من سنة الحق تعالى مع أوليائه أنهم إذا سا كنوا غيرا أولاحظوا شيئا أوضاجعوا بقلوبهم شيئا شوش عليهم ذلك فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه فارغة عما سا كنوه أوضاجعوه كآدم عليه السلام لما وطن نفسه على الخلود فى الجنة أخرجه منها و إبراهيم عليه السلام لما أعجبه إسمعيل عليه السلام أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه ـ فلما أسلما وتله للجبين ـ وصفاسره منه أمره بالفداء عنه . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت أبازيد الفقيه المروزى يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول سمعت محمد بن حسان يقول بينا أنا أدور فى جبل لبنان إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقته السموم والرياح فلما نظر إلىّ ولى هاربا فتبعته وقلت تعظنى بكلمة فقال احذر فانه غيور لايحب أن يرى فى قلب عبده سواه . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن يقول قال النصراباذى الحق تعالى غيور ومن غيرته أنه لم يجعل إليه طريقا سواه . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه إن لفلان إلىّ حاجة ولى أيضا إليه حاجة فان قضى حاجتى قضيت حاجته فقال ذلك النبى عليه السلام فى مناجاته إلهى كيف يكون لك حاجة فقال إنه ساكن بقلبه غيرى فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته . وقيل إن أبا يزيد البسطامى رأى جماعة من الحور العين فى منامه فنظر إليهن فسلب وقته أياما ثم إنه رأى فى منامه جماعة منهن فلم يلتفت إليهن وقال إنكن شواغل وقيل مرضت رابعة العدوية فقيل لها ماسبب علتك فقالت نظرت بقلبى إلى الجنة فأدبنى فله العتبى لا أعود . ويحكى عن السرى أنه قال كنت أطلب رجلا صديقا لى مدة من الأوقات فمررت فى بعض الجبال فاذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى فسألت عن حالهم فقالوا ههنا رجل يخرج فى السنة مرة يدعولهم فيجدون الشفاء فصبرت حتى خرج ودعالهم فوجدوا الشفاء فقفوت أثره وتعلقت به وقلت له بى علة باطنة فمادواؤها فقال ياسرى خل عنى فانه غيور لايراك تساكن غيره فتسقط من عينه . قال الأستاذ ومنهم من غيرته حين يرى الناس يذكرونه تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك ويشق عليه . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول لما دخل الأعرابى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبال فيه وتبادر إليه الصحابة لاخراجه قال رحمه الله إنما أساء الأعرابى الأدب ولكن الخجل وقع على الصحابة والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته كذلك العبد إذا عرف جلال قدره سبحانه شق عليه سماع ذكره من يذكره بالغفلة وطاعة من لايعبده بالحرمة . حكى أن الشبلى مات له ابن كان اسمه أبا الحسن فجزعت أمه عليه وقطعت شعر رأسها فدخل الشبلى الحمام وتنور بلحيته فكل من أتاه معزيا قال إيش هذا ياأبا بكر فكان يقول

(المريدين) الذين لم يتمكنوا فى التوحيد (فله العتبى) لكونه لايرضى ذلك (لا أعود) لمثله هذا يدل على شريف حالها فانها لما زهدت فى الدنيا واشتغلت بالآخرة أعرضت عما سوى الله شغلا به فلما التفتت بقلبها إلى الجنة ومافيها أدبها الله تعالى بما شاء من الأدب فعرفت ذلك منه فتابت ورجعت إليه

موافقة لأهلى ، فقال له بعضهم أخبرنى يا أبا بكر لم فعلت هذا ؟ فقال علمت أنهم يعزونى على الغفلة ويقولون آجرك الله تعالى ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة بلحيتى ، وسمع النورى رجلا يؤذن فقال طعنة وسم الموت ، وسمع كلبا ينبح فقال لبيك وسعديك فقيل له إن هذا ترك للدين فانه يقول للمؤمن فى تشهده طعنة وسم الموت ويلبى عند نباح الكلب ، فسئل عن ذلك فقال : أما ذلك فكان ذكره لله على رأس الغفلة ، وأما الكلب فقال تعالى ـ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ـ وأذن الشبلى مرة فلما انتهى إلى الشهادتين قال لولا أنك أمرتنى ماذكرت معك غيرك وسمع رجلا يقول جلّ الله فقال له أحب أن تجله عن هذا . سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الخرقانى رحمه الله تعالى يقول لاإله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط ومن نظر إلى ظاهر هذا اللفظ توهم أنه استصغر الشرع ولا كما يخطر بالبال إذ الأخطار للأغيار بالاضافة إلى قدر الحق سبحانه متصاغرة فى التحقيق .

باب الولاية

قال الله تعالى ـ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ـ أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى قال حدّثنا عبد الله بن عدى الحافظ قال حدّثنا أبو بكر محمد بن هرون بن حميد قال حدّثنا محمد ابن هرون المقرى قال حدّثنا حماد الخياط عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى من آذى لى وليا فقد استحلّ محاربتى ، وماتقرّب إلىّ العبد بمثل أداء ما افترضت عليه ولايزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه وما ترددت فى شىء أنا فاعله كترددى فى قبض روح عبدى المومن لأنه يكره الموت وأكره مساءته ولابدّ له منه» قال الأستاذ أبو القاسم : الولىّ له معنيان: إحداهما فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه أمره قال الله تعالى ـ وهو يتولى الصالحين ـ فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته . والثانى فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولىّ وليا يحبّ قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه فى السراء والضراء ، ومن شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : قصد أبو يزيد البسطامى بعض من وصف بالولاية ، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم فى المسجد فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة ، فكيف يكون أمينا على أسرار الحق ؟ واختلفوا فى أن الولى هل يجوز أن يعلم أنه ولى أم لا . فمنهم من قال لايجوز ذلك وقال إن الولى يلاحظ نفسه بعين التصغير ، وإن ظهر عليه شىء من الكرامات خاف أن يكون مكرا وهو يستشعر الخوف دائما أبدا ، وإنما يخاف سقوطه عما هو فيه ، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله ، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل . وقد ورد فى هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لايحصون ، ولو اشتغلنا بذكر ماقالوا لخرجنا عن حدّ الاختصار ، وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فورك ، ومنهم من قال يجوز أن يعلم الولى أنه ولى وليس من شرط تحقيق الولاية فى الحال الوفاء فى المآل ، ثم إن كان ذلك من شرطه أيضا فيجوز أن يكون

(أسرار الحق) التى وهبها لأوليائه والغرض من ذلك تحذير الناس من الاغترار بجمال الأفعال وحسن المقال وجريان خوارق العادات وانتشار الثناء وشيوع الذكر فى الخلق من غير استقامة فلا يراعى فى الولى إلا الاستقامة على ماثبت بالأدلة الصحيحة وجريان خوارق العادات على يد العبد لايدل على ولايته بل قد يكون ممكورا به وكذابا على ربه ويكفى فى ذلك دليلا خروج الدجال فى آخر الزمان ومعه جنة ونار ويحيى ويميت وهو عدوّ الرحمن

هذا الولى خصّ بكرامة هى تعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب وهو و إن فارقه خوف العاقبة فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال فى الحال أتم وأشد فان اليسير من التعظيم والهيبة أهدى للقلوب من كثير من الخوف ولما قال صلى الله عليه وسلم «عشرة فى الجنة» من أصحابه فالعشرة لامحالة صدّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوا سلامة عاقبتهم ثم لم يقدح ذلك فى حالهم ولأن من شرط صحة المعرفة بالنبوّة الوقوف على حد المعجزة و يدخل فى جملته العلم بحقيقة الكرامات فاذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لايمكنه أن لايميز بينها و بين غيرها فاذا رأى شيئا من ذلك علم أنه فى الحال على الحق ثم يجوز أن يعرف أنه فى المآل يبقى على هذه الحالة و يكون هذا التعريف كرامة له والقول بكرامات الأولياء صحيح ، وكثير من حكايات القوم تدل على ذلك كما نذكر طرفا من ذلك فى باب كرامات الأولياء إن شاء الله تعالى و إلى هذا القول كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الأستاذ أبو علىّ الدقاق رحمه الله تعالى . وقيل إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل أتحب أن تكون لله وليا؟ فقال نعم فقال لاترغب فى شىء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك و يواليك وقال يحيى بن معاذ فى صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبايزيد يقول أولياء الله عرائس الله تعالى ولايرى العرائس إلا المحرمون فهم مخدرون عنده فى حجاب الأنس لايراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة . سمعت أبا بكر الصيدلانى وكان رجلا صالحا قال كنت أصلح اللوح فى قبر أبى بكر الطمستانى أنقر فيه اسمه فى مقبرة الحيرة كثيرا وكان يقام ذلك اللوح و يسرق ولم يقلع من غيره من القبور فكنت أتعجب منه فسألت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يوما عن ذلك فقال إن ذلك الشيخ أثر الخفاء فى الدنيا وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذى تصلحه فيه و إن الحق سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره كما آثر هو ستر نفسه وقال أبو عثمان المغربى الولى قد يكون مشهورا ولكن لا يكون مفتونا . سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول ليس للأولياء سؤال إنما هو الذبول والخمول قال وسمعته يقول نهايات الأولياء بدايات الأنبياء وقال سهل بن عبدالله الولى الذى توالت أفعاله على الموافقة وقال يحيى بن معاذ الولى لايرائى ولاينافق ومأأقل صديق من كان هذا خلقه وقال أبو على الجوزجانى الولى هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق سبحانه تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولى لم يكن له عن نفسه إخبار ولامع غير الله قرار وقال أبو يزيد حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن فمتى فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ماجرى فى السرائر من أنواره ومن كان حظه من اسمه الأوّل كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطا بما يستقبله وكل كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق سبحانه ببره وقام عنه بنفسه وهذا الذى قاله أبو يزيد يشير إلى أن الخواص من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام فلا العواقب هم فى ذكرها ولاالسوابق هم فى فكرها ولاالطوارق هم فى أسرها وكذا أصحاب الحقائق يكونون محوا عن نعوت الخلائق قال الله تعالى ـ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ـ وقال يحيى بن معاذ الولىّ ريحان الله تعالى فى الأرض يشمه الصدّيقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم و يزدادون عبادة على تفاوت

(لا يكون مفتونا) بأن تكون شهرته بركة عليه وعلى غيره بأن لاتشغله عن ربه فيسعد بها وتضاعف أعماله بكثرة من يقتدى به بخلاف من أشغلته شهرته عن ربه فانه يكون مفتونا بها (ليس للأولياء) فى أغلب أحوالهم (سؤال) بألسنتهم (إنما هو) أى سؤالهم فى بواطنهم (الذبول والخمول) والتذلل تحت جريان المقادير والرضا بما يجريه الحق عليهم فأكثروا أعمالهم بقلوبهم لأنها محل نظار ربهم ولأن أعمالها أشد من أعمال الجوارح

أخلاقهم . وسئل الواسطى كيف يغذى الولى فى ولايته فقال فى بدايته بعبادته وفى كهولته بستره بلطافته ثم يجذبه إلى ماسبق له من نعوته وصفاته ثم يذيقه طعم قيامه به فى أوقاته ، وقيل علامة الولى ثلاثة شغله بالله تعالى وفراره إلى الله تعالى وهمه إلى الله عزّ وجل قال الخراز إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلاهوى فحينئذ صار العبد زمنا فانيا فوقع فى حفظه سبحانه وبرئ من دعاوى نفسه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول قال أبو تراب النخشبى إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى ويقال صفة الولى أن لا يكون له خوف لأن الخوف ترقب مكروه يحل فى المستقبل أو انتظار محبوب يفوت فى المستأنف والولى ابن وقته ليس له مستقبل فيخاف شيئا وكما لاخوف له لارجاء له لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يكشف وذلك فى الثانى من الوقت وكذلك لاحزن له لأن الحزن من حزونة الوقت ومن كان فى ضياء الرضا وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن قال الله تعالى ـ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ـ

باب الدعاء

قال الله تعالى ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ـ وقال ـ ادعونى أستجب لكم ـ أخبرنا على بن أحمد ابن عبدان قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا محمد بن أحمد العودى قال حدثنا كامل قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الدعاء مخ العبادة» قال الأستاذ والدعاء مفتاح الحاجة وهو مستروح أصحاب الفاقات وملجأ المضطرين ومتنفس ذوى المآرب وقد ذم الله تعالى قوما تركوا الدعاء فقال ويقبضون أيديهم قيل لايمدونها إلينا فى السؤال . وقال سهل بن عبد الله خلق الله تعالى الخلق وقال ناجونى فان لم تفعلوا فانظروا إلى فان لم تفعلوا فاسمعوا منى فان لم تفعلوا فكونوا ببابى فان لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال سهل بن عبد الله أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال ودعاء الحال أن يكون صاحبه مضطرا لابد له مما يدعو لأجله أخبرنا حمزة ابن يوسف السهمى قال سمعت أبا عبد الله المكانسى يقول كنت عند الجنيد فأتت امرأة إليه وقالت ادع الله تعالى لى فان ابنا لى ضاع فقال اذهبى واصبرى فمضت ثم عادت فقالت مثل ذلك فقال لها الجنيد اذهبى واصبرى فمضت ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها اصبرى فقالت عيل صبرى ولم يبق لى طاقة فادع لى فقال الجنيد إن كان كما قلت فاذهبى فقد رجع ابنك فمضت ثم عادت تشكر له فقيل للجنيد لم عرفت ذلك فقال قال الله تعالى ـ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ـ واختلف الناس فى أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء فى نفسه عبادة قال النبى صلى الله عليه وسلم «الدعاء مخ العبادة» فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركه ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل إلى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية ولقد قال أبو حازم الأعرج لأن أحرم الدعاء أشد على من أن أحرم الإجابة وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطى

(مخ العبادة) أى خالصها لما فيها من التذلل والتضرع ولأنه تعالى أثنى على المتصف به فقال ـ ويدعوننا رغبا ورهبا ـ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت وليها ومولاها اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها» وكان من دعائه «اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك »

اختيار

اختيار ماجرى لك فى الأزل خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى « من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » وقال قوم : يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى بالأمرين جميعا والأولى أن يقال إن الأوقات مختلفة ففى بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب وفى بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب و إنما يعرف ذلك فى الوقت لأن علم الوقت إنما يحصل فى الوقت فاذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى و إذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أتم و يصح أن يقال ينبغى للعبد أن لايكون ساهيا عن شهود ربه تعالى فى حال دعائه ثم يجب عليه أن يراعى حاله فان وجد من الدعاء زيادة بسط فى وقته فالدعاء له أولى و إن عاد إلى قلبه فى وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالأولى له ترك الدعاء فى هذا الوقت و إن لم يجد فى قلبه زيادة بسط ولاحصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان فان كان الغالب عليه فى هذا الوقت العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة و إن كان الغالب عليه فى هذا الوقت المعرفة والحال والسكوت فالسكوت أولى و يصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أوللحق سبحانه فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم ، وفى الخبر المروى « إنّ العبد يدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول ياجبريل أخرحاجة عبدى فانى أحب أن أسمع صوته و إن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول ياجبريل اقض لعبدى حاجته فإنى أكره أن أسمع صوته » . ويحكى أن يحيى بن سعيد القطان رحمه الله تعالى رأى الحق سبحانه فى منامه فقال إلهى كم أدعوك ولاتجيبنى فقال ياحيى لأنى أحب أن أسمع صوتك . وقال صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده إنّ العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله تعالى للملائكته أبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له » . أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد قال حدّثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال حدّثنا محمد بن عبد ربه الحضرمى قال حدّثنا بشر بن عبد الملك قال حدّثنا موسى بن الحجاج قال قال مالك بن دينار حدّثنا الحسن عن أنس بن مالك قال « كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى بلاد الشام ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله عزّوجل قال : بينا هوجاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف فوقف له التاجر وقال له شأنك بمالى وخل سبيلى فقال له اللص المال مالى و إنما أريد نفسك فقال له التاجر ماترجو بنفسى شأنك والمال وخلّ سبيلى قال فردّ عليه اللص مثل المقالة الأولى فقال له التاجر أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعو ربى عزّوجل قال افعل مابدا لك قال فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء فكان من دعائه أن قال : ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يامبدئ يامعيد يافعال لمايريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك و برحمتك التى وسعت كل شئ لاإله إلاأنت يامغيث أغثنى ثلاث مرات ، فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر بيده حربة من نور ، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومرّ نحو الفارس فلما دنا منه شدّ الفارس على اللص فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ثم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله فقال له التاجر من أنت ؟ فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسى لقتله ، قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم جاء إلى التاجر وقال اعلم أنى ملك من السماء الثالثة حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط

(فقد استجبت له) وقد يدعو العبد فيعلم الحق تعالى أن مصلحته فى ضد مادعا به فلا يخلقه له رحمة له فيظن لجهله أن تأخير استجابة دعائه مضرّ له وهو نافع له وربما جرى على لسانه دعوت فلم تستجب لى فيكون سببا لمنع الإجابة كما قال صلى الله عليه وسلم « إنه يستجاب لأحدكم مالم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى » (أذراه) بمعجمة ساكنة وألف لينة أى ألقاه

جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادى من لهذا المكروب فدعوت ربى عزّ وجلّ أن يولينى قتله . واعلم ياعبد الله أنه من دعا بدعائك هذا فى كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله تعالى عنه وأعانه قال وجاء التاجر سالما غانما حتى دخل المدينة وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لقد لقنك الله عزّ وجل أسماءه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى » ومن آداب الدعاء : حضور القلب وأن لايكون ساهيا فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى لايستجيب دعاء عبد من قلب لاه » . ومن شرائطه : أن يكون مطعمه حلالا فلقد قال صلى الله عليه وسلم «لسعد أطب كسبك تستجب دعوتك» وقد قيل الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانها لقم الحلال. وكان يحيى بن معاذ يقول إلهى كيف أدعوك وأنا عاص وكيف لاأدعوك وأنت كريم ، وقيل مر موسى عليه السلام برجل يدعو و يتضرع فقال موسى عليه السلام : إلهى لو كانت حاجته بيدى قضيتها فأوحى الله تعالى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه عند غنمه و إنى لاأستجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غيرى فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته وقيل لجعفر الصادق عليه السلام مابالنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال لأنكم تدعون من لاتعرفونه . سمعت الأستاذ أبا على يقول ظهر بيعقوب بن الليث علة أعيت الأطباء فقالوا له فى ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبدالله لودعا لك لعل الله تعالى يستجيب له فاستحضر سهلا وقال ادع الله عزّ وجلّ لى فقال سهل كيف يستجاب دعائى فيك وفى مجلسك مظلومون فأطلق كل من فى حبسه فقال سهل اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفى فعرض مالا على سهل فأبى أن يقبل فقيل له لوقبلته ودفعته إلى الفقراء فنظر إلى الحصباء فى الصحراء فاذا هى جواهر فقال لأصحابه من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث وقيل كان صالح المرى يقول كثيرا من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له فقالت له رابعة إلى متى تقول هذا متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح فقال صالح شيخ جهل وامرأة علمت . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا بكر الحربى يقول سمعت السرى يقول حضرت مجلس معروف الكرخى فقام إليه رجل فقال ياأبا محفوظ ادع الله تعالى أن يرد علىّ كيسى فإنه سرق وفيه ألف دينار فسكت فأعاد ثم سكت فأعاد فقال معروف ماذا أقول أقول مازويته عن أنبيائك وأصفيائك فرده عليه فقال الرجل فادع الله تعالى لى فقال اللهم خر له . وحكى عن الليث أنه قال رأيت ابن نافع ضريرا ثم رأيته بصيرا فقلت له بم ردّ عليك بصرك فقال أتيت فى منامى فقيل قل ياقريب ياسميع الدعاء ياطيفا لما يشاء ردّ على بصرى فقلتها فرد الله عزوجل على بصرى . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول كان بى وجع العين ابتداء مارجعت إلى نيسابور من مرو وكنت مدة أيام لم أجد النوم فتناعست صباحا فسمعت قائلا يقول لى أليس الله بكاف عبده فانتبهت وقد فارقنى الرمد وزال فى الوقت الوجع ولم يصبنى بعد ذلك وجع العين . وحكى عن محمد بن خزيمة أنه قال لما مات أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كنت بالاسكندرية فاغتممت فرأيت فى المنام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو يتبختر فقلت ياأبا عبدالله أى مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت مافعل الله عز وجل بك فقال غفرلى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى ثم قال ادعنى ياأحمد

(وأسنانها) الأولى وأسنانه أى مفتاح الحاجة (كيف أدعوك الخ) فتعارض عنده الأمران وبالجملة فشرط استجابة الدعاء طاعة العبد لربه (ظهر بيعقوب الخ) فيه دلالة على أن من الكرب العظيمة ما لايفرجها مال ولاجاه ولا سلطنة ولاطب وإنما يفرجها صحيح الافتقار والتوبة والالتجاء إلى من بيده النفع والضر (كان صالح الخ) تكلم صالح من مقام الكسب والعبودية فأشار إلى الدعاء والابتهال إلى الله فانه يجيب المضطر إذا دعاه وتكلمت رابعة من مقام التوحيد فأشارت إلى أن رحمته مبسوطة كما فى خبر «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويده بالنهار ليتوب مسىء الليل » أى يبسط رحمته وفضله على عباده وكل منهما على حق إلا أن صالحا عرف علو درجة رابعة وما أشارت إليه فأقرلها بذلك

بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان الثورى فكنت تدعو بها فى دار الدنيا فقلت : يارب كل شىء بقدرتك على كل شىء اغفر لى كل شىء ولا تسألنى عن شىء فقال ياأحمد هذه الجنة فادخلها فدخلتها . وقيل تعلق شاب بأستار الكعبة وقال إلهى لاشريك لك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد و إن عصيتك فبجهلى فلك الحجة علىّ فبإثبات حجتك علىّ وانقطاع حجتى لديك إلا غفرت لى فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار وقيل فائدة الدعاء إظهار الفاقة بين يديه و إلا فالرب عز وجل يفعل مايشاء وقيل دعاء العامة بالأقوال ودعاء الزهاد بالأفعال ودعاء العارفين بالأحوال وقيل خير الدعاء ماهيجته الأحزان وقال بعضهم إذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت فسل الله عز وجل الجنة فلعل ذلك يوم إجابتك وقيل ألسنة المبتدئين منطلقة بالدعاء وألسنة المتحققين خرست عن ذلك . وسئل الواسطى أن يدعو فقال أخشى إن دعوت أن يقال لى إن سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا و إن سألتنا ماليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا و إن رضيت أجرينا لك من الأمور ماقضينا لك فى الدهور . وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال مادعوت منذ خمسين سنة ولا أريد أن يدعو لى أحد وقيل الدعاء المراسلة وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعد وقيل لسان المذنبين دعاؤهم . وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : إذا بكى المذنب فقد راسل الله عز وجل وفى معناه أنشدوا :

دموع الفتى عما يجنّ تترجم وأنفاسه يبدين ماالقلب يكتم

وقال بعضهم الدعاء ترك الذنوب وقيل الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب وقيل الإذن فى الدعاء خير من العطاء. وقال الكتانى : لم يفتح الله لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة وقيل الدعاء يوجب الحضور والعطاء يوجب الصرف والمقام على الباب أتم من الانصراف بالمثاب وقيل الدعاء مواجهة الحق بلسان الحياء وقيل شرط الدعاء الوقوف مع القضاء بوصف الرضا وقيل كيف تنتظر إجابة الدعوة وقد سددت طريقها بالهفوة وقيل لبعضهم ادع لى فقال كفاك من الأجنبية أن تجعل بينك و بينه واسطة . سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول سمعت أبى يقول : جاءت امرأة إلى تقىّ بن مخلد فقالت إن ابنى قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشىء فانه ليس لى ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار فقال نعم انصرفى حتى أنظر فى أمره إن شاء الله تعالى قال وأطرق الشيخ وحرّك شفتيه قال فلبثنا مدة فجاءت المرأة ومعها ابنها فأخذت تدعوله وتقول رجع سالما وله حديث يحدثك به فقال الشاب كنت فى يدى بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم يخرجنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردّنا وعلينا قيودنا فبينا نحن نجىء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذى كان يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة ودعا الشيخ قال فنهض إلىّ الذى كان يحفظنى وصاح علىّ كسرت القيد قلت لا إنه سقط من رجلى قال فتحير وأخبر صاحبه وأحضروا الحداد وقيدونى فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى فتحيروا فى أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى ألك والدة ؟ قلت نعم فقالوا وافق دعاؤها الإجابة وقد أطلقك الله عزّ وجلّ فلا يمكننا تقييدك فزودونى وأصحبونى بمن أوصلنى إلى ناحية المسلمين .

(وقال إلهى) هذا من أحسن الأسباب فى استدعاء الرحمة بالفعل والقول أما الفعل فالتعلق بالجناب وأما القول فحسن الخطاب لأن قوله فبإثبات حجتك علىّ إقرار لله بلزوم الحق عليه كما قال ـ فلله الحجة البالغة ـ وقوله وانقطاع حجتى لديك إقرار بالمعصية ومن تكون هذه حالته فهو المقتدر على مايشاء ويرغب إليه فى العفو عن الخطأ (يجنّ) أى يستر

باب الفقر

قال الله تعالى ـ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض ـ الآية أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسن بن موسى البزار ببغداد قال أخبرنا أبو بكر محمد ابن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنبارى قال حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم » وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن عبدوس الحيرى ببغداد قال حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار ببغداد قال حدثنا محمد ابن غالب بن حرب قال حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا محمد بن أبى الفرات عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المسكين ليس بالطوّاف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قال فقيل من المسكين يارسول الله ؟ قال الذى لايجد مايغنيه و يستحى أن يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه» قال الأستاذ معنى قوله يستحى أن يسأل الناس أى يستحى من الله تعالى أن يسأل الناس لا أنه يستحى من الناس والفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء والفقراء صفوة الله عز وجل من عباده ومواضع أسراره بين خلقه بهم يصون الخلق و ببركاتهم يبسط عليهم الرزق والفقراء الصبر جلساء الله تعالى يوم القيامة بذلك ورد الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الفزارى قال حدثنا عبدالله بن جعفر بن أحمد بن خشيش البغدادى قال حدثنا عثمان بن معبد قال حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين » والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة . وقيل إن رجلا أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل وقال معاذ النسفى ماأهلك الله تعالى قوما و إن عملوا ماعملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم وقيل لو لم يكن للفقير فضيلة غير إرادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لأنه يحتاج إلى شرائها والغنى يحتاج إلى بيعها هذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أبا بكر بن سمعان يقول سمعت أبا بكر بن مسعود يقول سئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته أن لايستغنى إلا بالله ورسمه عدم الأسباب كلها . وسمعته يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت إبراهيم القصار يقول الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه . وقدم على الأستاذ أبى على الدقاق فقير فى سنة خمس أو أربع وتسعين وثلثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنسوة مسح فقال له بعض أصحابنا بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشتريته بالدنيا وطلب منى بالآخرة فلم أبعه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قام فقير فى مجلس يطلب شيئا فقال إنى جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال كذبت إن للفقر سر الله وهو لايضع سره عند من يحمله إلى من يريد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الفراء يقول سمعت زكريا النخشبى يقول سمعت حمدون القصار يقول إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء كفرحهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمنا ورجل يموت على الكفر وقلب

[باب الفقر]

هو التبرى من رؤية الملكة ويقال هو إرسال النفس فى أحكام الله تعالى ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو على ثلاث درجات الأولى وهو فقر الزهاد التبرى من رؤية الفقر والثانية التبرى من رؤية الأعمال والأحوال والمقامات والثالثة التبرى من رؤية كونه متبريا وهو بكل حال ممدوح ومطلوب (الصبر) بضم الصاد وتشديد الباء الصابرون فقال اشتريته بالدنيا أى باعراضى عنها (وطلب منى الخ) لأن حالى هذا هو شغلى بالله لا بغيره وسكونى إليه لا إلى غيره فلو ملت إلى حظ آخر لكنت بعت حظا بحظوظ كل منهما حادث وحظى الذى أنا مشغول به هو الذى لم يزل ولم يتغير وهذا فقر العارفين ومن عداهم من الفقراء قد يتمسك بالفقر ليكون من السابقين إلى الجنة كما صحت به الأخبار والكل فى الجنة و إنما اختلفوا فى البواعث على الأعمال ففرق بين من عمل لوجهه وقربه ومن عمل لثوابه فى جنته و إن كان لابد من الثواب

فيه خوف الفقر . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن عطاء يقول سمعت أبا جعفر الفراغانى يقول سمعت الجنيد يقول يامعشر الفقراء إنكم تعرفون بالله تعالى وتكرمون لله تعالى فانظروا كيف تكونون مع الله تعالى إذا خلوتم به . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد ابن الحسن البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفراغانى يقول سمعت الجنيد وقد سئل عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى فقال إذا صح الافتقار إلى الله عز وجل فقد صح الاستغناء بالله تعالى و إذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به فلايقال أيهماأتم الافتقار أم الغنى لأنهما حالتان لاتتم إحداهما إلا بالأخرى . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفرا يقول سمعت رويما يقول وقد سئل عن نعت الفقير فقال إرسال النفس فى أحكام الله تعالى وقيل نعت الفقير ثلاثة أشياء حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره وقيل لأبى سعيد الخراز لم تأخر عن الفقراء رفق الأغنياء قال لثلاث خصال لأن مافى أيديهم غير طيب ولأنهم غير موفقين ولأن الفقراء مرادون بالبلاء وقيل أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام : إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شىء علمتك تحت التراب . وروى عن أبى الدرداء أنه قال لأن أقع من فوق قصر فأنحطم أحب إلىّ من مجالسة الغنى لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى ؟ قال الأغنياء» وقيل للربيع بن خيثم قدغلا السعر قال نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه وقال إبراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قيل ليحيى بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الأمن بالله تعالى وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت ابن الكرينى يقول إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغنى يحترز من الفقر حذرا أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه . وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه عز وجل فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه تعالى سوى فقره وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الناس أجمع قال نعم قال عدالمريض وكن لثياب الفقراء فاليا فجعل موسى عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يغلى ثيابهم و يعود المرضى وقال سهل بن عبد الله خمسة أشياء من جوهر النفس فقير يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر الفرح ورجل بينه و بين رجل عداوة يظهرله المحبة ورجل يصوم النهار و يقوم الليل ولايظهر ضعفا وقال بشر بن الحرث أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر وقال ذوالنون علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر . وقال الشبلى أدنى علامات الفقر أن لوكانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها فى يوم ثم خطر بباله أن لوأمسك منها قوت يوم ماصدق فى فقره . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول تكلم الناس فى الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى أن الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أباعبدالله الرازى يقول سمعت أبامحمد بن ياسين يقول سمعت ابن الجلاء يقول وقد سألته عن الفقر فسكت حتى خلا ثم ذهب ورجع عن قريب ثم قال كان عندى أربعة دوانيق فاستحييت من الله عز وجل أن أتكلم فى الفقر فذهبت وأخرجتها ثم قعد وتكلم فى الفقر . وسمعته يقول سمعت عبدالله ابن محمد الدمشقى يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سألت ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال إذا لم يبق عليه بقية منه فقلت كيف ذاك فقال إذا كان له فليس له و إذا لم يكن له فهوله وقيل صحة

(ويعود المرضى) فى ذلك دلالة على شدة كرامة الفقراء على الله وشرف منزلتهم عنده وكمال رحمته بهم حيث أمر أنبياءه وأحبابه بأن يكرموه

الفقر أن لايستغنى الفقير فى فقره بشىء إلا بمن إليه فقره ، وقال عبد الله بن المبارك : إظهار الغنى فى الفقر أحسن من الفقر . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت هلال بن محمد يقول سمعت النقاش يقول سمعت بنانا المصرى يقول : كنت بمكة قاعدا وشاب بين يدى فجاءه إنسان وحمل إليه كيسا فيه دراهم ووضعه بين يديه ، فقال لاحاجة لى فيه ، فقال فرقه على المساكين ، فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيئا لنفسه ، فقلت لو تركت لنفسك مما كان معك شيئا ؟ قال لم أعلم أنى أعيش إلى هذا الوقت . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت على بن بندر الصيرفى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أباحفص يقول : أحسن مايتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال ، وملازمة السنة فى جميع الأفعال ، وطلب القوت من وجه حلال . وسمعته يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت المرتعش يقول : ينبغى للفقير أن لاتسبق همته خطوه . وسمعته يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول سمعت أبا على الروذبارى يقول : كان أربعة فى زمانهم واحد كان لايقبل من الاخوان ولا من السلطان شيئا وهو يوسف بن أسباط ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئا وكان يعمل الخوص بيده . وآخر كان يقبل من الاخوان والسلطان جميعا وهو أبو إسحق الفزارى ، فكان ما أخذه من الاخوان ينفقه فى المستورين الذين لايتحركون ، والذى كان يأخذه من السلطان كان يخرجه إلى أهل طرسوس . والثالث كان يأخذ من الاخوان ولا يأخذ من السلطان وهو عبد الله بن المبارك يأخذ من الاخوان ويكافىء عليه . والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الاخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول السلطان لايمن والاخوان يمنون . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى الخبر «من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه» إنما ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه ، فاذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله ، وقيل أقل مايلزم الفقير فى فقره أربعة أشياء : علم يسوسه ، وورع يحجزه ، ويقين يحمله ، وذكر يؤنسه ، وقيل من أراد الفقر لشرفه مات فقيرا ، ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى مات غنيا ، وقال المزين : كانت الطرق إلى الله أكثر من نجوم السماء فما بقى منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصح الطرق . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يوسف القزوينى يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سمعت الحسن بن على يقول سمعت النورى يقول : نعت الفقير السكون عند العدم ، والإيثار عند الوجود . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سئل الشبلى عن حقيقة الفقر فقال : أن لايستغنى بشىء دون الله عز وجل . وسمعته يقول سمعت منصور بن خلف المغربى يقول قال لى أبو سهل الحشاب الكبير الفقر فقر وذل ، فقلت لا بل فقر وعز ، فقال فقر وثرى ، فقلت لا بل فقر وعرش . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : سئلت عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا» قال فقلت آفة الشىء وضده على حسب فضيلته وقدره فكلما كان فى نفسه أفضل فضده وآفته أنقص كالايمان لما كان أشرف الخصال كان ضده الكفر ، فلما كان الخطر على الفقر الكفر دل على أنه أشرف الأوصاف . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا نصر الهروى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول : إذا لقيت الفقير فألقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فقلت : يا أبا القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم ؟ فقال نعم الفقير إذا كان صادقا فى فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب

(إلى هذا الوقت) فى ذلك دلالة على فقره وزهده وقصر أمله (القوت من وجه حلال) المشار إليه بخبر « قد أفلح من أسلم وكان قوته حلالا وقنعه الله» (حظوته) أى حالته التى هو فيها بأن لايعلق قلبه من الدنيا بغير ماهو محتاج إليه فى الوقت (والاخوان يمنون) فلا يقبل منهم شيئا وكل من الأربعة قصده جميل وإن تفاوتوا (ذهب دينه كله) لأن الدنيا عند الله حقيرة فعلى العبد حقارتها فلا ينبغى له أن يتذلل بشىء من ذلك فى طلبها (أصح الطرق) لسلامته من الآفات التى تدخل بقية الطرق لكونه تبريا من الاقتدار على الأعمال (وثرى) أى تواضع ونزول إلى الأرض (وعرش) أى وارتفاع إلى العرش بالله وبكرامته وكلاهما على حق لكن الثانى أكرم همة من الأول

الرصاص فى النار . وسمعته يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت مظفرا القرمسينى يقول : الفقير هو الذى لايكون له إلى الله حاجة قال الأستاذ أبو القاسم وهذا اللفظ فيه أدنى غموض لمن سمعه على وصف الغفلة عن مرمى القوم و إنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجريه الحق سبحانه وقال ابن خفيف الفقر عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات وقال أبو حفص لايصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ وليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت الدقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر وقال يوسف بن أسباط منذ أربعين سنة ماملكت قميصين وقال بعضهم رأيت كأن القيامة قد قامت وقيل أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان وقال محمد المسوحى الفقير الذى لايرى لنفسه حاجة إلى شىء من الأسباب . وسئل سهل ابن عبد الله متى يستريح الفقير فقال إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذى هو فيه وتذاكروا عند يحيى ابن معاذ الفقر والغنى فقال لايوزن غدا لاالفقر ولا الغنى و إنما يوزن الصبر والشكر فيقال يشكر و يصبر وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام إن أردت أن تعرف رضاى عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك وقال الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام المحض . وقيل كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى كأنهم الأمراء . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير أن لايكون له رغبة فان كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته وأنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أنشدنى عبد الله بن إبراهيم بن العلاء قال أنشدنى أحمد بن عطاء لبعضهم :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما ... قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به ... يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم إن غبت ياأملى ... والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

وقيل إن هذه الأبيات لأبى على الروذبارى وقال أبو بكر المصرى وقد سئل عن الفقير الصادق فقال الذى لايملك ولايميل وقال ذو النون المصرى دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط أحب إلىّ من دوام الصفاء مع العجب . سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عبد الواحد بن أحمد يقول سمعت أبا بكر الجوال يقول سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار و ينفقه على الفقراء و يصوم و يخرج بين العشاءين فيتصدق عليه من الأبواب . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا على الحسين بن يوسف القزوينى يقول سمعت ابراهيم بن المولد يقول سمعت الحسن بن على يقول سمعت النورى يقول نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجود وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن على الكتانى يقول كان عندنا بمكة حرسها الله تعالى فتى عليه أطمار رثة وكان لايداخلنا ولا يجالسنا فوقعت محبته فى قلبى ففتح لى بمائتى درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت له إنه فتح لى ذلك من وجه حلال تصرفه فى بعض أمورك فنظر إلىّ شزرا ثم كشف عما هو مستور عنى وقال اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع

(أدنى غموض الخ) لأن حقيقة الفقر الاحتياج إلى الله لا إلى غيره مع أن الغموض فيه على من سمعه إنما يكون على الخ (لايملك شيئا) ولا يدعى شيئا من الأحوال والمقامات (ولا يميل لشىء من المشتهيات) فلا يصير رفيقا لشىء من المخلوقات (دوام الصفاء مع العجب) لأن المخلط لكونه فقيرا إلى الله يتعرض للتوبة بخلاف من به العجب المحرم وشتان بين فقير متعرض للتوبة وعاص مقيم على معصيته بعيد من التوبة (والايثار عند الوجود) لأن الموجب لكونه عند العدم ثقته بضمان الله لرزقه والموجب لايثاره عند الوجود تحصيل رضا الله

والمستغلات تريد أن تخدعني عنها بهذه وقام و بددها وقعدت ألتقط فما رأيت كعزه حين مرّ ولا كذلي حين كنت ألتقطها وقال أبوعبدالله بن خفيف ماوجبت عليّ زكاة الفطر أربعين سنة ولي قبول عظيم بين الخاص والعام . سمعت الشيخ أباعبدالله بن باكويه الصوفي يقول سمعت أبا عبدالله بن خفيف يقول ذلك وسمعته يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سألت أباعبدالله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام و بعد ثلاثة يخرج و يسأل مقدار كفايته إيش يقال فيه فقال يقال فيه مكدكلوا واسكتوا فلودخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على الصوفي يقول سمعت الدقي يقول وقد سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى في أحوالهم فقال انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم . وسمعته يقول سمعت محمد بن عبدالله الطبري يقول سمعت خيرا النساج يقول دخلت بعض المساجد و إذا فيه فقيرفلما رآني تعلق بي وقال أيها الشيخ تعطف عليّ فان محنتي عظيمة فقلت وماهي؟ فقال فقدت البلاء وقويت بالعافية فنظرت فإذا قد فتح عليه بشيء من الدنيا . وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن أحمد يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول طوبى للفقير في الدنيا والآخرة فسألوه عنه فقال لايطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب .

باب التصوّف

قال الأستاذ الصفاء محمود بكل لسان وضدّه الكدورة وهي مذمومة . أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي قال حدثنا الحسين بن جعفر قال حدثنا عبد الله ابن نوفل قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة قال : «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال ذهب صفو الدنيا و بقي الكدرفالموت اليوم تحفة لكل مسلم» قال الأستاذ : هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوّف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس والاشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب فأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لاتجيء على نحو الصوفي ، ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأوّل بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق وتكلم الناس في التصوف مامعناه وفي الصوفي من هو فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الايجاز وسنذكر بعض مقالاتهم فيه على حدّ التلويح إن شاء الله تعالى . سمعت محمد بن أحمد ابن يحيى الصوفي يقول سمعت عبدالله بن على التميمي يقول : سئل أبو محمد الجريري عن التصوف فقال الدخول في كل خلق سنيّ والخروج من كل خلق دنيّ . سمعت عبدالرحمن ابن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا عبدالله محمد بن عمار الهمداني يقول سمعت أبا محمد المرعشي يقول سئل شيخي عن التصوف فقال : سمعت الجنيدي وقد سئل عنه فقال : هو أن

(التصوف) هو ترك الاختيار ويقال هوحفظ حواسك ومراعاة أنفاسك ويقال هو الجدفي السلوك إلى ملك الملوك ويقال هو الاكباب على العمل والاعراض عن العلل ويقال غير ذلك وتقدم بعضه في باب ذكر مشايخ هذه الطريقة وهو ممدوح ومطلوب لأنه مأخوذ من الصفاء وقد بينه بقوله الصفاء محمول الخ (صوفية) لأن الحق صافاهم وأخلص لهم النعم بما أطلعهم عليه (ومن يتوصل إلى ذلك) بالاكتساب والتشبه بهم

يميتك الحق عنك ويحييك به . سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الواحد بن محمد الفارسى يقول سمعت أبا الفاتك يقول سمعت الحسين بن منصور وقد سئل عن الصوفى فقال وحدانى الذات لايقبله أحد ولايقبل أحدا . وسمعته يقول سمعت عبدالله بن محمد يقول سمعت جعفر بن محمد ابن نصير يقول سمعت أبا على الورّاق يقول سمعت أباحمزة البغدادى يقول : علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذلّ بعد العزّ ويخفى بعد الشهرة ، وعلامة الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ويعزّ بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء . وسئل عمرو بن عثمان المكى عن التصوّف فقال أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت . وقال محمد بن على القصاب : التصوف أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام . وسئل سمنون عن التصوّف فقال أن تملك شيئا ولايملكك شىء . وسئل رويم عن التصوّف فقال استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد . وسئل الجنيد عن التصوّف فقال هو أن تكون مع الله تعالى بلاعلاقة . سمعت عبد الله ابن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبانصر السراج الطوسى يقول أخبرنى محمد بن الفضل قال سمعت على بن عبد الرحيم الواسطى يقول سمعت رويم بن أحمد البغدادى يقول : التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرّض والاختيار . وقال معروف الكرخى : التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق . وقال حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به . وسئل الخراز عن أهل التصوف فقال أقوام أعطوا حتى بسطوا ومنعوا حتى فقدوا ثم نودوا من أسرار قريبة ألافابكوا علينا . وقال الجنيد : التصوف عنوة لاصلح فيها . وقال أيضا : هم أهل بيت واحد لايدخل فيهم غيرهم . وقال أيضا : التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع . وقال أيضا : الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولايخرج منها إلا كل مليح . وقال أيضا : إنه كالأرض يطؤها البرّ والفاجر وكالسحاب يظل كل شىء وكالمطر يسقى كل شىء . وقال إذا رأيت الصوفى يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب . وقال سهل بن عبدالله : الصوفى من يرى دمه هدرا وملكه مباحا . وقال النورى : نعت الصوفى السكون عند العدم والإيثار عند الوجود . وقال الكتانى : التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء . وقال أبوعلى الروذبارى : التصوف الإناخة على باب الحبيب وإن طرد عنه . وقال أيضا : صفوة القرب بعد كدورة البعد . وقيل : أقبح من كل قبيح صوفى شحيح . وقيل : التصوف كف فارغ وقلب طيب . وقال الشبلى : التصوف الجلوس مع الله بلاهمّ . وقال أبومنصور : الصوفى المشير عن الله عزّوجل فان الخلق أشاروا إلى الله تعالى . وقال الشبلى : الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى ـ واصطنعتك لنفسى ـ قطعه عن كل غير ثم قال ـ لن ترانى ـ وقال أيضا : الصوفية أطفال فى حجر الحق . وقال أيضا : التصوّف برقة محرقة . وقال أيضا : هو العصمة عن رؤية السكون وقال رويم : ماتزال الصوفية بخير ماتنافروا فاذا اصطلحوا فلاخير فيهم وقال الجريرى : التصوّف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب . وقال المزين : التصوّف الانقياد للحق . وقال أبوتراب النخشبى : الصوفى لايكدره شىء ويصفو به كل شىء . وقيل : الصوفى لايتعبه طلب ولايزعجه سبب . سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ذوالنون عن التصوّف فقال هم قوم آثروا الله عزّوجل على كل شىء فآثرهم الله عزّوجل على كل شىء . وقال الواسطى : كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات . وسئل النورى عن الصوفى فقال :

(بسطوا) أى والى عليهم الحق نعمه وخوارق عاداته حتى سكنوا إليه وانشرحت صدورهم إليه (ومنعوا) عن الالتفات إلى غيره (حتى فقدوا) أى فنوا عن أنفسهم فلم يلتفتوا إليها (قريبة) أى لطيفة (ألافابكوا علينا) لعدم وجداننا ذلك (مع اجتماع) للهمة مع الله بأن لايحدث الذاكر نفسه بغير ماهو فيه لأن الذكر مع الغفلة مذموم (مع استماع) لأن الوجد الصحيح ما كان عن سماع صحيح محرّك للقلوب ليكون سنده كتاب الله أوسنة رسوله أو نحوهما من المواعظ المؤثرة

من سمع السماع وآثر الأسباب . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السرّاج يقول قلت للحصرى من الصوفى عندك ؟ فقال الذى لاتقله الأرض ولا تظله السماء قال الأستاذ أبو القاسم : إنما أشار إلى حال المحو ، وقيل الصوفى من إذا استقبله حالان أو خلقان كلاهما حسن كان مع الأحسن ، وسئل الشبلى لم سموا بهذه التسمية ؟ فقال لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سئل ابن الجلاء مامعنى صوفى فقال ليس نعرفه فى شرط العلم ولكن نعرف فقيرا مجردا من الأسباب كان مع الله تعالى بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه من علم كلّ مكان فسمى صوفيا وقال بعضهم التصوّف إسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة وقال أبو يعقوب المزايلى التصوّف حال تضمحل فيها معالم الإنسانية وقال أبو الحسن السيرانى الصوفى يكون مع الواردات لامع الأوراد . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول أحسن ماقيل فى هذا الباب قول من قال هذا طريق لايصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل وقال رحمه الله تعالى يوما لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب فلم ينظر كلب إليها وقال الأستاذ أبو سهل الصعلوكى رحمه الله تعالى التصوف الإعراض عن الاعتراض وقال الحصرى الصوفى لايوجد بعد عدمه ولا يعدم بعد وجوده قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : وهذا فيه إشكال ، ومعنى قوله لايوجد بعد عدمه أى إذا فنيت آفاته لاتعود تلك الآفات ، وقوله ولا يعدم بعد وجوده يعنى إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق فالحادثات لاتؤثر فيه ويقال الصوفى المصطلم عنه بما لاح له من الحق ويقال الصوفى مقهور بتصريف الربوبية مستور بتصرف العبودية ويقال الصوفى لايتغير فان تغير لايتكدر . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبابكر المصرى يقول سمعت الخراز يقول كنت فى جامع قيروان يوم جمعة فرأيت رجلا يدور فى الصف ويقول تصدقوا علىّ فقد كنت صوفيا فضعفت فرفقته بشىء فقال لى مرّ ويلك ليس من ذلك ولم يقبل الرفق .

باب الأدب

قال الله عزّ وجل ـ مازاغ البصر وماطغى ـ قيل حفظ آداب الحضرة وقال تعالى ـ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ـ جاء فى التفسير عن ابن عباس فقهوهم وأدبوهم أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا غنام قال حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال حدثنا عبد الملك ابن الحسين عن عبد الملك بن عمير عن مصعب بن شيبة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن أدبه» . ويحكى عن سعيد بن المسيب أنه قال من لم يعرف مالله عزّ وجلّ عليه فى نفسه ولم يتأدب بأمره ونهيه كان من الأدب فى عزلة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله عزّ وجلّ أدبنى فأحسن أدبى» وحقيقة الأدب اجتماع خصال الخير فالأديب الذى اجتمع فيه خصال الخير ومنه المأدبة اسم للجمع . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه فى طاعته إلى الله تعالى وسمعته يقول رأيت من أراد أن يمد يده فى الصلاة إلى أنفه فقبض على يده قال الأستاذ : وإنما أشار إلى نفسه لأنه لايمكن الإنسان أن يعرف من غيره أنه قبض على يده وكان الأستاذ أبو على رحمه الله تعالى لايستند إلى شىء وكان يوما فى مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنى رأيته غير

(الأدب) هو مايتولد من صفاء القلب وحضوره ويقال وضع الأشياء موضعها ويقال حسن المعاملة ويتولد من الحياء والهيبة والشفقة ويقال مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو ممدوح ومطلوب (وماطغى) أى وما مال بصره عن مرئيه المقصود له فلم يلتفت عنه ولهذا (قيل حفظ) النبى بذلك (آداب الحضرة) ماللهالخ أى من الحقوق التى لزمته

مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توفى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعده حاله فكان لا يستند إلى شئ . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن محمد البصرى يقول سمعت الجلاجلى البصرى يقول التوحيد موجب يوجب الإيمان فمن لا إيمان له فلا توحيد له والإيمان موجب يوجب الشريعة فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد والشريعة موجب توجب الأدب فمن لاأدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات فقيل ومامعناه قال أن تعامل الله تعالى بالأدب سراوعلنا فاذا كنت كذلك كنت أديبا و إن كنت أعجميا ثم أنشد :

إذانطقت جاءت بكل ملاحة و إن سكتت جاءت بكل مليح

أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت عبد الله الجريرى يقول منذ عشرين سنة ما مددت رجلى وقت جلوسى فى الخلوة فان حسن الأدب مع الله تعالى أولى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل روى عن ابن سيرين أنه سئل أىّ الآداب أقرب إلى الله تعالى فقال معرفة ربو بيته وعمل بطاعته والحمد لله على السراء والصبر على الضراء . وقال يحيى بن معاذ إذا ترك العارف أدبه مع معروفه فقد هلك مع الهالكين . سمعت الأستاذ أبا على يقول ترك الأدب موجب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب وقيل للحسن البصرى قد أكثر الناس فى علم الآداب فما أنفعها عاجلا وأوصلها آجلا فقال التفقه فى الدين والزهد فى الدنيا والمعرفة بما لله عز وجل عليك وقال يحيى بن معاذ من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى وقال سهل: القوم استعانوا بالله تعالى على أمر الله تعالى وصبروا لله تعالى على آداب الله تعالى وروى عن ابن مبارك أنه قال نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول سمعت العباس بن حمزة يقول حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال قال الوليد بن عتبة قال ابن المبارك طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون وقيل ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب وحسن الأدب وكف الأذى وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله رضى الله عنه فى هذا المعنى :

يزين الغريب إذاما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانيه حسن أخلاقه وثالثه اجتناب الريب

ولما دخل أبوحفص بغداد قال له الجنيد لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين فقال أبو حفص حسن الأدب فى الظاهر عنوان حسن الأدب فى الباطن . وعن عبدالله بن المبارك أنه قال الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف . سمعت منصور بن خلف المغربى يقول قيل لبعضهم يا سيئ الأدب فقال لست بسيئ الأدب فقيل له من أدبك فقال أدبنى الصوفية سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا النصر الطوسى السراج يقول الناس فى الأدب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب . وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال

(ردّ إلى سياسة الدواب) لاستحقاقه بذلك البعد والطرد وألم كل مطرود على حسب مافارقه من منزلته التى كان فيها ولامنزلة أجل وأعلى من مراقبة مولاه مع كمال أدبه فان أساء أدبه فيها طرد عنها (حسن الأدب فى الظاهر الخ) يعنى أن ماهم فيه من الأدب ليس تعليما وتكلفا ولكنهم لما عمرت قلوبهم باجلال الحق من اختصه وعظمه جرت الآداب عليهم فى الظاهر (ثلاث طبقات) أهل الدنيا وأهل الدين وأهل الخصوصية

من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى بالاخلاص وقيل كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء عليهم السلام والصديقين وقال عبد الله بن المبارك قد أكثر الناس فى الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وقال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق سبحانه ترك الأدب وقال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه وقال بعضهم يقول الحق سبحانه: من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب وقيل مدّ ابن عطاء رجله يوما بين أصحابه وقال ترك الأدب بين أهل الأدب أدب ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذى روى «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر وعمر فدخل عثمان فغطى فخذه وقال ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة» نبه صلى الله عليه وسلم أن حشمة عثمان رضى الله عنه وإن عظمت عنده فالحالة التى بينه وبين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كانت أصفى، وفى قريب من معناه انشدوا :

فىّ انقباض وحشمة فاذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها وقلت ماقلت غير محتشم

وقال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب وقال أبو عثمان إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقّت وقال ذو النون المصرى إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء . سمعت الأستاذ أبا على يقول فى قوله عز وجل ـ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ـ قال لم يقل ارحمنى لأنه حفظ آداب الخطاب وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال ـ إن تعذبهم فانهم عبادك ـ وقال ـ إن كنت قلته فقد علمته ـ ولم يقل لم أقل رعاية لآداب الحضرة . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول سمعت الجنيد يقول جاءنى بعض الصالحين يوم الجمعة فقال لى ابعث معى فقيرا يدخل علىّ سرورا ويأكل معى شيئا فالتفت فاذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة فدعوته وقلت له امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سرورا فمضى فلم ألبث أن جاءنى الرجل وقال لى ياأبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل إلا لقمة وخرج فقلت لعلك قلت كلمة جفاء عليه فقال لى لم أقل له شيئا فالتفت فاذا أنا بالفقير جالس فقلت له لم تتم عليه السرور فقال ياسيدى خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ولم آكل شيئا وكرهت أن يبدو سوء أدب منى من جهة الفاقة فى حضرتك فلما دعوتنى سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال كل فهذا أحب إلى من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنىء الهمة فتظرفت أن آكل طعامه فقال الجنيد ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه فقال يا أبا القاسم التوبة فسأله أن يمضى معه ويفرحه .

(سقطت شروط الأدب) يعنى سقط تكلف الأدب وإن كانت المحبة توجب كمال الأدب فالأدب مع الأحباب جار على أكمل وجوه الصواب من غير تكلف فيسقط الأدب تكلفا لا وجودا (الجنان) بل أعلى منها (فهذا) أى أكلك لها أو هذا القدر الذى سويته لك (دنىء الهمة) لأنه إنما ذكر فضل ذلك على الدراهم التى هى من الدنيا ولم يذكر الآخرة فحق الفقير أن يكون مشغولا بالله زاهدا فى الدنيا كهذا الفقير بل ربما يكون مشغولا عن ذكر الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه لكمال شغله بمولاه

باب أحكامهم فى السفر

قال الله تعالى ـ هو الذى يسيركم فى البر والبحر ـ أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد ابن عبيد البصرى قال حدثنا محمد بن الفرج الأزرق قال أخبرنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أن عليا الأزدى أخبره أن ابن عمر علمهم «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على البعير خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال ـ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ـ ثم يقول اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى وهون علينا سفرنا

اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى المال والأهل ، فاذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون لربنا حامدون » قال الأستاذ : لما كان رأى كثير من هذه الطائفة اختيار السفر أفردنا لذكر السفر فى هذه الرسالة بابا لكونه من أعظم شأنهم ، وهذه الطائفة مختلفون ، فمنهم من آثر الإقامة على السفر ، ولم يسافر إلا لفرض لحجة الإسلام والغالب عليهم الإقامة مثل الجنيد وسهل بن عبد الله وأبى يزيد البسطامى وأبى حفص وغيرهم ، ومنهم من آثر السفر وكانوا على ذلك إلى أن خرجوا من الدنيا مثل أبى عبد الله المغربى ، وإبراهيم بن أدهم وغيرهم ، وكثير منهم سافروا فى ابتداء أمورهم فى حال ابتداء شبابهم أسفارا كثيرة ، ثم قعدوا عن السفر فى آخر أحوالهم مثل أبى عثمان الحيرى والشبلى وغيرهم ، ولكل منهم أصول بنوا عليها طريقتهم . واعلم أن السفر على قسمين : سفر بالبدن وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة ، وسفر بالقلب وهو الارتقاء من صفة إلى صفة ، فترى ألفا يسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول : كان بفرغك قرية بظاهر نيسابور شيخ من شيوخ هذه الطائفة وله على هذا اللسان تصانيف سأله بعض الناس هل سافرت أيها الشيخ ؟ فقال : سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض لا ، وسفر السماء بلى ، وسمعته رحمه الله تعالى يقول : جاءنى بعض الفقراء يوما وأنا بمرو فقال لى قطعت إليك شقة بعيدة ، والمقصود لقاؤك ، فقلت له كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك وحكاياتهم فى السفر تختلف على ماذكرنا من أقسامهم فى أحوالهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على العلوى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت أحنف الهمدانى يقول : كنت فى البادية وحدى فأعييت فرفعت يدى وقلت : يارب ضعيف زمن وقد جئت إلى ضيافتك فوقع فى قلبى أن يقال لى من دعاك ؟ فقلت يارب هى مملكة تحتمل الطفيلى ، فاذا أنا بهاتف من ورائى فالتفت فاذا أعرابى على راحلة فقال : يا أعجمى إلى أين قلت إلى مكة حرسها الله تعالى . قال أو دعاك قلت لا أدرى ، فقال أليس قال : من استطاع إليه سبيلا ، فقلت المملكة واسعة تحتمل الطفيلى فقال أطفيلى أنت يمكنك أن تخدم الجمل ؟ قلت نعم ، فنزل عن راحلته وأعطانيها وقال سر عليها . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت الكتانى وقد قال له بعض الفقراء أوصنى قال اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد ، وأن لا تموت إلا بين منزلين . ويحكى عن الحصرى أنه كان يقول جلسة خير من ألف حجة ، وإنما أراد جلسة تجمع الهم على نعت الشهود ولعمرى أنها أتم من ألف حجة على وصف الغيبة عنه . سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول حكى عن محمد بن إسمعيل الفرغانى أنه قال كنا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الزقاق والكتانى لانختلط بأحد ولا نعاشر أحدا فاذا قدمنا بلدا فان كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه إلى الليل ثم نرجع إلى مسجد فيصلى الكتانى فى أول الليل إلى آخره ويختم القرآن ويجلس الزقاق مستقبل القبلة ، وكنت أستلقى متفكرا ثم نصبح ونصلى صلاة الفجر على وضوء العتمة ، فاذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضلنا . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت عيسى القصار يقول : سئل رويم عن أدب السفر فقال أن لا يجاوز همه قدمه ، وحيثما وقف قلبه يكون منزله ، وحكى عن مالك بن دينار أنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم سح فى الأرض واطلب الآثار والعبر حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصا ، وقيل كان أبو عبد الله

(وقال سر عليها) فى ذلك دلالة على أن المسافر لا يسافر فى الصحراء بلا زاد ولا راحلة إلا إذا عوده الله القوة على ذلك وقد يعوده إياها لكن يطرأ له فى أثناء سفره ما يوجب له العجز عن ذلك فلا يضره والأحنف كان الأغلب . عليه بحسب ما خطر له من السفر بلا زاد ولا راحلة أن الله يقويه على ذلك فلما طرأ عليه العجز فى السفر سأل الله واستغاث به فوقع فى قلبه خاطر من دعاك فوقع فى قلبه جوابه بما مر

المغربى يسافر أبدا ومعه أصحابه وكان يكون محرما فاذا تحلل من إحرامه أحرم ثانيا ولم ينسج له ثوب ولاطال له ظفر ولاشعر وكان يمشى معه أصحابه بالليل وراءه فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق يقول يمينك يافلان يسارك يافلان وكان لايمدّ يده إلى ماوصلت إليه يد الآدميين وكان طعامه أصل شيء من النبات يؤخذ فيقطع لأجله . وقيل : كل صاحب تقول له قم فيقول إلى أين فليس بصاحب وفى معناه أنشدوا :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم لأى مكان

وحكى عن أبى على الرباطى قال : صحبت عبدالله المروزى وكان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلازاد ولاراحلة فلما صحبته قال لى أيما أحبّ إليك تكون أنت الأمير أم أنا؟ فقلت لا بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها زادا وحملها على ظهره فاذا قلت أعطنى حتى أحملها قال الأمير أنا وعليك الطاعة قال فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على رأسى وعليه كساء يمنع عنى المطر فكنت أقول فى نفسى ياليتنى متّ ولم أقل له أنت الأمير ثم قال لى إذا صحبت إنسانا فاصحبه كما رأيتنى صحبتك . وقدم شاب على أبى على الروذبارى فلما أراد الخروج قال يقول الشيخ شيئا فقال يافتى كانوا لايجتمعون عن موعد ولايتفرّقون عن مشورة . وعن المزين الكبير قال : كنت يوما مع إبراهيم الخوّاص فى بعض أسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لأقتلها فمنعنى وقال دعها كل شيء مفتقر إلينا ولسنا مفتقرين إلى شيء . وقال أبو عبد الله النصيبينى : سافرت ثلاثين سنة ماخطت قط خرقة على مرقعتى ولاعدلت إلى موضع علمت أن لى فيه رفيقا ولاتركت أحدا يحمل معى شيئا . واعلموا أن القوم استوفوا آداب الحضور من المجاهدات ثم أرادوا أن يضيفوا إليها شيئا فأضافوا أحكام السفر إلى ذلك رياضة لنفوسهم حتى أخرجوها عن المعلومات وحملوها على مفارقة المعارف كى يعيشوا مع الله عزّ وجل بلاعلاقة ولاواسطة فلم يتركوا شيئا من أورادهم فى أسفارهم وقالوا الرخص لمن كان سفره ضرورة ونحن لاشغل لنا ولاضرورة فى أسفارنا علينا . سمعت أباصادق بن حبيب قال سمعت النصراباذى يقول : ضعفت فى البادية مرّة فأيست من نفسى فوقع بصرى على القمر وكان ذلك بالنهار فرأيت مكتوبا عليه ـ فسيكفيكهم الله ـ فاستقللت وفتح علىّ من ذلك الوقت هذا الحديث . وقال أبو يعقوب السوسى : يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء فى سفره : علم يسوسه ، وورع يحجزه ، ووجد يحمله ، وخلق يصونه . وقيل : سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . وكان الكتانى إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرّة أخرى يأمر بهجرانه وإنما كان يفعل ذلك لأنهم كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الرفق . وقيل : كان إبراهيم الخوّاص لايحمل شيئا فى السفر وكان لايفارقه الإبرة والركوة أما الإبرة فلخياطة ثوبه إن تمزق سترا للعورة وأما الركوة فللطهارة وكان لايرى ذلك علاقة ولامعلوما . وحكى عن أبى عبدالله الرازى قال خرجت من طرسوس حافيا وكان معى رفيق فدخلنا بعض قرى الشام فجاءنى فقير بحذاء فامتنعت من قبوله فقال لى رفيقى البس هذا فقد عييت فانه قد فتح عليك بهذا النعل بسببى فقلت مالك فقال نزعت نعلى موافقة لك ورعاية لحق الصحبة . وقيل : كان الخوّاص فى سفر ومعه ثلاثة نفر فبلغوا مسجدا فى بعض المفاوز وباتوا فيه ولم يكن عليه باب وكان برد شديد فناموا فلما أصبحوا رأوه واقفا على الباب فقالوا له فى ذلك فقال خشيت أن تجدوا البرد وكان قد وقف طول ليلته . وقيل : إن الكتانى استأذن أمه فى الحج مرّة فأذنت له فخرج فأصاب ثوبه البول فى البادية فقال إن هذا لحلل فى حالى ، فانصرف ، فلما دقّ باب داره أجابته أمه

(ولسنا مفتقرين إلى شيء غير الله) فى ذلك دلالة على أن الحيوانات يسخرها الله لأوليائه وتقرّب منهم لتنتفع بهم ولاتؤذيهم وهذا من خوارق العوائد لأن من كمل خوفه من الله لم يخف من غيره ومن اطمأن إلى الله واعتمد عليه اطمأنت إليه الحيوانات وسكنت إليه ولم تنفر منه وأراد بقوله كل شيء الخ تعريف تلميذه بأنه محفوظ بالله وذو كرامات لينتفع بذلك ويقوى يقينه

ففتحت فرآها جالسة خلف الباب فسألها عن جلوسها فقالت له مذ خرجت اعتقدت أن لا أبرح عن هذا الموضع حتى أراك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سمعت إبراهيم القصار يقول سافرت ثلاثين سنة أصلح قلوب الناس للفقراء . وقيل : زار رجل داود الطائي فقال له يا أبا سليمان كانت نفسي تنازعني إلى لقائك منذ زمان فقال لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة فالتلاقي أيسر . سمعت أبا نصر الصوفي وكان من أصحاب النصراباذي رحمه الله يقول : خرجت من البحر بعمان وقد أثر فيّ الجوع فكنت أمرّ في السوق فبلغت حانوت حلاوي فرأيت فيه حملانا مشوية وحلواء فتعلقت برجل وقلت اشتر لي من هذه الأشياء فقال لماذا ألك عليّ شيء أو عندي دين ؟ فقلت لابد أن تشتري لي من هذا فرآني رجل فقال خله يافتى إن الذي يجب عليه أن يشتري لك ماتريد أنا لاهو اقترح عليّ واحكم بما تريد ثم اشترى لي ماأردت ومر . وحكي عن أبي الحسين المصري قال : اتفقت مع الشجري في السفر من طرابلس فسرنا أياما لم نأكل شيئا فرأيت قرعا مطبوخا فأخذت آكله فالتفت إليّ الشيخ ولم يقل شيئا فرميت به وعلمت أنه كرهه ثم فتح علينا بخمسة دنانير فدخلنا قرية فقلت يشترى لنا شيئا لامحالة فمرّ ولم يفعل ثم قال لعلك تقول نمشي جياعا ولم تشتر لنا شيئا هوذا ، فوافى اليهودية قرية على الطريق وثم رجل صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا فادفعها إليه لينفقها علينا وعلى عياله فوصلنا إليه ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها فلما خرجنا قال لي إلى أين يا أبا الحسين ؟ فقلت أسير معك فقال لا إنك تخونني في قرعة وتصحبني لاتفعل وأبى أن أصحبه . سمعت محمد بن عبد الله الشيرازي يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سمعت أبا عبدالله بن خفيف يقول : كنت في حال حداثتي استقبلني بعض الفقراء فرأى في أثر الضرّ والجوع فأدخلني داره وقدّم إليّ لحما طبخ بالكشك واللحم متغير فكنت آكل الثريد وأتجنب اللحم لتغيره فلقمني لقمة فأكلتها بجهد ثم لقمني ثانية فبلغتني مشقة فرأى ذلك في وخجل وخجلت لأجله فخرجت وانزعجت في الحال للسفر فأرسلت إلى والدتي من يحمل إليّ مرقعتي فلم تعارضني الوالدة ورضيت بخروجي فارتحلت من القادسية مع جماعة من الفقراء فتهنا ونفد ما كان معنا وأشرفنا على التلف فوصلنا إلى حيّ من أحياء العرب ولم نجد شيئا واضطررنا إلى أن اشترينا منهم كلبا بدنانير وشووه وأعطوني قطعة من لحمه فلما أردت أكله فكرت في حالي فوقع لي أنه عقوبة خجل ذلك الفقير فثبت في نفسي وسكت فدلونا على الطريق فمضيت وحججت ثم رجعت معتذرا إلى الفقير .

باب الصحبة

قال الله عزّ وجلّ ـ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إنّ الله معنا ـ قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رضي الله عنه : لما أثبت سبحانه للصدّيق رضي الله عنه الصحبة بين أنه أظهر عليه الشفقة فقال تعالى ـ إذ يقول لصاحبه لاتحزن إنّ الله معنا ـ فالحرّ شفيق على من يصحبه . أخبرنا علي ابن أحمد الأهوازي قال حدّثنا أحمد بن عبيد البصري قال حدّثنا يحيى بن محمد الجياني قال حدّثنا عثمان ابن عبد الله القرشي عن نعيم بن سالم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « متى ألقى أحبابي ؟ فقال أصحابه بأبينا أنت وأمنا أولسنا أحبابك ؟ فقال أنتم أصحابي ، أحبابي قوم لم يروني وآمنوا بي وأنا إليهم بالأشواق لأكثر » والصحبة على ثلاثة أقسام : صحبة مع من فوقك وهي في الحقيقة خدمة وصحبة مع من دونك وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والحرمة

(وأبى أن أصحبه) فيه دلالة على أنه ينبغي للتلميذ أن يحفظ قلوب المشايخ الذين يقتدي بهم فلا يفعل شيئا بغير إذنهم لئلا يكون سببا لمفارقته لهم وفوت مقصوده منهم وعلى أنه إذا رأى مع الشيخ مالا ولم يخرجه للفقراء أو أمسكه فلا يسرع بالاعتراض عليه وينسبه إلى حب الدنيا فيهلك فإن إمساكها يختلف باختلاف المقاصد الصحيحة أو الفاسدة ومن المقاصد الصحيحة حفظه هذه الدنانير ليصل بها إلى ذلك الرجل الصالح لينفقها على نفسه وعائلته ومن يطرقه من الصالحين

وصحبة الأكفاء والنظراء وهى مبنية على الإيثار والفتوة فمن صحب شيخا فوقه فى الرتبة فأدبه ترك الاعتراض وحمل مايبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به . سمعت منصور بن خلف المغربى وسأله بعض أصحابنا كم سنة صحبت أبا عثمان المغربى فنظر إليه شزرا وقال : إنى لم أصحبه بل خدمته مدة وأما إذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك فى حق صحبته أن لاتنبهه على مافيه من نقصان فى حالته . كتب أبو الخير التيناتى إلى جعفر بن محمد بن نصير : وزرجهل الفقراء عليكم لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا جهلة . وأما إذا صحبت من هو فى درجتك فسبيلك التعامى عن عيو به وحمل ماترى منه على وجه من التأويل جميل ماأمكنك فان لم تجد تأويلا عدت إلى نفسك بالتهمة و إلى التزام اللائمة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال أحمد بن أبى الحوارى قلت لأبى سليمان الدارانى : إن فلانا لايقع من قلبى ، فقال أبو سليمان وليس يقع أيضا من قلبى ولكن يا أحمد لعلنا أتينا من قبلنا لسنا من جملة الصالحين فلسنا نحبهم . وقيل صحب رجل إبراهيم بن أدهم فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل إن رأيت فىّ عيبا فنبهنى عليه فقال إبراهيم إنى لم أر بك عيبا لأنى لاحظتك بعين الوداد فاستحسنت منك مارأيت فسل غيرى عن عيبك ، وفى معناه أنشدوا :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وحكى عن ابراهيم بن شيبان أنه قال كنا لانصحب من يقول نعلى . سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول قال أبو أحمد القلانسى وكان من أستاذى الجنيد صحبت أقواما بالبصرة فأكرمونى فقلت مرة لبعضهم أين إزارى فسقطت من أعينهم . وسمعت أبا حاتم يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الدقى يقول سمعت الزقاق يقول منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء فما رأيت رفقا لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض أوممن يحبهم ومن لم يصحبه التقوى والورع فى هذا الأمر أكل الحرام النص . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال رجل لسهل بن عبدالله أريد أن أصحبك ياأبا محمد فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الباقى فقال الله تعالى فقال فليصحبه الآن تصحب رجل رجلا مدّة ثم بدا لأحدهما المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لاتصحب أحدا إلا إذا كان فوقنا و إن كان أيضا فوقنا فلاتصحبه لأنك صحبتنا أولا فقال الرجل زال من قلبى إرادة المفارقة . سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الدقى يقول سمعت الكتانى يقول صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا فوهبت له شيئا ليزول مافى قلبى فلم يزل يحملته إلى بيتى وقلت له ضع رجلك على خدّى فأبى فقلت لابدّ ففعل واعتقدت أن لايرفع رجله من خدى حتى يرفع الله تعالى من قلبى ما كنت أجده فلم يزال عن قلبى ما كنت أجده قلت له ارفع رجلك الآن وكان إبراهيم بن أدهم يعمل فى الحصاد وحفظ البساتين وغيره وينفق على أصحابه وقيل كان مع جماعة من أصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام فكان يبطىء فى الرجوع من العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا أسرع فأفطروا وناموا فلما رجع إبراهيم وجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شىء من الدقيق كان هناك فعجنه وأوقد النار ووضع الملة فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت فقال بعضهم لبعض انظروا إيش الذى عملنا . وما الذى به يعاملنا وقيل كان إبراهيم بن أدهم إذاصحبه أحد شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له

(فلسنا نحبهم) أى حقنا أن نحبهم وإن لم نكن منهم وفى ذلك دلالة على أنه ينبغى للعبد إذا وجد نقصا فى غيره أن يردّه إلى نفسه وعلى أنه حق على المتكافئين أن ينبه كل صاحبه فيما يحتاج إلى التنبيه فيه برفق وحسن سياسة (فى هذا الأمر) أى الارتفاق بأن يأخذ العبد الأموال من الظلمة أوغيرهم ممن لايتتبعون الشريعة فى معاملتهم

وأن تكون يده فى جميع مايفتح الله تعالى عليهم من الدنيا كيدهم فقال له يوما رجل من أصحابه أنا لاأقدر على هذا فقال أعجبنى صدقك وقال يوسف بن الحسين قلت لذى النون مع من أصحب؟ فقال مع من لاتكتمه شيئا يعلمه الله تعالى منك . وقال سهل بن عبد الله لرجل إن كنت ممن يخاف السباع فلاتصحبنى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن العلوى يقول حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال حدثنا أبو القاسم بن منبه قال سمعت بشر بن الحرث يقول : صحبة الأشرار توجب سوء الظن بالأخيار . وحكى الجنيد قال لما دخل أبوحفص بغداد كان معه إنسان أصلع لايتكلم بشىء فسألت أصحاب أبى حفص عن حاله فقالوا هذا رجل أنفق عليه مائة ألف درهم واستدان مائة ألف درهم أنفقها عليه ولا يرخص أبوحفص له أن يتكلم بحرف وقال ذوالنون لاتصحب مع الله تعالى إلا بالموافقة ولامع الخلق إلابالمناصحة ولامع النفس إلابالمخالفة ولامع الشيطان إلا بالعداوة . وقال رجل لذى النون مع من أصحب ؟ فقال : مع من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عليك . سمعت الأستاذ أبا على يقول : الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكنه لايثمر كذاك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لايجىء منه شىء ، وكان الأستاذ أبو على يقول : أخذت هذا الطريق عن النصراباذى والنصراباذى عن الشبلى والشبلى عن الجنيد والجنيد عن السرى والسرى عن معروف الكرخى ومعروف الكرخى عن داود الطائى وداود الطائى لقى التابعين . وسمعته رحمه الله تعالى يقول : لم أختلف إلى مجلس النصراباذى قط إلا اغتسلت قبله قال الأستاذ أبو القاسم ولم أدخل على الأستاذ أبى على فى وقت بدايتى إلا صائما وكنت أغتسل قبله وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاما منه أن أدخل عليه فاذا تجاسرت مرة ودخلت كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر حتى لو غرز فى إبرة مثلا لعلى كنت لاأحس بها ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسئلة فكما كنت أجلس كان يبتدىء بشرح واقعتى وغير مرة رأيت منه هذا عيانا وكنت أفكر فى نفسى كثيرا أنه لو بعث الله عز وجل فى وقتى رسولا إلى الخلق هل يمكننى أن أزيد فى حشمته على قلبى فوق ما كان منه رحمه الله تعالى فكان لايتصوّر لى أن ذلك ممكن ولاأذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ثم كونى معه بعد حصول الوصلة أن جرى فى قلبى أوخطر ببالى عليه قط اعتراض إلى أن خرج رحمه الله تعالى من الدنيا . أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى قال أخبرنا محمد بن أحمد العبدى قال حدثنا أبوعوانة قال حدثنا يونس قال حدثنا خلف بن تميم أبوالأحوص عن محمد بن النضر الحارثى قال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام كن يقظانا مرتادا لنفسك أخدانا وكل خدن لايؤاتيك على مسرة فاقصه ولا تصحبه فانه يقسى قلبك وهو لك عدو وأكثر من ذكرى تستوجب على شكرى والمزيد من فضلى . سمعت أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت عبدالله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر الطمستانى يقول اصحبوا مع الله تعالى فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله تعالى لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله عزّ وجل .

(ولايرخص أبوحفص له أن يتكلم بحرف) لما رآه فى حقه من أن السكوت أفضل له وأجمع لهمه وأبعد من رؤية نفسه ولخوفه عليه أن تبدو منه كلمة يشير بها إلى ماأنفقه فيسقط من عينه وربما كان الغالب عليه آفة لسانه فمنعه النطق بالكلية وآفة اللسان أعظم الآفات فمن قوى على الخلاص منها قوى على ما هو دونها ويؤيده خبر «وهل يكبّ الناس على وجوههم وروى مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» .

باب التوحيد

قال الله عزّ وجل ـ و إلهكم إله واحد ـ أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا أحمد بن محمود بن حرزاذ قال حدثنا مسيح بن حاتم العكلى قال حدثنا الحجبى

عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا حماد بن يزيد عن سعيد بن سعيد بن حاتم العتكى عن ابن أبى صدقة عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيرا قط إلا التوحيد فقال لأهله إذا مت فأحرقونى ثم اسحقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فى يوم ريح ففعلوا فقال الله عز وجل للريح أدى ما أخذت فاذا هو بين يديه فقال له ما حملك على ماصنعت فقال استحياء منك فغفر له» . قال الأستاذ التوحيد هو الحكم بأن الله واحد والعلم بأن الشىء واحد أيضا توحيد يقال وحدته إذا وصفته بالوحدانية كما يقال شجعت فلانا إذا نسبته إلى الشجاعة ويقال فى اللغة وحد يحد فهو واحد ووحد ووحيد كما يقال فرد فهو فارد وفرد وفريد وأصل أحد وحد فقلبت الواو همزة والواو المفتوحة قد تقلب همزة كما تقلب المكسورة والمضمومة ومنه امرأة أسماء بمعنى وسماء من الوسامة ومعنى كونه سبحانه واحدا على لسان العلم قيل هو الذى لا يصح فى وصفه الوضع والرفع بخلاف قولك إنسان واحد لأنك تقول إنسان بلا يد ولا رجل فيصح رفع شىء منه والحق سبحانه أحدىّ الذات بخلاف اسم الجملة الحاملة وقال بعض أهل التحقيق معنى أنه واحد نفى القسيم لذاته ونفى التشبيه عن حقه وصفاته ونفى الشريك معه فى أفعاله ومصنوعاته والتوحيد ثلاثة: توحيد الحق للحق وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد والثانى توحيد الحق سبحانه للخلق وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحد وخلقه توحيد العبد والثالث توحيد الخلق للحق سبحانه وهو علم العبد بأن الله عز وجل واحد وحكمه واخباره عنه بأنه واحد فهذه جملة فى معنى التوحيد على شرط الإيجاز والتحديد واختلفت عبارات الشيوخ عن معنى التوحيد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سئل عن التوحيد فقال أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شىء صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصور فى نفسك شىء فالله عز وجل بخلافه وسمعته يقول سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت عبد الله بن صالح يقول قال الجريرى ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد . وسئل الجنيد عن التوحيد فقال إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وقال الجنيد إذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت إلى الحيرة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول ذلك ، وسئل الجنيد عن التوحيد فقال معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل . وقال الحصرى أصولنا فى التوحيد خمسة أشياء : رفع الحدث وإفراد القدم ، وهجر الاخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم وجهل . سمعت منصور ابن خلف المغربى يقول كنت فى صحن الجامع ببغداد يعنى جامع المنصور والحصرى يتكلم فى التوحيد فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء فقال أحدهما لصاحبه الذى يقول هذا الرجل علم التوحيد والتوحيد غيره يعنى كنت بين اليقظة والنوم وقال فارس التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام وأن الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا بكر بن شاذان يقول سمعت الشبلى يقول: التوحيد صفة الموحد حقيقة وحلية الموحد رسما . وسئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال أن يكون العبد شبحا بين يدى الله سبحانه

(فقال استحياء منك فغفر له) وعليه تحمل رواية الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مت فأحرقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فوالله لئن قدر الله على أى ضيق على فى المؤاخذة أو الحساب ليعذبنى عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به فأمر الله تعالى البر فجمع مافيه وأمر البحر فجمع مافيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك وأنت أعلم فغفر الله له »

تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته فى لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته فى حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته لقيام الحق سبحانه له فيما أراد منه وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون . وسئل البوشنجى عن التوحيد فقال غير مشبه الذات ولا منفى الصفات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا الحسن العنبرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول وقد سئل عن ذات الله عزّ وجلّ فقال ذات الله تعالى موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حدّ ولا إحاطة ولاحلول وتراه العيون فى العقبى ظاهرا فى ملكه وقدرته قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لاتدركه ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية ، وقال الجنيد أشرف كلمة فى التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه: سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته قال الأستاذ أبو القاسم : ليس يريد الصديق رضى الله عنه أنه لايعرف لأن عند المحققين العجز عجز عن الموجود دون المعدوم كالمقعد عاجز عن قعوده إذ ليس بكسب له ولافعل والقعود موجود فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لأنها ضرورية وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه فى الانتهاء ضرورية فالمعرفة الكسبية فى الابتداء وان كانت معرفة على التحقيق فلم يعدها الصديق رضى الله عنه شيئا بالإضافة إلى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن سعيد البصرى بالكوفة يقول سمعت ابن الأعرابى يقول قال الجنيد التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان وقطع المحاب وترك ماعلم وجهل وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع وقال يوسف بن الحسين من وقع فى بحار التوحيد لايزداد على ممرّ الأوقات إلا عطشا وقال الجنيد علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مفارق لعلمه وقال الجنيد علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون فى حواشيه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الأصبهانى يقول وقف رجل على الحسين بن منصور فقال من الحق الذى يشيرون إليه فقال معل الأنام ولايعتل وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلى يقول من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة لثقل ماحمله . سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سئل الشبلى فقيل أخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال ويحك من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن أشار إليه فهو ثنوى ومن أومأ إليه فهو عابد وثن ومن نطق فيه فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد وكل ماميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم وقال يوسف بن الحسين توحيد الخاصة أن يكون بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدى الله تعالى تجرى عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته فى بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسه لقيام الحق سبحانه له فى مراده منه فيكون كما هو قبل أن يكون فى جريان حكمه سبحانه عليه وقيل التوحيد للحق سبحانه والخلق طفيلى ، وقيل التوحيد إسقاط اليا آت لانقول لى وبى ومنى و إلى وقيل لأبى بكر الطمستانى ماالتوحيد فقال توحيد وموحد وموحد هذه ثلاثة قال رويم التوحيد محو آثار البشرية وتجرد الألوهية . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق

(فيكون كما كان قبل أن يكون) فى أنه لاحركة ولاإرادة والمراد بماذكره أن حق العبد أن يكون راضيا بما يجريه الله عليه مما يرضاه له وتشهد بصحته الشريعة وربه حينئذ لكمال حفظه ومحبته له لايجرى عليه إلا ماينفعه (ظاهرا فى ملكه وقدرته) لابالإحاطة فلا يرى رؤية الأشباح وإنما يرى على ماهو عليه من جلاله وعظمته وتنزهه عن مشابهة الغير (والعقول لاتدركه) إدراك إحاطة بل إدراكا بوجه ما

يقول فى آخر عمره وكان قد اشتدت به العلة فقال من أمارات التأييد حفظ التوحيد فى أرقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا إلى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة فى إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت شاكر حامد وقال الشبلى ماشم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد وقال أبو سعيد الخراز أول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل وقال الشبلى لرجل أتدرى لم لايصح توحيدك فقال لا قال لأنك تطلبه بك وقال ابن عطاء علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القائم به واحدا ويقال من الناس من يكون فى توحيده مكاشفا بالأفعال يرى الحادثات بالله تعالى ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل إحساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سرا بسر وظاهره بوصف التفرقة. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن محمد القزوينى يقول سمعت القناد يقول سئل الجنيد عن التوحيد فقال سمعت قائلا يقول :

وغنى لى منى قلبى وغنيت كما غنى وكنا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنا

فقال السائل أهلك القرآن والأخبار فقال لا ولكن الموحد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره .

باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا

قال الله تعالى - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين - يعنى طيبة نفوسهم ببذلهم مهجهم لاينقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم. أخبرنا عبدالله بن يوسف الأصبهانى قال أخبرنا أبوالحسن على بن محمد بن عقبة الشيبانى بالكوفة قال حدثنا الخضر بن أبان الهاشمى قال حدثنا أبوهدبة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة» أخبرنا الشيخ أبوعبد الرحمن السلمى قال حدثنا أبو العباس الأصم قال حدثنا الخضر بن أبان الهاشمى قال حدثنا سوار قال حدثنا جعفر عن ثابت عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجو وأمنه مما يخاف» قال الأستاذ اعلم أن أحوالهم فى حال النزع مختلفة فبعضهم الغالب عليه الهيبة وبعضهم الغالب عليه الرجاء ومنهم من كشف له فى تلك الحالة ماأوجب له السكون وجميل الثقة . حكى أبو محمد الجريرى قال كنت عند الجنيد فى حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن ختم فقلت فى هذه الحالة ياأبا القاسم فقال ومن أولى منى بذلك وهو ذا تطوى صحيفتى . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول بلغنى عن أبى محمد الهروى أنه قال مكثت عند الشبلى الليلة التى مات فيها فكان يقول طول ليله هذين البيتين :

كل بيت أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

وحكى عن عبد الله بن منازل أنه قال إن حمدون القصار أوصى إلى أصحابه أن لايتركوه فى حال الموت بين النسوان وقيل لبشر الحافى وقد احتضر كأنك ياأبا نصر تحب الحياة فقال القدوم على الله عز وجل شديد وقيل كان سفيان الثورى إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر تأمر بشغل يقول إن وجدت الموت فاشتره لى فلما قربت وفاته كان يقول كنا نتمناه فاذا هو شديد . وقيل لما حضرت

(من تصور عنده التوحيد) لأن كمال التوحيد أن يشتغل العبد بالله شغلا ينسيه غير الله تعالى ومن جملته توحيده فمتى تصوره لم يستغرق فى كمال توحيده (لأنك تطلبه بك) لابالله فان طلبته به صح توحيدك وأصل كل خير وكل مقام رفيع أن يخلص فيه العبد لربه ويتبرأ من حوله وقوته فلا يلتفت لنفسه ولا لكسبه ولهذا قال تعالى - وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين - (أن لايتركوه بين النسوان) لتشويشهن عليه بالصياح والعويل ونحوهما وهذا من كمال تثبته ومراقبته وبعده عن المشوشات وقت الحاجة إلى التثبت فان العبد إذا حضره الموت عند من يذكره الخيرات ويحسن ظنه بالله ويتلو عنده القرآن مات على أحسن الأحوال بخلافه مع حضور النساء فانهن كل ما اطلعن عليه من كرب وشدة نحن عليه بالويل والثبور ووقع منهن ما لايرضى الرحيم الغفور

الحسن بن علىّ بن أبى طالب الوفاة بكى ، فقيل له مايبكيك؟ فقال أقدم على سيد لم أره ، ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته : واحزناه ، فقال: بل واطرباه غدا نلقى الأحبة ، محمدا وحزبه . وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ، وقيل كان مكحول الشامى الغالب عليه الحزن فدخلوا عليه فى مرض موته وهو يضحك فقيل له فى ذلك فقال ولم لاأضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره ، وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وآمله . وقال رويم : حضرت وفاة أبى سعيد الخراز وهو يقول فى آخر نفسه :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسرّ
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
همومهم جوالة بمعسكر ... به أهل ودّ الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبهم ... وماعرجوا عن مسّ بؤس ولاضرّ

وقيل للجنيد إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال : لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقا . وقال بعضهم وقد قربت وفاته : ياغلام اشدد كتافى وعفر خدى ثم قال دنا الرحيل ولا براءة لى من ذنب ، ولاعذر أعتذر به ، ولا قوّة أنتصر ، أنت لى أنت لى ثم صاح صيحة ومات فسمعوا صوتا استكان العبد لمولاه فقبله ، وقيل لذى النون المصرى عند موته ماتشتهى قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة ، وقيل لبعضهم وهو فى النزع قل الله فقال إلى متى تقولون وأنا محترق بالله تعالى ، وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى فقدم فقير وقال سلام عليكم ، فردّوا عليه السلام فقال هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه ، قال فأشاروا عليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدّد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله عز وجل ومضى إلى المكان الذى أشاروا إليه ومدّ رجليه ومات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول كان أبو العباس الدينورى يتكلم يوما فى مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتى فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد متّ ووقعت ميتة ، وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى عند وفاته فقيل له كيف تجد العلة فقال سلوا العلة عنى كيف تجدنى فقيل قل لاإله إلاالله فحوّل وجهه إلى الجدار وقال أفنيت كلى بكلك هذا جزاء من يحبك ، وقيل لأبى محمد الدبيلى وقد حضرته الوفاة قل لاإله إلا الله فقال هذا شىء قد عرفناه وبه نفنى ، ثم أنشأ يقول :

تسربل ثوب التيه لما هويته ... وصدّ ولم يرضى بأن أك عبده

وقيل للشبلى عند وفاته قل لاإله إلا الله ، فقال :

قال سلطان حبه أنا لاأقبل الرشا ... فسلوه بحقه لم بقتلى تحرشا

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت بعض الفقراء يقول : لما مات يحيى الاصطخرى جلسنا حوله ، فقال له رجل منا قل أشهد أن لاإله إلا الله فجلس مستويا ثم أخذ بيد واحد منا وقال قل أشهد أن لاإله إلا الله ثم أخذ بيد آخر حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات . ويحكى عن فاطمة أخت أبى علىّ الروذبارى أنها قالت لما قرب أجل أخى أبى علىّ الروذبارى وكان رأسه فى حجرى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت ، وهذه الجنان قد زينت ، وهذا قائل يقول لى : يا أبا علىّ قد بلغناك الرتبة القصوى و إن لم ترضها ، ثم أنشأ يقول :

(فجلس مستويا الخ) فهم رحمه الله من قول من قال منهم قل لاإله إلا الله أنهم يعتقدون غفلته عن ربه بشغله بألمه فأخذ يذكرهم واحدا واحدا بذلك و يبين لهم أنه أشدّ منهم يقظة وحضورا بذلك

وحقك لانظرت إلى سوا كا بعين مودّة حتى أرا كا
أراك معذبى بفتور لحظ وبالخدّ المورّد من جنا كا

ثم قال يافاطمة الأوّل ظاهر والثانى فيه إشكال . سمعت بعض الفقراء يقول : لما قربت وفاة أحمد ابن نصر رحمه الله تعالى قال له واحد قل أشهد أن لا إله إلا الله فنظر إليه وقال له لاتترك الحرمة بالفارسية بى حرمتى مكن . وقال بعضهم : رأيت فقيرا يجود بنفسه غريبا والذباب على وجهه فجلست أذبّ الذباب عن وجهه ففتح عينيه وقال من هذا ؟ أنا منذ كذا سنة فى طلب وقت يصفو لى فلم يبق إلا الآن جئت أنت توقع نفسك فيه مرّ عافاك الله تعالى . وقال أبو عمران الاصطخرى : رأيت أبا تراب فى البادية قائما ميتا لايمسكه شىء . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول : كان سبب وفاة أبى الحسين النورى أنه سمع هذا البيت :

لازلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فتواجد النورى وهام فى الصحراء فوقع فى أجمة قصب وقد قطعت وبقى أصولها مثل السيوف فكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران فتورّمت قدماه ومات . وحكى أنه قيل له عند النزع قل لاإله إلا الله فقال أليس إليه أعود . وقيل : مرض إبراهيم الخوّاص فى المسجد الجامع بالرى وكانت به علة الإسهال وكان إذا قام مجلسا يدخل الماء ويتوضأ فدخل الماء مرة فخرجت روحه . سمعت منصورا المغربى يقول : دخل عليه يوسف بن الحسين عائدا له بعد ماأتى عليه أيام لم يعده ولم يتعهده فلما رآه قال للخوّاص أتشتهى شيئا ؟ قال نعم قطعة كبد مشوى قال الأستاذ أبو القاسم لعلّ الإشارة فيه أنه أراد أشتهى قلبا يرقّ لفقير وكبدا تشتوى وتحترق لغريب لأنه كالمستجفى ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده . وقيل : كان سبب موت ابن عطاء أنه دخل على الوزير فكلمه الوزير بكلام غليظ فقال ابن عطاء اهدأ يارجل فأمر فضرب بخفه على رأسه فمات منه . سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت عبدالله بن على التميمى يقول سمعت أبا بكر الدقى يقول : كنا عند أبى بكر الزقاق بالغداة فقال إلهى كم تبقينى ههنا فما بلغ الغداة الأولى حتى مات . وحكى عن أبى على الروذبارى أنه قال : رأيت فى البادية حدثا فلما رآنى قال أما يكفيه أن شغفنى بحبه حتى علنى ثم رأيته يجود بنفسه فقلت له قل لا إله إلاالله فأنشأ يقول :

أيامن ليس لى عنه وإن عذّبنى بدّ
ويامن نال من قلبى منالا ماله حدّ

وقيل للجنيد : قل لاإله إلا الله ، فقال مانسيته فأذكره ، وقال :

حاضر فى القلب يعمره لست أنساه فأذكره
فهو مولاى ومعتمدى ونصيبى منه أوفره

سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول : سألت جعفر بن نصير بكران الدينورى وكان يخدم الشبلى ماالذى رأيت منه ؟ فقال قال لى علىّ درهم مظلمة وقد تصدّقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه ثم قال وضئنى للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال مانقولون وفى رجل لم يفته حتى فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسى يقول سمعت عاوشا الدينورى يقول سمعت الزين الكبير يقول : كنت بمكة حرسها الله تعالى فوقع بى انزعاج فخرجت أريد المدينة ، فلما وصلت

(فيه إشكال) على من من لم يعرف المراد به ويتوهم أنه راجع إلى ربه (عليه) أى على الخوّاص فى مرضه (مشوى) فى نسخة مشوية (انزعاج) أى تحرّك

إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح فعدلت إليه وهو ينزع فقلت له قل لا إله إلا الله ففتح عينيه وأنشأ يقول :

أنا إن متّ فالهوى حشو قلبي وبداء الهوى تموت الكرام

فشهق شهقة ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بى من إرادة السفر فرجعت إلى مكة حرسها الله تعالى . وقيل لبعضهم : أتحب الموت ؟ فقال القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شرّه . وحكى عن الجنيد أنه قال : كنت عند أستاذى ابن الكرنبى وهو يجود بنفسه فنظرت إلى السماء فقال بعد ثم نظرت إلى الأرض فقال بعد يعنى أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض بل هو وراء المكان . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سمعت بعض أصحابنا يقول قال أبو يزيد عند موته : ماذكرتك إلا عن غفلة ولا قبضتنى إلا على فترة . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فقالوا كنا فى جنازة فتى سمع قائلا يقول :

كبرت همة عبد طمعت فى أن يرا كا

فشهق شهقة ومات . وقيل دخل جماعة على ممشاد الدينورى فى مرضه فقالوا مافعل الله بك وماصنع ؟ فقال منذ ثلاثين سنة تعرض علىّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى ، وقالوا له عند النزع كيف تجد قلبك ؟ فقال منذ ثلاثين سنة فقدت قلبى . سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على النميمى يقول : قال الوجيهى كان سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه شىء فهام على وجهه فلحقوه فى وسط متاهة بنى إسرائيل فى الرمل ففتح عينيه وقال ارتع فهذا مرتع الأحباب وخرجت روحه . وقال أبو يعقوب النهرجورى : كنت بمكة حرسها الله تعالى فجاءنى فقير معه دينار فقال إذا كان غدا فأنا أموت فأصلح لى بنصف هذا قبرا والنصف الثانى لجهازى فقلت فى نفسى دوخل الشاب فانه قد أصابه فاقة الحجاز فلما كان الغد جاء ودخل الطواف ثم مضى وامتدّ على الأرض فقلت هوذا يتموت فذهبت إليه فحركته فاذا هو ميت فدفنته كما أمر . وقيل : لما تغيرت الحال على أبى عثمان الحيرى مزّق ابنه أبو بكر قميصا ففتح أبو عثمان عينيه وقال يابنىّ إن خلاف السنة فى الظاهر من رياء فى الباطن . وقيل دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم فأبطأ فى الجواب ثم ردّ وقال اعذرنى فلقد كنت فى وردى ثم مات ، وحكى أبو على الروذبارى قال : قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت عن وجهه لأضعه فى التراب ليرحم الله عزّ وجلّ غربته ففتح عينيه وقال يا أبا على أتذللنى بين يدى من دللنى فقلت ياسيدى أحياة بعد موت فقال لى بل أنا حىّ وكل محب لله عزّ وجلّ حىّ لا يضرنك غدا بجاهى ياروذبارى . ويحكى عن ابن سهل الأصفهانى أنه قال : أترون أنى أموت كما يموت الناس مرض وعيادة إنما أدعى فيقال ياعلى فأجيب فكان يمشى يوما فقال لبيك ومات . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزين قال : لما مرض أبو يعقوب النهرجورى مرض وفاته قلت له وهو فى النزع قل لا إله إلا الله فتبسم إلىّ وقال إياى تعنى ؟ وعزّة من لا يذوق الموت مابينى وبينه إلا حجاب العزّة وانطفأ من ساعته فكان المزين يأخذ بلحيته ويقول حجام مثلى يلقن أولياء الله تعالى الشهادة واخجلتاه منه ، وكان يبكى إذا ذكر هذه الحكاية . وقال أبو الحسين المالكى : كنت أصحب خيرا النساج سنين كثيرة فقال لى قبل موته بثمانية أيام أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة

(سكن ما كان بى الخ) هذا من جملة اعتناء الله بالمزين حيث خلق له خاطر الانزعاج فى السفر إلى المدينة وكان المراد منه أن يتولى أمر هذا الشاب الذى رآه وسمع منه ماقال حتى أعلمه الله أنه من محبيه فان سبب قتله وضنى جسمه المحبة فعرّف الله المزين فضله عليه حيث أزعجه إلى أن واراه التراب (بعد) أى هذا بعد (وراء المكان) أى قبله (فقال لى بل الخ) هذا من خرق العوائد أيضا أعنى الكلام بعد الموت وقد جرى مثله فى الصحابة ، وفائدة هذه الحكاية تعريف الروذبارى، أن الأولياء مخفيون فى الفقراء لتزداد رغبته فى مساعدتهم والقيام بحقوقهم

قبل الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال أبو الحسين فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من أخبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون يدفن بعد الصلاة فلم أنصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال فسألت من حضر وفاته فقال إنه غشي عليه ثم أفاق ثم التفت إلى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فانما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور الذي أمرت به لايفوتك والذي أمرت به يفوتني فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى ثم تمدد وغمض عينيه فرؤي في المنام بعد موته فقيل له كيف حالك؟ فقال لاتسل لكني تخلصت عن دنيا كم الوضرة . وذكر أبو الحسين الحمصي مصنف كتاب بهجة الأسرار أنه لما مات سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته وكان في البلد يهودي نيف على السبعين فسمع الضجة فخرج لينظر ما كان فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال أترون ماأرى فقالوا لا إيش ترى فقال أرى أقواما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ثم إنه تشهد وأسلم وحسن إسلامه . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت أبا جعفر بن قيس بمصر يقول سمعت أباسعيد الخراز يقول كنت بمكة حرسها الله تعالى فجزت يوما بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي ياأباسعيد أما علمت أن الأحباء أحياء و إن ماتوا و إنما ينقلون من دار إلى دار . وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول بلغني أنه قيل لذي النون المصري عند النزع أوصنا فقال لاتشغلوني فاني متعجب من محاسن لطفه . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول سمعت أبا عثمان الحيري يقول سئل أبوحفص في حال وفاته ما الذي تعظنا به فقال لست أقوى على القول ثم رأى من نفسه قوة فقلت له قل حتى أحكي عنك فقال الانكسار بكل القلب على التقصير .

باب المعرفة بالله

قال الله تعالى ـ وما قدروا الله حق قدره ـ جاء في التفسير وماعرفوا الله حق معرفته . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل قال حدثنا محمد بن القاسم العتكي قال حدثني محمد بن أشرس قال حدثنا سليمان بن عيسى الشجري عن عباد بن كثير عن حنظلة بن أبي سفيان عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع فقلت بأبي أنت وأمي ماالعقل القامع قال الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله عز وجل » قال الأستاذ المعرفة على لسان العلماء هو العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وكل عالم بالله تعالى عارف وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله تعالى في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عندذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وفي الجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل وقد تكلم المشايخ في المعرفة فكل نطق بماوقع له وأشار إلى ما وجده في وقته . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه

(الوضرة) أي الفاسدة

[باب المعرفة بالله]

هي تحقيق العلم باثبات الوحدانية ويقال نسيان غير الله ويقال غير ذلك وسيأتي بعضه وهي ممدوحة ومطلوبة (عن نفسه) وعن سائر المخلوقات فلا يطلقون العارف إلا على من توالى عليه العلم بالله وصفاته والنظر في مصنوعاته وغلب عليه ذلك بحيث صار حالا له حتى قالوا من عرف الله كل لسانه أي شغلته معرفته به عن ذكر غيره

الله

الله تعالى يقول : من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته . وسمعته يقول : المعرفة توجب السكينة فى القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن محمد بن زيد يقول سمعت الشبلى يقول ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار ولا لأحد من الله عز وجل فرار ، وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن عبدالوهاب يقول سمعت الشبلى يقول وقد سئل عن المعرفة فقال : أولها الله تعالى وآخرها مالانهاية له . وسمعته يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا العباس الدينورى يقول قال أبوحفص منذ عرفت الله تعالى مادخل قلبى حق ولاباطل . قال الأستاذ أبو القاسم : وهذا الذى أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال وأجل مايحتمله أن عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عليه فلا يشهد غير الله عز وجل ولا يرجع إلى غيره فكما أن العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه فاذا لم يكن مشتغلا إلابربه تعالى لم يكن راجعا إلى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لاقلب له ، وفرق بين من عاش بقلبه و بين من عاش بربه عز وجل . وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال- إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة- قال الأستاذ : هذا معنى ماأشار إليه أبو حفص . وقال أبو يزيد للخلق أحوال ولاحال للعارف لأنه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره وغيبت آثاره بآثار غيره . وقال الواسطى : لاتصح المعرفة وفى العبد استغناء بالله وافتقار إليه قال الأستاذ : أراد الواسطى بهذا أن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد و بقاء رسومه لأنهما من صفاته ، والعارف محو فى معروفه فكيف يصح له ذلك وهو لاستهلاكه فى وجوده أو لاستغراقه فى شهوده إن لم يبلغ الوجود مختطف عن إحساسه بكل وصف هو له ، ولهذا قال الواسطى أيضا : من عرف الله تعالى انقطع بل خرس وانقمع . قال صلى الله عليه وسلم «لاأحصى ثناء عليك» هذه صفات الذين بعد مرماهم ، فأما من نزلوا عن هذا الحد فقدتكلموا فى المعرفة وأكثروا . أخبرنا محمد بن الحسين قال حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازى قال حدثنا عباس بن حمزة قال سمعت أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكى يقول : من كان بالله أعرف كان له أخوف وقال بعضهم من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء وضاقت عليه الدنيا بسعتها . وقيل من عرف الله تعالى صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شىء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله تعالى . وقيل من عرف الله تعالى ذهب عنه رغبة الأشياء وكان بلافصل ولاوصل وقيل المعرفة توجب الحياء والتعظيم كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم وقال رويم المعرفة للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه وقال ذو النون المصرى ركضت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا صلى الله عليه وسلم أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال وقال ذو النون المصرى معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك و يحلم عنك تخلقا بأخلاق الله عز وجل وسئل بن يزدانيار متى يشهد العارف الحق سبحانه فقال إذا بدا الشاهد وفنى الشواهد وذهب الحواس واضمحل الإخلاص وقال الحسين بن منصور إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخواطره وحرس سره أن يسنح فيه غير خاطر الحق وقال علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة . وقال سهل بن عبد الله : المعرفة غايتها شيئان : الدهش والحيرة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل

(طرف من الإشكال) لأن من عرف الله لايستغنى عن النظر فى عبادته ليوقعها بحسب ماطلب وهذا حق ولابد من دخوله قلبه والشيطان عدو له لايسكت عنه وذلك باطل ولابد أن يدركه بقلبه ثم يتقيه (وضاقت عليه الدنيا بسعتها) فقد حكى الله تعالى عن كعب بن مالك وأصحابه لما تخلفوا عن غزوة تبوك وهجروا إلى أن نزل فيهم قرآن أنهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه وذلك لمعرفتهم بالله وعظمته وعظمة رسوله وتخلفهم عن الجهاد مع رسوله فكل من عرف الجليل العظيم لايحتمل قلبه الاشتغال بغيره ولا البعد عنه .

يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول أعرف الناس بالله تعالى أشدهم تحيرا فيه . وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنطاكى يقول قال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون إن ترك الحركات من باب البرّ والتقوى فقال الجنيد إن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهو عندى عظيم والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا فان العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإلى الله تعالى رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة وقيل لأبى يزيد بماذا وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار ، وقال أبو يعقوب النهرجورى قلت لأبى يعقوب السوسى هل يتأسف العارف على شىء غير الله عز وجل فقال وهل يرى غيره فيتأسف عليه قلت فبأى عين ينظر إلى الأشياء فقال بعين الفناء والزوال وقال أبو يزيد العارف طيار والزاهد سيار ، وقيل العارف تبكى عينه ويضحك قلبه وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظلّ كل شىء وكالمطر يسقى مايحب وما لايحب . وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيئين بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه عزّ وجلّ وقال أبو يزيد إنما نالوا المعرفة بتضييع مالهم والوقوف مع ماله . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت يوسف بن على يقول لايكون العارف عارفا حقا حتى لو أعطى مثل ملك سليمان عليه السلام لم يشغله عن الله عزّ وجلّ طرفة عين . وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت بن عطاء يقول المعرفة على ثلاثة أركان الهيبة والحياء والأنس . وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول قيل لذى النون المصرى بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى ، وقيل العالم يقتدى به والعارف يهتدى به وقال الشبلى العارف لايكون لغيره لاحظا ولا بكلام غيره لافظا ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظا وقيل العارف أنس بذكر الله تعالى فأوحشه من خلقه وافتقر إلى الله تعالى فأغناه عن خلقه وذلّ لله تعالى فأعزه فىّ ، وقال أبو الطيب السامرى المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار وقيل العارف فوق مايقول والعالم دون مايقول وقال أبو سليمان الدارانى إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لايفتح لغيره وهو قائم يصلى وقال الجنيد العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت وقال ذو النون لكل شىء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول سمعت رويما يقول رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . وقال أبو بكر الوراق سكوت العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وقال ذو النون الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء لون إنائه يعنى أنه بحكم وقته . وسئل أبو يزيد عن العارف فقال لايرى فى نومه غير الله تعالى ولافى يقظته غير الله تعالى ولايوافق غير الله تعالى ولايطالع غير الله تعالى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله ابن محمد الدمشقى يقول سئل بعض المشايخ بم عرفت الله تعالى فقال بلمعة لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود ولفظة جرت على لسان هالك مفقود يشير إلى وجد ظاهر ويخبر عن سر ساتر هو هو بما أظهره وغيره بما أشكله ثم أنشد :

نطقت بلا نطق هو النطق إنه ... لك النطق لفظا أو يبين عن النطق
تراءيت كى أخفى وقد كنت خافيا ... وألمعت لى برقا فأنطقت بالبرق

(السامرى) بفتح الميم وتشديد الراء (طلوع الحق) أى ظهوره وغلبته (على محل الأسرار) وهو قلب العبد (بمواصلة الأنوار) أى بتوالى أنوار معرفته عليه حتى لاينساه فى شىء من حالاته (فوق مايقول) إذ لاقدرة له على تعبيره عن جميع مقاماته وأحواله لقصور العبارة عنه كما تقصر عن الفرق بين روائح المحسوسات كرائحة الزبد ورائحة المسك وحلاوة العسل وحلاوة السكر وحموضة النارنج وحموضة الليمون وإذا قصرت العبارة عن ذلك فعما يواليه الله ويفتح به على قلوب العارفين أولى

وسمعته

وسمعته يقول سمعت على بن بندار الصيرفى يقول سمعت الجريرى يقول سئل أبو تراب عن صفة العارف فقال الذى لا يكدره شىء ويصفو به كل شىء . وسمعته يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول العارف تضىء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول العارف مستهلك فى بحار التحقيق كما قال قائلهم المعرفة أمواج تغط وترفع وتحط . وسئل يحيى بن معاذ عن العارف فقال رجل كائن بائن ومرة قال كان فبان وقال ذو النون علامة العارف ثلاثة لايطفىء نور معرفته نور ورعه ولايعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل عليه على هتك أستار محارم الله تعالى. وقيل ليس العارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتى من عين الجود وبذل المجهود . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت جعفرا يقول سئل الجنيد عن قول ذى النون المصرى فى صفة العارف كان ههنا فذهب فقال الجنيد العارف لاتحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن التنقل فى المنازل فهو مع أهل كل مكان بمثل الذى هو فيه يجد مثل الذى يجدون وينطق بمعالمها لينتفعوا بها . وسمعته يقول سمعت عبدالله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول المعرفة حياة القلب مع الله تعالى . وسمعته يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت الكتانى يقول سئل أبو سعيد الخراز هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء فقال نعم إنما البكاء فى أوقات سيرهم إلى الله تعالى فاذا نزلوا إلى حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك قال وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول المعرفة حياة للقلب مع الله تبارك وتعالى .

باب المحبة

قال الله عز وجل ـ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ـ أخبرنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسين قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحق قال حدثنا السلمى قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله تعالى لقاءه » أخبرنا أبو الحسين على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصرى قال حدثنا عبدالله بن أيوب قال حدثنا الحكم بن موسى قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا الحسن ابن يحيى عن صدقة الدمشقى عن هشام الكتانى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه وتعالى قال «من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وماترددت فى شىء كترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ من أداء ماافترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا » أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد ابن عبيد قال حدثنا عبيد بن شريك قال أخبرنا يحيى قال حدثنا مالك عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أحب الله عز وجل العبد قال لجبريل ياجبريل إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول فى الأرض وإذا أبغض الله عز وجل عبدا قال مالك لا أحسبه إلا قال فى البغض مثل ذلك» . قال الأستاذ المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه

بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه والمحبة على لسان العلماء هى الإرادة وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة فان الإرادة لاتتعلق بالقديم اللهم إلا أن يحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له ونحن . نذكر من تحقيق هذه المسئلة طرفا إن شاء الله تعالى فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لانعام مخصوص عليه كما أن رحمته له إرادة الانعام فالرحمة خاص من الإرادة والمحبة أخص من الرحمة فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والانعام تسمى رحمة و إرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة فإرادته سبحانه صفة واحدة فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا و إذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة و إذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق سبحانه للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته له على هذا القول إلى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله وهو إحسان مخصوص يلقى الله العبد به وحالة مخصوصة يرقيه إليها كما قال بعضهم إن رحمته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا محبته من الصفات الخبرية فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير فأما ماعدا هذه الجملة مما هو فى المعقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشيء والاستئناس بالشيء وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له و إيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج إليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة ميلا ولا اختطاطا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والإحاطة والمحب بوصف الاستهلاك فى المحبوب أولى منه بأن يوصف بالاختطاط ولا توصف المحبة بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة والاستقصاء فى المقال عند حصول الإشكال فاذا زال الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق فى شرح الكلام وعبارات الناس عن المحبة كثيرة وتكلموا فى أصلها فى اللغة فبعضهم قال الحب اسم لصفاء المودة لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان وقيل الحباب مايعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب وقيل إنه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه فسمى بذلك لأن المحبة غاية معظم مافى القلب من المهمات وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات يقال أحب البعير وهو أن يبرك فلا يقوم فكأن المحب لايبرح بقلبه عن ذكر محبوبه وقيل الحب مأخوذ من الحب وهو القرط قال الشاعر :

تبيت الحية النضناض منه ... مكان الحب يستمع السرارا

وسمى القرط حبا إما للزومه للأذن أو لقلقه وكلا المعنيين صحيح فى الحب وقيل هو مأخوذ من الحب والحب جمع حبة وحبة القلب مابه قوامه فسمى الحب حبا باسم محله وقيل الحب والحب كالعمر والعمر وقيل هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء وهى بزور الصحراء فسمى الحب حبا لأنه لباب الحياة كما أن الحب لباب النبات وقيل الحب هى الخشبات الأربع التى توضع عليها الجرة فسميت المحبة حبا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل وقيل هو من الحب الذى فيه الماء لأنه يمسك مافيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه وأما أقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم . وقيل المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب . وقيل موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب . وقيل محو المحب بصفاته و إثبات المحبوب بذاته . وقيل مواطأة القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع إقامة

(فان الإرادة) من العبد (لاتتعلق بالقديم) بناء على أن أثرها التخصيص فلا تتعلق بالقديم كما لاتتعلق بالمستحيل (اللهم إلا أن يحمل الخ) فيتضح تفسيرها بالإرادة (لانعام مخصوص عليه) أى لانعام على العبد مخصوص بدرجة رفيعة كحفظه وتقريبه له وعداوته لمن عاداه (ولا أقرب إلى الفهم من المحبة) فعدم وصفها بذلك أو تحديدها إما لعسره أو لكونها ضرورية كما قيل به فى تعريف العلم (والاستقصاء) أى الاستغراق والإمعان (فى شرح الكلام) على ذلك ومحبة العبد مختلفة فتارة تكون للحنو والشفقة كمحبة الوالد لولده وتارة تكون للنعم فيحب من أنعم الله عليه وتارة تكون للاتصاف بصفات جميلة كالعلم والكرم والشجاعة فيحب المتصف بها وإن لم يكن له عليه نعمة

الخدمة وقال أبو يزيد البسطامى : المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل : الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة ، وسئل الجنيد عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لايكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها . وقال أبو على الروذبارى : المحبة الموافقة ، قال أبو عبد الله القرشى حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء ، وقال الشبلى سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ماسوى المحبوب ، وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب على الدوام . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش ، وسمعته يقول العشق مجاوزة الحد فى المحبة والحق سبحانه لايوصف بأنه يجاوز الحد فلا يوصف بالعشق ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق سبحانه فلا يقال إن عبدا جاوز الحد فى محبة الله تعالى فلا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق ولا العبد فى صفته سبحانه بأنه يعشق فنفى العشق ولاسبيل له إلى وصف الحق سبحانه لامن الحق للعبد ولا من العبد للحق سبحانه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلى يقول المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك ، وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة فقال أغصان تغرس فى القلب فتثمر على قدر العقول ، وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء ، وسمعته يقول سمعت محمد بن على العلوى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت سمنونا يقول ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال «المرء مع من أحب» فهم مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة مالاينقص بالجفاء ، وقال يزيد بالبر ، وقال ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده . وقال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب ، وفى معناه سمعت الأستاذ أبا على ينشد :

إذا صفت المودة بين قوم ودام ودادهم سمج الثناء

وكان يقول : لاترى أبا شفيقا يبجل ابنه فى الخطاب والناس يتكلمون فى مخاطبته والأب يقول ياولدان ، وقال الكتانى المحبة الإيثار للمحبوب . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الأرجانى يقول سمعت بندار بن الحسين يقول رؤى مجنون بنى عامر فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك ؟ فقال غفرلى وجعلنى حجة على المحبين ، وقال أبو يعقوب السوسى حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل وينسى حوائجه إليه ، وقال الحسين بن منصور حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول قيل للنصراباذى ليس لك من المحبة شىء ؟ فقال صدقوا ولكن لى حسراتهم فهوذا أحترق فيه ، وسمعته يقول قال النصراباذى المحبة مجانبة السلو على كل حال ، ثم أنشد :

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة فانى من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شىء نلته من وصالها أمانى لم تصدق كلمحة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب ، وقال الجنيد المحبة إفراط الميل بلا نيل ، ويقال المحبة تشويش فى القلوب يقع من المحبوب ، ويقال المحبة فتنة تقع فى الفؤاد من المراد ، وأنشد ابن عطاء :

(إقامة العتاب على الدوام) كلام من المحب لمحبوبه يؤلف منه ماخشيت فرقته ويجبر مالاحت قطيعته (فلا يوصف بالعشق) وإن وصف بالمحبة لعدم الإذن فيه ولأنه إنما يكون لغائب والله لايغيب عنه شىء لأنه عالم بكل شىء ولايؤثر فى ذلك كون الوصف كمالا عادة فانا نصفه تعالى بأنه حكيم وكريم وعالم لأنه وصف نفسه بها ولانصفه بأنه مهندس وسخى أوفقيه أونحوى أو أصولى (ولا من العبد للحق) فلا الحق عشق عبده ولا العبد عشق الحق ولايخفى ما فى كلامه من التكرار

غرست لأهل الحب غصنا من الهوى ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلى
فأورق أغصانا وأينع صبوة وأعقب لى مرا من الثمر المحلى
وكل جميع العاشقين هواهم إذا نسبوه كان من ذلك الأصل

وقيل الحب أوله ختل وآخره قتل. سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله تعالى يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حبك للشىء يعمى ويصم » فقال يعمى عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة ثم أنشد :

إذا ما بدا لى تعاظمته فأصدر فى حال من لم يرد

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحرث المحاسبى يقول المحبة ميلك إلى الشىء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه . وسمعته يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا وقال الشبلى المحب إذا سكت هلك والعارف إن لم يسكت هلك وقيل المحبة نار فى القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب وقيل المحبة بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء وقال النورى المحبة هتك الأستار وكشف الأسرار وقال أبو يعقوب السوسى لاتصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة وقال جعفر قال الجنيد دفع السرى إلىّ رقعة وقال هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو فاذا فيها :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى لاتجيب المناديا
وتنحل حتى لايبقى لك الهوى سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

وقال ابن مسروق رأيت سمنونا يتكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها . سمعت محمد ابن الحسن يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت سمنونا وهو جالس فى المسجد يتكلم فى المحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ثم مات . وقال الجنيد كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة وقيل حبس الشبلى فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا محبوك يا أبا بكر فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا فقال إن ادعيتم محبتى فاصبروا على بلائى وأنشد الشبلى :

يأيها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يارافع النوم عن جفونى أنت بما مر بى عليم

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجورى يقول سمعت على بن عبيد يقول كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحوار السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج ويقول هل من مزيد وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت إلفى وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظنى ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

(ختل) بالمعجمة وإسكان المثناة أى مخادعة . يعنى معاملة الله عبده بالرفق وتوالى نعمه عليه (وآخره قتل) أى ألم وسقم لأن العبد إذا أحب الله ودامت معاملته له اطلع من صفاته تعالى على مايحثه على طلبه له ويشغله به عن غيره فاذا وجد اللذة فى كمال شغله ثم حجب عنها تألم وسقم (سرا وجهرا) على ماأمرك به ونهاك عنه (هلك) غما لأنه لا يقدر على النطق بكل ما يخلقه الله فى قلبه وربما نطق بما لا يفهم فكان فيه ضرره

وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إنى إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى . ورأيت بخط الأستاذ أبى على الدقاق رحمه الله تعالى : فى بعض الكتب المنزلة عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى كن لى محبا . وقال عبدالله بن المبارك : من أعطى شيئا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع . وقيل : المحبة مايمحو أثرك . وقيل : المحبة سكر لايصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لايوصف ، وأنشدوا :

فأسكر القوم دور كأس وكان سكرى من المدير

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ينشد كثيرا :

لى سكرتان وللندمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

وقال ابن عطاء : المحبة إقامة العتاب على الدوام . وكان للأستاذ أبى على جارية تسمى فيروز وكان يحبها إذ كانت قد خدمته كثيرا فسمعته يقول كانت فيروز تؤذينى يوما وتستطيل علىّ بلسانها فقال لها أبو الحسن القارئ لم تؤذين هذا الشيخ ؟ فقالت لأنى أحبه . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحبّ إلىّ من عبادة سبعين سنة بلا حب . وقيل إنّ شابا أشرف على الناس فى يوم عيد وقال :

من مات عشقا فليمت هكذا لاخير فى عشق بلاموت

وألقى نفسه من سطح عال فوقع ميتا . وحكى أن بعض أهل الهند عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل فى وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى فغمض التى لم تدمع أربعا وثمانين سنة ولم يفتحها عقوبة لها لأنها لم تبك على فراق حبيبته ، وفى معناه أنشدوا :

بكت عينى غداة البين دمعا وأخرى بالبكا بخلت علينا
فعاقبت التى بخلت بدمع بأن غمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم : كنا عند ذى النون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال ذوالنون كفوا عن هذه المسئلة لاتسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسى ء إذا تأله والحزن
والحب يجمل بالتقى وبالنقى من الدرن

وقال يحيى بن معاذ : من نشر المحبة عند غير أهلها فهو فى دعواه دعىّ . وقيل : ادّعى رجل الاستهلاك فى محبة شخص فقال له الشاب كيف هذا وهذا أخى أحسن منى وجها وأتمّ جمالا ؟ فرفع الرجل رأسه يلتفت وكانا على سطح فألقاه من السطح وقال هذا أجر من يدعى هوانا وينظر إلى سوانا . وكان سمنون يقدّم المحبة على المعرفة والأكثرون يقدّمون المعرفة على المحبة وعند المحققين المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة . وقال أبو بكر الكتانى : جرت مسئلة فى المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ماعندك ياعراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفا شربه من كأس ودّه وانكشف له الجبار من أستار غيبه فان تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرّك فبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا ماعلى هذا مزيد جبرك الله تعالى ياتاج العارفين . وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود إنى حرّمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى فيها . أخبرنا حمزة ابن يوسف السهمى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم قال حدّثنا هميم بن هام قال أخبرنا إبراهيم

(ملأته من حبى) أى محبتى لإعراضه عن المشغلات والشهوات (لايوصف) لعظمه فشغلك بالله عن غيرك من المخلوقين وأنت مدرك لسلوكك سكرة وشغلك به عن غيره حتى نفسك سكرة أخرى أعظم من تلك وهى محبة العارفين وتلك محبة العابدين والزاهدين (إقامة العتاب) أى الاعتذار لله تعالى من التقصير مع كمال الجدّ والتشمير (بأن غمضتها يوم التقينا) وفى نسخة بعد هذا :

وجازيت التى جادت بدمع بأن أفردتها بالحب عينا

ابن الحرث قال حدثنى عبد الرحمن بن عفان قال حدثنى محمد بن أيوب قال حدثنى أبو العباس خادم الفضيل بن عياض قال احتبس بول الفضيل فرفع يديه وقال اللهم بحبى لك إلا أطلقته عنى قال فما برحنا حتى شفى . وقيل: المحبة الإيثار كامرأة العزيز لما تناهت فى أمرها قالت ـ أنا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين ـ وفى الابتداء ـ قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ـ فوركت الذنب فى الابتداء عليه وفى الانتهاء نادت على نفسها بالخيانة . سمعت الأستاذ أبا على يقول ذلك . وحكى عن أبى سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله اعذرنى فان محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك فقال يامبارك من أحب الله تعالى فقد أحبنى ، وقيل قالت رابعة فى مناجاتها : إلهى أتحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظنّ السوء . وقيل الحب حرفان حاء و باء فالإشارة فيه أن من أحب فليخرج عن روحه و بدنه وكالإجماع من إطلاقات القوم أن المحبة هى الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقلب والمحبة توجب انتفاء المباينة ، فان المحب أبدا مع محبوبه و بذلك ورد الخبر : حدثنا الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا القاضى أحمد بن محمود بن حرزاذ قال حدثنا الحسين بن حماد بن فضالة قال حدثنا يحيى بن حبيب قال حدثنا مرحوم ابن عبد العزيز عن سفيان الثورى عن الأعمش عن أبى وائل عن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له « إن الرجل ليحب القوم ولما يلحق بهم فقال : المرء مع من أحب» سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أبا حفص يقول أكثر فساد الأحوال من ثلاثة فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان فسق العارفين إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله عز وجل فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عز وجل ورؤيته ، وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا القاسم الجوهرى يقول سمعت أبا على نمشاد بن سعيد العكبرى يقول راود خطاف خطافة فى قبة سليمان عليه السلام فامتنعت عليه فقال لها لم تمتنعين علىّ و إن شئت قلبت القبة على سليمان فدعاه سليمان عليه السلام وقال له ماحملك على ماقلت فقال يانبى الله إن العشاق لايؤاخذون بأقوالهم فقال صدقت .

باب الشوق

قال الله عزّ وجل ـ من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت ـ أخبرنا على بن أحمد بن عبدان الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال أخبرنا ابن أبى قماش قال أخبرنا إسمعيل بن زرارة عن حماد بن يزيد قال أخبرنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقلت خففت أبا اليقظان فقال وماعلى من ذلك ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ماعلمت الحياة خيرا لى وتوفنى ماعلمت الوفاة خيرا لى اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الغنى والفقر وأسألك نعيما لايبيد وقرة عين لاتنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء و برد العيش بعد الموت وأسألك النظر إلى وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولافتنة مضلة اللهم زينا

(فما برحنا) أى زلنا (حق شفى) استجاب الله دعاءه حيث تفضل عليه باطلاق بوله كما تفضل عليه بماوهبه له من محبته العظمى (فقد أحبنى) لأن من أحبّ محبوبا وكمل حبه له أحب من أحبه المحبوب فلو كمل نظرك لأحبيتنى أشد المحبة لأنى حبيب المحبوب . لفظة (يامبارك) تستعمل فيمن قصر نظره بعض القصور (فلاتظنى بناظن السوء) فى ذلك تنبيه على طلب حسن الظن بالله فانه لايخلف الميعاد ولو أراد بالمحب العذاب لما خلق له المحبة (ضراء مضرة) بالإضافة وضم الميم

بزينة الإيمان اللهم اجعلنا هداة مهتدين قال الأستاذ: الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يفرق بين الشوق والاشتياق و يقول الشوق يسكن باللقاء والرؤية والاشتياق لايزول باللقاء وفى معناه أنشدوا :

مايرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لايرى له أثر ولاقرار وقيل جاء أحمد ابن حامد الأسود إلى عبد الله بن المبارك فقال : رأيت فى المنام أنك تموت إلى سنة فلو استعددت للخروج فقال له عبد الله بن المبارك لقد أجلتنا إلى أمد بعيد أعيش أنا إلى سنة لقد كان لى أنس بهذا البيت الذى سمعته من هذا الثقفى يعنى أبا على :

يامن شكا شوقه من طول فرقته اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال أبو عثمان علامة الشوق حب الموت مع الراحة وقال يحيى بن معاذ علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : خرج داود عليه السلام يوما إلى بعض الصحارى منفردا فأوحى الله تعالى إليه مالى أراك ياداود وحدانيا فقال يا إلهى استأثر الشوق إلى لقائك على قلبى فحال بينى و بين صحبة الخلق فأوحى الله تعالى إليه ارجع إليهم فانك إن أتيتنى بعبد آبق أثبتك فى اللوح المحفوظ جهبذا . وقيل كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر فأظهر قومها السرور والعجوز تبكى فقيل لها مايبكيك؟ فقالت ذكرنى قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى ، وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال : احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد . وسئل أيضا عن الشوق فقيل له الشوق أعلى أم المحبة ؟ فقال المحبة لأن الشوق منها يتولد . وقال بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسنح عن الفرقة فاذا وقع اللقاء طفىء و إذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق وقيل لبعضهم هل تشتاق ؟ فقال لا إنما الشوق إلى غائب وحاضر . سمعت الأستاذ أبا على يقول فى قوله عز وجل ـ وعجلت إليك رب لترضى ـ قال معناه شوقا إليك فستره بلفظ الرضا وسمعته رحمه الله تعالى يقول من علامات الشوق تمنى الموت على بساط العوافى كيوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب لم يقل توفنى ولما أدخل السجن لم يقل توفنى ولما دخل عليه أبواه وخرّ الأخوة له سجدا وتمّ له الملك والنعم قال توفنى مسلما وفى معناه أنشدوا :

نحن فى أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيب مانحن فيه يا أهل ودّى أنكم غيب ونحن حضور

وفى معناه أنشدوا :

من سره العيد الجديد فقد عدمت به السرورا
كان السرور يتم لى لوكان أحبابى حضورا

وقال ابن خفيف الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء والقرب وقال أبو يزيد : إن لله عبادا لوحجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار . أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال أخبرنا أبو العباس الهاشمى بالبيضاء قال حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى قال حدثنا عبد الله الأنصارى قال سمعت الحسين الأنصارى يقول : رأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحق سبحانه يا ملائكتى من هذا فقالوا الله أعلم فقال : هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى ، وفى بعض الحكايات فى مثل

(يكون الشوق) لأنه ثمرتها و يؤخذ من كلامه أن الله تعالى لايوصف بالشوق و إن وصفه بالمحبة وهو كذلك لما مر بيانه (ولا قرار) لاشتغاله عن نفسه بالكلية بما هو مستغرق فيه من صفات الله العظيمة كالكمال والجلال (فطام الجوارح عن الشهوات) بأن يعرض العبد عنها شوقا إلى ربه كما يعرض الطفل عن اللبن حين يطيب له الطعام و يشتاق إليه

هذا المنام أنه قيل هذا معروف الكرخى خرج من الدنيا مشتاقا إلى الله فأباح الله عزّ وجلّ له النظر إليه . وقال فارس : قلوب المشتاقين منوّرة بنور الله تعالى فاذا تحرّك اشتياقهم أضاء النور مابين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون إلىّ أشهدكم أنى إليهم أشوق . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم «أسألك الشوق إلى لقائك» قال كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق فى الناس فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضا فغار أن يكون شظية من الشوق لغيره ، وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين ولهذا قيل :

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الخيام من الخيام

وقيل إن المشتاقين يتحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول : الشوق أجل مقام للعارف إذا تحقق فيه و إذا تحقق فى الشوق لها عن كل شىء يشغله عمن يشتاق إليه . وقال أبو عثمان الحيرى فى قوله عز وجل ـ فان أجل الله لآت ـ هذا تعزية للمشتاقين معناه أنى أعلم أن اشتياقكم إلىّ غالب وأنا أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه . وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : قل لشبان بنى إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيرى وأنا مشتاق إليكم ماهذا الجفاء . وقيل أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلى وانقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه إرادتى فى المدبرين عنى فكيف إرادتى فى المقبلين إلىّ وقيل مكتوب فى التوراة : شوّقنا كم فلم تشتاقوا وخوّفنا كم فلم تخافوا ونحنا لكم فلم تنوحوا . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول بكى شعيب حتى عمى فرد الله عزّ وجلّ بصره عليه ثم بكى حتى عمى فرد الله عزّ وجلّ بصره عليه ثم بكى حتى عمى فأوحى الله تعالى إليه إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك و إن كان لأجل النار فقد أجرتك منها فقال لابل شوقا إليك فأوحى الله عزّ وجلّ إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيى وكليمى عشر سنين ، وقيل من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شىء وفى الخبر «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة على وعمار وسلمان» . سمعت الأستاذ أبا على يقول قال بعض المشايخ أنا أدخل الشوق والأشياء تشتاق إلى وأنا عن جميعها حر . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن جعفر يقول سمعت محمد بن عمر الرملى يقول حدثنا محمد بن جعفر الإمام قال حدثنا إسحق بن إبراهيم قال حدثنا مرحوم قال سمعت مالك بن دينار يقول قرأت فى التوراة : شوّقنا كم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن فرحان يقول سمعت الجنيد وقد سئل من أى شىء يكون بكاء المحب إذا لقى المحبوب ؟ فقال إنما يكون ذلك سرورا به ووجدا من شدة الشوق إليه ولقد بلغنى أن أخوين تعانقا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر واوجداه .

باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم

قال الله تعالى فى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ـ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ـ قال الإمام لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب فاستأذن أوّلا فى الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لايعارضه فى شىء ولا يعترض عليه فى حكم ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه المرة الأولى والثانية فلما صار إلى الثالثة والثلاث آخر حد القلة وأوّل حدّ الكثرة سامه الفرقة فقال هذا فراق بينى و بينك . أخبرنا أبو الحسين الأهوازى قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى

(أنى إليهم أشوق) أى أحب لما مر أنه تعالى لايوصف بالشوق فوصفه به هنا مجاز على سبيل المشاكلة (المحجوبين) عنه لأن من نال شيئا طلب الزيادة منه بخلاف المحجوب عنه فانه إذا فتح الله عليه بشىء منه قنع به (أحلى من الشهد) لأن العبد إذا كمل اشتياقه للقاء ربه لم يقم لاشتياقه شىء ويؤيده خبر «لايجد الشهيد من ألم القتل فى سبيل الله إلا كما يجد من القرصة» فانه لما كمل شوقه من الحب للقاء حبه لم يجد من السيف ألما (وزمرنا لكم) أى خلقنا لكم على لسان داود عليه السلام من الأصوات الحسنة مايحرّك الجبال بل مات بوعظه للناس خلق كثير من الجن والإنس والطير والوحش (فلم ترقصوا) لم تتحركوا وحاصله أن الله وعظهم وحركهم إلى الرجوع إليه وطلب مرضاته فلم يتحركوا

[باب حفظ قلوب المشايخ الخ]

وذلك ممدوح ومطلوب لينتفع به تلامذتهم ولأن التقليد أمانة فمن خالف فيه التلميذ فقد خان

قال حدثنا أبو سالم القزاز قال حدثنا يزيد بن بيان قال حدثنا أبو الرجاء عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله تعالى له من يكرمه عند سنه» سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول بدء كل فرقة المخالفة يعنى به أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلقة بينهما وإن جمعتهما البقعة فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة على أن الشيوخ قالوا حقوق الأستاذين لاتوبة عنها . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : خرجت إلى مرو فى حياة شيخى الأستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن والختم فوجدته عند رجوعى قد رفع ذلك المجلس وعقد لأبى الغفانى فى ذلك الوقت مجلس القول فداخلنى من ذلك شيء فكنت أقول فى نفسى قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول فقال لى يوما يا أبا عبد الرحمن إيش يقول الناس فىّ فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول فقال من قال لأستاذه لم لايفلح أبدا ومن المعروف أن الجنيد قال دخلت على السرى يوما فأمرنى شيئا فقضيت حاجته سريعا فلما رجعت إليه ناولنى رقعة وقال هذا لمكان قضائك لحاجتى سريعا فقرأت الرقعة فاذا فيها مكتوب سمعت حاديا يحدو فى البادية :

أبكى وهل يدريك مايبكينى أبكى حذارا أن تفارقينى

* وتقطعى حبلى وتهجرينى *

(إن ماحل الخ) فى ذلك تحذير من دعاء المشايخ وتغيير قلوبهم بما يطلعون عليه من فساد أحوال التلامذة

ويحكى عن أبى الحسن الهمدانى العلوى قال كنت ليلة عند جعفر الخلدى وكنت أمرت فى بيتى أن يعلق طير فى التنور وكان قلبى معه فقال لى جعفر أقم عندنا الليلة فتعللت بشيء ورجعت إلى منزلى فأخرج الطير من التنور ووضع بين يدىّ فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين فأتى بالجوزاب الذى تحته فتعلق به ذيل الخادمة فانصب فلما أصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره علىّ قال: من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط عليه كلب يؤذيه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت أبا عبد الله الدينورى يقول سمعت الحسن الدامغانى يقول سمعت عمى البسطامى يحكى عن أبيه أن شقيقا البلخى وأبا تراب النخشبى قدما على أبى يزيد فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له كل معنا يافتى فقال : أنا صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ ذلك الشاب فى السرقة بعد سنة فقطعت يده . سمعت الأستاذ أبا على يقول: وصف سهل بن عبد الله رجلا بالولاية خبازا بالبصرة فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك فاشتاق إليه فخرج إلى البصرة فأتى حانوت الخباز فرآه يخبز وقد تنقب لمحاسنه على عادة الخبازين فقال فى نفسه لو كان هذا وليا لم يحترق شعره بغير نقاب ثم إنه سلم عليه وسأله شيئا فقال الرجل إنك استصغرتنى فلا تنتفع بكلامى وأبى أن يكلمه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمع عبد الرحمن الرازى أبا عثمان الحيرى يصف محمد بن الفضل البلخى ويمدحه فاشتاق إليه فخرج إلى زيارته فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ماعتقد فرجع إلى أبى عثمان وسأله فقال كيف وجدته فقال لم أجده كما ظننت فقال لأنك استصغرته وما استصغر أحد أحدا إلا حرم فائدته ارجع إليه بالحرمة فرجع إليه عبد الله فانتفع بزيارته . ومن المشهور أن عمر بن عثمان المكى رأى الحسين بن منصور يكتب شيئا فقال ماهذا فقال هو ذا أعارض القرآن فدعا عليه وهجره قال الشيوخ إن ماحل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم الصدق

فلم يخرج من بلخ بعده صديق . سمعت أحمد بن يحيى الأبيوردى رحمه الله تعالى يقول من رضى عنه شيخه لا يكافأ فى حال حيانه لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ فاذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ماهو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ فى حال حياة ذلك الشيخ لئلا يرق له فانهم مجبولون على الكرم فاذا مات ذلك الشيخ فحينئذ يجد المكافأة بعده .

باب فى السماع

قال الله عز وجل ـ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ـ اللام فى قوله القول تقتضى التعميم والاستغراق والدليل عليه أنه مدحهم باتباع الأحسن وقال تعالى ـ فهم فى روضة يحبرون ـ جاء فى التفسير أنه السماع . واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلذة إذا لم يعتقد المستمع محظورا ولم يسمع على مذموم فى الشرع ولم ينجر فى زمام هواه ولم ينخرط فى سلك لهوه مباح فى الجملة ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه سمعها ولم ينكر عليهم فى إنشادها فاذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان هذا ظاهر من الأمر ثم مايوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ماأعد الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ويحمله على التحرز من الزلات ويؤدى إلى قلبه فى الحال صفاء الواردات مستحب فى الدين ومختار فى الشرع وقد جرى على لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو قريب من الشعر وإن لم يقصد أن يكون شعرا . أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار قال حدثنا الحرث بن أبى أسامة قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا شعبة عن حميد قال سمعت أنسا يقول كانت الأنصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد مابقينا أبدا

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة» ليس هذا اللفظ منه صلى الله عليه وسلم على وزن شعر لكنه قريب منه وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان فممن قال بإباحته من السلف مالك بن أنس وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء وأما الحداء فاجماع منهم على إجازته وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار فى ذلك وروى عن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له إذا أتى بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيآتك فى أى الجانبين سماعك فقال لافى الحسنات ولافى السيآت يعنى أنه من المباحات . وأما الشافعى رحمه الله تعالى فانه لايحرمه ويجعله فى العوام مكروها حتى لواحترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهى تردّ به الشهادة ويجعله مما يسقط المروءة ولايلحقه بالمحرمات وليس كلامنا فى هذا النوع من السماع فان هذه الطائفة جلت رتبتهم عن أن يستمعوا بلهو أو يقعدوا للسماع بسهو أو يكونوا بقلوبهم مفكرين فى مضمون لغو أو يستمعون على صفة غير كفء وقد روى عن ابن عمر آثار فى إباحة السماع وكذلك عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وكذلك عن عمر رضى الله عنهم أجمعين وكذلك فى الحداء وغيره وأنشد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم الأشعار فلم ينه عنها وروى أنه صلى الله عليه وسلم استنشد الأشعار . ومن المشهور الظاهر أنه دخل بيت عائشة رضى الله عنها وفيه جاريتان تغنيان فلم ينههما أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد ابن مطر قال حدثنا الحباب بن محمد التسترى قال أخبرنا أبو الأشعث قال حدثنا محمد بن بكر المرسانى قال حدثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها «أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل

عليها

(فى السماع) هو الانتباه بالقلب إلى مايحمد شرعا ويقال غير ذلك (يستمعون القول) الذى أثنى الله عليه وأمر باستماعه والتدبر له واتباعه (فيتبعون أحسنه) وهو فيه كمال فلاحهم (محظورا) أى ممنوعا منه (مذموم فى الشرع) كمزمار وطنبور (سمعها) أى من منشديها (بالألحان) المطربة (من الأمر) أى الحال (ثم ما) أى السماع الذى (يبيحون الغناء) المنقول عن مالك والحجاز بين كراهته فان أريد بالاباحة مقابل الحرمة وبالكراهة كراهة التنزيه فلامنافاة (الحداء) بضم الحاء وكسرها وبالمد هو مايقال خلف الإبل من رجز وغيره (من المباحات) قيل بل المشهور عند أبى جريج منعه

عليها وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم بعاث فقال أبو بكر مزمار الشيطان مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وعيدنا هذا اليوم» . أخبرنا علي بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال حدثنا أبو كامل قال حدثنا أبو عوانة عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر عن عائشة رضى الله عنها «أنها أنكحت ذات قرابتها من الأنصار فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أهديتم الفتاة ؟ فقالت نعم قال فأرسلت من يغنى قالت لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الأنصار فيهم غزل فلو أرسلتم من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم » . أخبرنا الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رضى الله عنه قال حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال حدثنا الحسين بن الحرث الأهوازى قال حدثنا سلمة بن سعيد عن صدقة بنت أبي عمران قالت حدثنا علقمة بن مرثد بن زاذان عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا» دل هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن . وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال حدثنا أبو ربيع قال حدثنا عبد السلام ابن هاشم قال حدثنا عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » أخبرنا علي بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن ونس الكريمى قال حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم قال حدثنا شبيب بن بشر البجلى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صوتان ملعونان : صوت ويل عند مصيبة . وصوت مزمار عند نغمة » مفهوم الخطاب يقتضى إباحة غيرهذا فى غيرهذه الأحوال وإلا بطل التخصيص والأخبار فى هذا الباب تكثر والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات تخرجنا عن المقصود من الاختصار ، وقد روى «أن رجلا أنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبج
أدبرت فقلت لها والفؤاد فى وهج
هل علي ويحكما إن عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا» وإن حسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على صاحبه من الناس قال الله عز وجل ـ يزيد فى الخلق مايشاء ـ قيل فى التفسير من ذلك الصوت الحسن وذم الله سبحانه الصوت الفظيع فقال تعالى ـ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ـ واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واسترواحها إليها مما لايمكن جحوده فان الطفل يسكن إلى الصوت الطيب والجمل يقاسى تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء . قال الله تعالى ـ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ـ وحكى إسمعيل بن علية قال : كنت أمشى مع الشافعى رحمه الله تعالى وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول فيه أحد شيئا ، فقال مل بنا إليه ، ثم قال أيطرب بك هذا ؟ فقلت لا فقال مالك حس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله تعالى لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن » أخبرنا علي بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا ابن ملحان قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أنه قال أخبرنى أبوسلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم يأذن الله تعالى لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » وقيل إن داود عليه السلام كان

(غزل) أى رفع صوت بمحاسن العروس ليحببوها لبعلها (وحياكم) وفى نسخة فحيونا نحييكم ويدل لجواز ذلك خبر « أشهروا النكاح واضربوا عليه بالدف» (فضيلة الصوت الحسن) لما فيه من زيادة المنفعة والتأثير فى قلب السامع لكن قد يقال إنما دل على فضيلته فى كتاب الله لا فى الغناء (يقول) أى ينشد (أحد) الأولى واحد (مالك حس) لعل إطرابه إنما كان لتضمنه معانى حسنة يختص بادراكها بعض الناس دون بعض لا لمحض الصوت فان حسن الصوت لاينكره أحد (ما أذن الله) أى ما استمع لشيء (كاذنه) أى كاستماعه لنبي حسن الصوت (يتغنى بالقرآن) أى يجهر به والمراد باستماعه له الرضا والقبول

يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته وقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري «لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود» وقال معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم «لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا» أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال أخبرنا عبد الله بن علي البراج قال حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب وأضافني رجل منهم فرأيت غلاما أسود مقيدا هناك ورأيت جمالا قد ماتت بفناء البيت فقال لي الغلام أنت الليلة ضيف وأنت على مولاي كريم فتشفع لي فانه لا يردك فقلت لصاحب البيت لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد فقال هذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي فقلت فما فعل فقال له صوت طيب وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال فحملها أحمالا ثقيلة وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد فلما حط عنها ماتت كلها ولكن قد وهبته لك وحل عنه القيد فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته فسألته ذلك فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقي عليه فحدا الغلام فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولم أظن أني سمعت صوتا أطيب منه فوقعت لوجهي حتى أشار إليه بالسكوت . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت أبا عمر الأنماطي يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل ما بال الإنسان يكون هادئا فاذا سمع السماع اضطرب فقال إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله ـ ألست بربكم قالوا بلى ـ استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر الصوفي يقول سمعت الوجيهي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول كان الحرث بن أسد المحاسبي يقول ثلاث إذا وجدن متع بهن وقد فقدناها حسن الوجه مع الصيانة وحسن الصوت مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء . وسئل ذو النون المصري عن الصوت الحسن فقال مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة . وسئل مرة أخرى عن السماع فقال وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق . وحكى جعفر بن نصير عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع فانهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد وعند أكل الطعام فانهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجاراة العلم فانهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر بن ممشاد الدينوري يقول سمعت الجنيد يقول السماع فتنة لمن طلبه ترويح لمن صادفه . وحكى عن الجنيد أنه قال السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء : الزمان والمكان والإخوان . وسئل الشبلي عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقيل لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه حي بنور الموافقة . وسئل أبو يعقوب النهرجوري عن السماع فقال حال يبدي الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق . وقيل السماع لطف عند الأرواح لأهل المعرفة سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول السماع طبع إلا عن شرع وخرق إلا عن حق وفتنة إلا عن عبرة ويقال السماع على قسمين : سماع بشرط العلم والصحو فمن شرط صاحبه معرفة الأسامي والصفات وإلا وقع في الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية والتنقي من آثار الحظوظ

(لحبرته الخ) أي لحسنته لك تحسينا وزينته لك تزيينا ، فالمراد تحسين مايتلوه بحسن إيراده (وأنت على مولاي كريم) لأنه يكرم الضيف (هذا العبد) أي نفسه من قيده (ووهبته) أي ذنبه (لك) وقبلت شفاعتك فيه (عند السماع) كما قال تعالى ـ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ـ وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكنة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (وجد) صادق يستحيون من ربهم أن يطلع على قلوبهم وهم يتكلفون لغيره (إلا عن فاقة) لينشطوا للعبادة (لا يذكرون) مع صفات الله ورسله (إلا صفة الأولياء) من أحوالهم ومقاماتهم (فتنة) امتحانا وابتلاء (لمن طلبه) لأن من طلبه تكلف ومن تكلف له استجلبه بظاهره ومن استجلبه قارنه الرياء والتشبع بما لم ينل فليحذر من طلبه

بظهور أحكام الحقيقة ، وحكى عن أحمد بن أبى الحوارى أنه قال سألت أبا سليمان عن السماع فقال من اثنين أحب إلىّ من الواحد . وسئل أبو الحسن النورى عن الصوفى فقال من سمع السماع وآثر الأسباب وسئل أبو على الروذبارى عن السماع يوما فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو فقير مدع . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكى يقول قال جعفر كان ابن زيرى من أصحاب الجنيد شيخا فاضلا فربما كان يحضر موضع سماع فان استطابه فرش إزاره وجلس وقال الصوفى مع قلبه و إن لم يستطبه قال السماع لأرباب القلوب ومرّ وأخذ نعله . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله تعالى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت عبدالله ابن عبد المجيد الصوفى يقول سئل رويم عن وجود الصوفية عند السماع فقال يشهدون المعانى التى تعزب عن غيرهم فتشير إليهم إلىّ فيتنعمون بذلك من الفرح ثم يقطع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصيح ومنهم من يبكى كل إنسان على قدره . سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الحصرى يقول فى بعض كلامه إيش أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ينبغى أن يكون سماعك متصلا غير منقطع قال وقال الحصرى ينبغى أن يكون ظمأ دائم وشرب دائم فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه وجاء عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى ـ فهم فى روضة يحبرون ـ أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت أبدا نحن الناعمات فلا نبؤس أبدا وقيل السماع نداء والوجد قصد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أباعثمان المغربى يقول قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة وسمعته يقول سمعت الأستاذ أباسهل الصعلوكى يقول المستمع بين استتار وتجل فالاستتار يوجب التلهيب والتجلى يورث الترويح والاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه سكون الواصلين وهو محلّ الاستقامة والتمكين وذلك صفة الحضرة وليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال الله تعالى ـ فلما حضروه قالوا أنصتوا ـ وقال أبو عثمان الحيرى : السماع على ثلاثة أوجه فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة وتخشى عليهم فى ذلك الفتنة والمرآت ، والثانى للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم و يستمعون من ذلك مايوافق أوقاتهم والثالث لأهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لايختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا الفرج الشيرازى يقول سمعت أباعلى الروذبارى يقول قال أبو سعيد الخراز : من ادعى أنه مغلوب عند الفهم يعنى فى السماع وأن الحركات مالكة له فعلامته تحسين المجلس الذى هو فيه بوجده قال الشيخ أبو عبد الرحمن فذكرت هذه الحكاية لأبى عثمان المغربى فقال هذا أدناه وعلامته الصحيحة أن لايبقى فى المجلس محق إلا أنس به ولايبقى فيه مبطل إلا استوحش منه ، وقال بندار بن الحسين : السماع على ثلاثة أوجه منهم من يسمع بالطبع ومنهم من يسمع بالحال ومنهم من يسمع بالحق فالذى يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعام فان جبلة البشرية استلذاذ الصوت الطيب والذى يسمع بالحال فهو يتأمل مايرد عليه من ذكر عتاب أوخطاب أو وصل أوهجر أوقرب أو بعد أوتأسف على فائت أو تعطش إلى آت أو وفاء بعهد أو تصديق لوعد أو نقض لعهد أوذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح

(على قدره) أى قدر تعلقه بربه ورفعة مقامه وعظم بعده وحجبه (ازداد ظمؤه) وذلك بدوام معرفة الله ومحبته ومناجاته والاشتغال به حتى تناقس القلوب به وتنال من فضله وعطاياه وما يمنحه لها الله فاذا وصل العبد إلى هذا السماع لم يصبر عنه بحال وكلما ازداد شربه منه والانتفاع توالى عطشه عليه وتواردت على قلبه الأوجاع فعمل المؤمن دائم لاينقطع قال الله تعالى ـ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ـ يعنى الموت وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أحب العمل ماداوم عليه صاحبه »

وصال أوحذر انفصال أوماجرى مجراه . وأما من يسمع بحق فيسمع بالله تعالى ولله ولايتصف بهذه الأحوال التى هى ممزوجة بالحظوظ البشرية فانها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد بحق لابحظ . وقيل : أهل السماع على ثلاث طبقات : أبناء الحقائق يرجعون فى سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه لهم ، وضرب يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعانى مايسمعون فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله تعالى ، وثالث هو فقير مجرّد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم وهؤلاء أقربهم إلى السلامة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أباعلى الروذبارى يقول وقدسئل عن السماع فقال : مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب وقال الخوّاص وقد سئل مابال الإنسان يتحرّك عندسماع غيرالقرآن ولايجد ذلك فى سماع القرآن ؟ فقال : لأن سماع القرآن صدمة لايمكن لأحدأن يتحرّك فيه لشدّة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرك فيه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازى يقول سمعت الجنيد يقول : إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة . وسمعته يقول سمعت على بن عبد الله البغدادى يقول سمعت أباسعيد الرملى يقول قال سهل بن عبد الله : السماع علم استأثر الله تعالى به لايعلمه إلاهو . وحكى أحمد بن مقاتل العكى قال : لما دخل ذوالنون المصرى بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوّال فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئا فأذن فابتدأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبى هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلىّ بكى

قال فقام ذوالنون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولايسقط على الأرض ، ثم قام رجل من القوم يتواجد فقال له ذوالنون ـ الذى يراك حين تقوم ـ فجلس الرجل . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول فى هذه الحكاية : كان ذوالنون صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد . سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت الرقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول : كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما جبلة وللثانى رزيق فزار رزيق يوما جبلة فى أصحابه فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئا فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق أين الذى قرأ بالأمس فليقرأ فقرأ آية فصاح جبلة صيحة فمات القارىء فقال جبلة واحد بواحد والبادى أظلم . وسئل إبراهيم المارستانى عن الحركة عند السماع فقال : بلغنى أن موسى عليه السلام قصّ فى بنى إسرائيل فمزّق واحد منهم قميصه فأوحى الله تعالى إليه قل له مزق لى قلبك ولاتمزق ثيابك . وسأل أبوعلى المغازلى الشبلى فقال : ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله عزّ وجل فتجدونى على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس فقال الشبلى ماانجذبك إليه فهو عطف منه عليك ولطف ومارددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك لأنه لم يصح لك التبرّى من الحول والقوّة فى التوجه إليه . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن مقاتل العكى يقول : كنت مع الشبلى فى مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلى خلف إمام له وأنا بجنبه فقرأ الإمام ـ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك ـ فزعق زعقة قلت طارت روحه وهو يرتعد ويقول بمثل هذا يخاطب الأحباب يردّد ذلك كثيرا . وحكى عن الجنيد أنه قال : دخلت على السرّى يوما فرأيت عنده رجلا مغشيا عليه

(فيه بقية من البطالة) لأنه لم تكمل معرفته بمولاه ولاجاهد نفسه فى مفارقة هواه بخلاف سماع من كملت معرفته فانه إنما يكون بعدتقدم المجاهدات والرياضات والإعراض عن الشهوات شغلا بالله وطمعا فى وجود الراحات فيكون سماعه من باب العون له على مقاصده الصحيحة وأحواله الرفيعة (احتنكا) استولى وقهر (هوى) حبا (الخلىّ) الخالى من الهمّ (رزيق) بتقديم الراء (ومات) لقوة حاله عليه وفى ذلك دلالة على صدق القارىء والمستمع فى السماع

فقلت ماله فقال سمع آية من كتاب الله تعالى فقلت تقرأ عليه ثانيا فقرئ فأفاق فقال لى من أين علمت هذا فقلت إن قميص يوسف ذهب بسببه عين يعقوب عليهما السلام ثم به عاد بصره فاستحسن منى ذلك . سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبانصر السراج يقول سمعت عبدالواحد ابن علوان يقول كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبنى فكان إذا سمع شيئا يتغير و يضبط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة فيوما من الأيام صاح صيحة تلفت نفسه . سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله فكل من أسأل منه يقول لى إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب و بين يديه رجل وعليه مصحف فيه يقرأ و إذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فدنوت منه وسلمت عليه فرد السلام وقال من أين فقلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال لو أن فى بعض البلدان قال لك إنسان أقم عندى حتى أشترى لك دارا أو جارية أكان يمنعك عن زيارتى فقلت ياسيدى ماامتحننى الله تعالى بشىء من ذلك ولو كان لا أدرى كيف كنت أكون فقال تحسن أن تقول شيئا فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبنى دائبا فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت مابنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال لى يابنى لا تلم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن فلم تقطر من عينىّ قطرة وقد قامت علىّ القيامة بهذا البيت . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت الدراج يقول: كنت أنا وابن القوطى مارين على الدجلة بين البصرة والأبلة و إذا نحن بقصر حسن له منظر وعليه رجل و بين يديه جارية تغنى وتقول :

فى سبيل الله ود كان منى لك يبذل كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

و إذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يسمع فقال ياجارية بحياة مولاك أعيدى :

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل فقال الشاب قولى فأعادت فقال الفقير هذا والله تلوّنى مع الحق وشهق شهقة خرجت روحه فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى وخرج أهل البصرة وفرغوا من دفنه والصلاة عليه فقام صاحب القصر وقال أليس تعرفونى أشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله وكل مماليكى أحرار ثم ائتزر بازار وارتدى برداء وتصدق بالقصر ومر فلم ير له بعد ذلك وجه ولا سمع له أثر . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله ابن على الطوسى يقول سمعت يحيى بن الرضا العلوى قال سمع أبوسلمان الدمشقى طوافا ينادى ياسعتر برى فسقط مغشيا عليه فلما أفاق سئل فقال حسبته يقول : اسع تر برى وسمع عتبة الغلام رجلا يقول : سبحان رب السماء إن المحب لفى عناء فقال عتبة صدقت وسمع رجل آخر ذلك القول فقال كذبت فكل واحد سمع من حيث هو . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أباالحسن على بن محمد الصوفى يقول سمعت رويما وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم فى السماع فقال كالقطيع إذا وقع فيه الذئب وحكى عن أبى سعيد الخراز قال رأيت على بن الموفق فى السماع

(لم تصحبنى) الأولى لا وذلك لأن إخفاء الأحوال عن غير الله أفضل لمن قدر عليه (رأيتك تبنى الخ) أشار به إلى أن العبد يشتغل فى أكثر عمره بغير ربه وما خلق له (ثم قال لى يابنى الخ) أى ثم أراد أن يعرفنى أيضا كمال حاله وأن زيارتى له لم تخب حيث قال يابنى الخ (بهذا البيت) أى بسماعى له وهذا كله يدل على كماله لاشتغاله بكتاب الله من وقت الصلاة إلى وقت الاجتماع مع مارأى وأين هذا من الزندقة ، وبالجملة فالغرض أن العبد لا يلتفت لمدح العوام ولا ذمهم لأنهم يوقعون ذلك بغير أصل ولو سمع هذا الزائر من كلامهم لفاتته هذه الخيرات (برّى) أى إكرامى لك وسمع بعضهم مناديا ينادى فى السوق على الخيار أربعة بربع فبكى وانتحب وقال إذا كان هذا قدر الخيار فكيف يكون قدر الشرار

يقول أقيمونى فأقاموه فقام وتواجد ثم قال أنا الشيخ الزفان وقيل قام الرقى ليلة إلى الصباح يقوم و يسقط على هذا البيت والناس قيام يبكون والبيت :

بالله فاردد فؤاد مكتئب ليس له من حبيبه خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبدالله بن على الصوفى يقول سمعت على بن الحسين ابن محمد بن أحمد بالبصرة يقول سمعت أبى يقول خدمت سهل بن عبدالله سنين كثيرة فما رأيته تغير عند سماع شىء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره فلما كان فى آخر عمره قرئ بين يديه ـ فاليوم لايؤخذ منكم فدية ـ رأيته تغير وارتعد وكاد يسقط فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك فقال يا حبيبى ضعفنا . وحكى ابن سالم قال رأيته مرة أخرى قرئ بين يديه ـ الملك يومئذ الحق للرحمن ـ فتغير وكاد يسقط فقلت له فى ذلك فقال ضعفت وهذه صفة الأكابر لايرد عليه وارد وإن كان قويا إلا وهو أقوى منه . سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول دخلت على أبى عثمان المغربى وواحد يستقى الماء من البئر على بكرة فقال ياأبا عبد الرحمن أتدرى إيش تقول البكرة فقلت لا فقال تقول : الله الله . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن طاهر يقول سمعت عبدالله بن سهل يقول سمعت رويما يقول روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه أتدرون مايقول هذا؟ قالوا لا قال إنه يقول سبحان الله حقا حقا إن المولى صمد يبقى . سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبدالله بن على يقول سمعت أحمد بن على الكرخى الوجيهى يقول : كان جماعة من الصوفية مستجمعين فى بيت الحسن القزاز ومعهم قوالون يقولون ويتواجدون فأشرف عليهم ممشاد الدينورى فسكتوا فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلوجع ملاهى الدنيا فى أذنى ماشغل همى ولا شفى بعض مابى وبهذا الإسناد عن الوجيهى قال سمعت أبا على الروذبارى يقول بلغنا فى هذا الأمر إلى مكان مثل حدّ السيف إن ملنا كذا ففى النار وقال خير النساج قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة فزعق واحد منهم فانتهره موسى فأوحى الله تعالى إليه ياموسى بطيبى فاحوا وبحبى باحوا وبوجدى صاحوا فلم تنكر على عبادى وقيل سمع الشبلى قائلا يقول الخيار عشرة بدانق فصاح وقال إذا كان الخيار عشرة بدانق فكيف الشرار وقيل إذا تغنت الحور العين فى الجنة ترددت الأشجار وقيل كان عون بن عبدالله يأمر جارية له حسنة الصوت فتغنى بصوت حزين حتى تبكى القوم وسئل أبوسليمان الدارانى عن السماع فقال كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يداوى كما يداوى الصبى إذا أريد أن ينام ثم قال أبوسليمان إن الصوت الحسن لايدخل فى القلب شيئا إنما يحرك من القلب مافيه قال ابن أبى الحوارى صدق والله أبو سليمان وقال الجريرى كونوا ربانيين أى سماعين من الله قائلين بالله تعالى . وسئل بعضهم عن السماع فقال : بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدو ثم تخفى ماأحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ثم أنشأ يقول :

خطرة فى السر منه خطرت خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل
أى زور لك لو قصدا سرى ومم بك لو حقا فعل

وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع إلى العين تبكى ومايقع إلى اللسان يصيح ومايقع على اليد تمزق الثياب وتلطم ومايقع إلى الرجل ترقص وقيل مات بعض ملوك العجم وخلف ابنا صغيرا فأرادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل إلى عقله وذكائه ثم توافقوا على أن يأتوا بقوال يقول شيئا فان أحسن الإصغاء علموا كياسته فأتوا بقوال فلما قال القوال شيئا ضحك الرضيع فقبلوا

(مكتئب) أى شديدا لحزن (ضعفنا) أى عن كتم أحوالنا لما كبرنا واستشعرنا قرب الأجل والوقوف بين يدى الله وأنه لايؤخذ ممن عليه فدية (فانتهره موسى) فيه دلالة على أن كتمان الأحوال أولى من إظهارها لكنها إن غلبت السامع عذر كما ذكر بقوله فأوحى إلى فلم تنكر على عبادى أى فانى خلقت لهم من الوجد مالاقدرة لهم على حمله فناجوا وباحوا وصاحوا (قائلين الخ) لأن من كملت معرفته بالله كان سامعا لله وبالله وناطقا بالله والربانيون هم العلماء العباد والأحبار هم العلماء خاصة

الأرض بين يديه وبايعوه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : اجتمع أبو عمرو بن نجيد والنصراباذى والطبقة فى موضع فقال النصراباذى أنا أقول إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئا و يسكت الباقون خير من أن يغتابوا أحدا . فقال أبو عمرو لأن تغتاب ثلاثين سنة أنجى لك من أن تظهر فى السماع مالست به . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول الناس فى السماع ثلاثة : متسمع ومستمع وسامع فالمتسمع يسمع بوقت والمستمع يسمع بحال والسامع يسمع بالحق . وسألت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى غير مرة شبه طاب رخصة فى السماع وكان يحيلنى على مايوجب الإمساك عنه ثم بعد طول المعاودة قال إن المشايخ قالوا ماجمع قلبك إلى الله سبحانه وتعالى فلا بأس به . اخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدّثنا إسمعيل بن الفضل قال حدثنا يحيى بن يعلى الرازى قال حدثنا حفص ابن عمر العمرى قال حدثنا أبو عمرو عثمان بن بدر قال حدثنا هرون أبو حمزة عن العذافر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام إنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى وأحب ماتكون إلى وأقرب إذا أكثرت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل رأى بعضهم النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال الغلط فى هذا أكثر يعنى به السماع . سمعت الشيخ أباعبدالرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندى يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحرث الأولاسى يقول رأيت إبليس لعنه الله فى المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب نظاف فقال لطائفة منهم قولوا فقالوا وغنوا فاستفزعنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون ثم قال لى ياأبا الحرث ماأصبت شيئا أدخل به عليكم إلا هذا . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبدالله بن على يقول اجتمعت ليلة مع الشبلى رحمه الله تعالى فقال القوال شيئا فصاح الشبلى وتواجد قاعدا فقيل له ياأبا بكر مالك من بين الجماعة قاعدا فقام وتواجد وقال :

لى سكرتان وللندمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول جزت بقصر فرأيت شابا حسن الوجه مطروحا وحوله ناس ، فسألت عنه فقالوا : إنه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغنى :

كبرت همة عبد طمعت فى أن تراكا
أو ماحسب لعين أن ترى من قد رآكا

فشهق شهقة ومات .

باب كرامات الأولياء

قال الأستاذ أبو القاسم ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه فى العقل لايؤدى حصوله إلى رفع أصل من الأصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده و إذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شىء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه فى أحواله فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لايجوز والذى يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقا فى أحواله و بين

(و بايعوه) لما علموا من تمييزه الحسن لما استحسنوه إذ من الصغار من إذاسمع زمرا ونحوه فرح وضحك ومنهم من إذاسمع شيئا مفزعا بكى ومنهم من إذا طلب حاجة وشغل بأخرى أحسن منها سكت . وقيل الثانية فيدل ذلك على حسن تميزه ومنهم من إذاخطر بباله شىء أوغيب عنه شىء وشغل بغيره لم يرجع إليه و يدوم بكاؤه على ماخطر له وليس ذلك إلا لسوء خلقه وقوّة رأسه ومن عنده أدنى تمييز يميل إلى السماع وهذه الإبل إذاحدا لها حادحسن الصوت وحملت الأثقال لاتبالى بأحمالها وطاب لها سماع الحادى ومدّت أعناقها وجدّت فى سيرها .

من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولى بما لايوجد مع المفترى فى دعواه وذلك الأمر هو الكرامة التى أشرنا إليها ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة فى أيام التكليف ظاهرا على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه فى حاله وتكلم الناس فى الفرق بين الكرامات و بين المعجزات من أهل الحق فكان الإمام أبو إسحق الاسفرايني رحمه الله يقول المعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوّة لايوجد مع غير النبيّ كما أن العقل المحكم لما كان دليلا للعالم فى كونه عالما لم يوجد إلا ممن يكون عالما وكان يقول الأولياء لهم كرامات شبيه إجابة الدعاء فأما جنس ماهو معجزة للأنبياء فلا وأما الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله فكان يقول المعجزات دلالات الصدق ثم إن ادّعى صاحبها النبوّة فالمعجزات تدل على صدقه فى مقالته و إن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حاله فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة و إن كانت من جنس المعجزات للفرق وكان رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزات والكرامات أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها والولى يجب عليه سترها و إخفاؤها والنبيّ صلى الله عليه وسلم يدعى ذلك و يقطع القول به والولى لايدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا وقال أوحد فنه فى وقته القاضى أبو بكر الأشعرى رضى الله عنه : إن المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوّة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها و إنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لاتكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوّة والولى لايدعى النبوّة والذى يظهر عليه لا يكون معجزة وهذا القول الذى نعتمده ونقول به بل ندين به فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد فى الكرامة إلا هذا الشرط الواحد والكرامة فعل لامحالة محدث لأن ما كان قديما لم يكن له اختصاص بأحد وهو ناقض للعادة وتحصل فى زمان التكليف وتظهر على عبد تخصيصا له وتفضيلا وقد تحصل باختياره ودعائه وقد لاتحصل وقد تكون بغير اختياره فى بعض الأوقات ولم يأمر الولىّ بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئا من ذلك على من يكون أهلا له لجاز . واختلف أهل الحق فى الولى هل يجوز أن يعلم أنه ولىّ أم لا فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول لايجوز ذلك لأنه يسلبه الخوف و يوجب له الأمن وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله يقول بجوازه وهو الذى نؤثره ونقول به وليس ذلك بواجب فى جميع الأولياء حتى يكون كل ولىّ يعلم أنه ولىّ واجبا ولكن يجوز أن يعلم بعضهم كما يجوز أن لايعلم بعضهم فاذا علم بعضهم أنه ولىّ كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها وليس كل كرامة لولىّ يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء بل لولم يكن للولىّ كرامة ظاهرة عليه فى الدنيا لم يقدح عدمها فى كونه وليا بخلاف الأنبياء فانه يجب أن تكون لهم معجزات لأن النبيّ مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه ولا يعرف إلا بالمعجزة و بعكس ذلك حال الولىّ لأنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولىّ أيضا العلم بأنه ولىّ والعشرة من الصحابة صدّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة وقول من قال لايجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف فلا بأس أن يخافوا تغيير العاقبة والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه يزيد و يربو على كثير من الخوف . واعلم أنه ليس للولىّ مساكنة إلى الكرامة التى تظهر عليه ولا له ملاحظة فربما يكون لهم فى ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله فيستدلون بها على صحة ماهم عليه من العقائد

(من أهل الحق) بيان للناس (شبه إجابة الدعاء) كالإخبار بمجيء زيد من سفره و بعافيته من مرضه (الصدق) أى صدق الأنبياء (للفرق) بينهما بأن المعجزة ماقارنها دعوى النبوّة بخلاف الكرامة فعنده أن ما يكون من جنس المعجزات يكون للولىّ أيضا وهو المختار الذى دل عليه كلام المصنف فيما يأتى (نؤثره) أى ننقله (لم يقدح عدمها الخ) بل قد يكون أفضل ممن ظهر له كرامات لأن الأفضلية إنما هى بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة (والعشرة الخ) فقد علموا بذلك أنهم من أولياء الله وأجمعت الأمة على فضلهم (مساكنة) أى سكون

و بالجملة فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ماتواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء فى الجملة علما قويا انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق له شبهة فى ذلك على الجملة . ومن دلائل هذه الجملة نص القرآن فى قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال ـ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ـ ولم يكن نبيا والأثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيح أنه قال ياسارية الجبل فى حال خطبته يوم الجمعة وتبليغ صوت عمر إلى سارية فى ذلك الوقت حتى تحرزوا من مكامن العدو من الجبل فى تلك الساعة . فان قيل كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة فى المعانى على معجزات الرسل وهل يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام . قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم لأن كل من ليس بصادق فى الاسلام لاتظهر عليه الكرامة وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته إذ لولم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للاجماع المنعقد على ذلك . وهذا أبو يزيد البسطامى سئل عن هذه المسئلة فقال مثل ماحصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ماللجميع الأولياء وما فى الظرف مثل لنبينا صلى الله عليه وسلم .

(فصل) ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فى زمان عطش أوتسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو تخليص من عدو أوسماع خطاب من هاتف أوغير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة . واعلم أن كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا أنه لايجوز أن يظهر كرامة للأولياء و بضرورة أوشبه ضرورة يعلم ذلك فمنها حصول إنسان لامن أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيوان وأمثال هذا كثير .

(فصل) فان قيل فما معنى الولى قيل يحتمل أمرين أحدهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره و يكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية و يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذى يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الادامة والتوالى فلا يخلق له الخذلان الذى هو قدرة العصيان و إنما يديم توفيقه الذى هوقدرة الطاعة قال الله تعالى ـ وهو يتولى الصالحين ـ .

(فصل) فان قيل فهل يكون الولى معصوما . قيل إما وجوبا كما يقال فى الأنبيا فلا و إما أن يكون محفوظا حتى لايصر على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم ولقد قيل للجنيد العارف يزنى ياأبا القاسم فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال ـ وكان أمر الله قدرا مقدورا ـ .

(فصل) فان قيل فهل يسقط الخوف عن الأولياء قيل أما الغالب على الأكابر فكان الخوف وذلك الذى قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع وهذا السرى السقطى يقول لوأن واحدا دخل بستانا فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح السلام عليك ياولى الله فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكورا وأمثال هذه من حكاياتهم كثيرة .

(فصل) فان قيل فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة . فالجواب عنه أن الأقوى فيه أنه لايجوز لحصول الاجماع عليه ولقد سمعت الامام أبا بكر بن فورك رضى الله عنه يحكى عن أبى الحسن الأشعرى أنه قال فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير .

(بكونها) أى وجودها (صاحب سليمان) هو آصف (أنه قال) على المنبر بالمدينة لسارية وكان بالشام أو بمصر يقاتل العدو وأراد العدو أن يكيده و يسبقه إلى الجبل (ياسارية الجبل) أى اصعده كشف الله له حال سازيةمع العدو (الناقضة) أى الخارقة (فمنها) أى من تلك المقدورات

(فصل) فان قيل فهل يجوز أن يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته . قيل من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لايجوّز ذلك ، ومن قال إنه فى الحال مؤمن على الحقيقة و إن جاز أن يتغير حاله بعد لايبعد أن يكون وليا فى الحال صديقا ثم يتغير وهذا الذى نختاره نحن ، و يجوز أن يكون من جملة كرامات ولىّ أن يعلم أنه مأمون العاقبة ، وأنه لاتتغير عاقبته فتلتحق هذه المسئلة بما ذكرنا أن الولىّ يجوز أن يعلم أنه ولىّ .

(فصل) فان قيل فهل يزايل الولىّ خوف المكر قيل إن كان مصطلما عن شاهده مختطفا عن إحساسه بحاله فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه ، والخوف من صفات الحاضرين بهم .

(فصل) فان قيل فما الغالب على الولىّ فى حال صحوه قيل صدقه فى أداء حقوقه سبحانه ثم رفقه وشفقته على الخلق فى جميع أحواله ، ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ، ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق وابتدائه لطلب الإحسان من الله عز وجل إليهم من غير التماس منهم وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم والتوقى عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد عن أموالهم وترك الطمع بكل وجه ، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم ، والتصاون عن شهود مساويهم ولا يكون خصما لأحد فى الدنيا ولا فى الآخرة . واعلم أن من أجل الكرامات التى تكون للأولياء : دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصى والمخالفات ، ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله سبحانه فى صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا ـ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ـ وكان يقول ـ أنى لك هذا ـ فتقول مريم ـ هو من عند الله ـ وقوله سبحانه ـ وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ـ وكان فى غير أوان الرطب وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك ، ومن ذلك قصة ذى القرنين وتمكينه سبحانه له مما لم يمكن لغيره ، ومن ذلك ما أظهر على يد الخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب وما كان يعرفه مما خفى على موسى عليه السلام كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختصّ الخضر عليه السلام بها ولم يكن نبيا ، و إنما كان وليا . ومما روى من الأخبار فى هذا الباب حديث جريج الراهب ، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني قال أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن ابراهيم بن إسحق قال حدّثنا عمار بن رجاء قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبى قال سمعت محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عوانة وحدّثنى الصغانى وأبو أمية قالا حدّثنا الحسين بن محمد المروذى قالا حدّثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصبىّ فى زمن جريج ، وصبىّ آخر ، فأما عيسى فقد عرفتموه ، وأما جريج فكان رجلا عابدا فى بنى إسرائيل ، وكانت له أمّ ـ فكان يوما يصلى إذ اشتاقت إليه أمه ، فقالت ياجريج فقال : يارب الصلاة خير أم آتيها ؟ ثم صلى فدعته فقال مثل ذلك ، ثم صلى فاشتدّ على أمه ، فقالت : اللهمّ لاتمته حتى تريه وجوه المومسات ، وكانت زانية فى بنى إسرائيل ، فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يزنى فأتته فلم تقدر على شىء ، وكان راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته ، فلما أعياها راودت الراعى على نفسها فأتاها فولدت ثم قالت : ولدى هذا من جريج فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه ، ثم إنه صلى ودعا ثم نخس الغلام قال محمد قال أبو هريرة كأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم حين قال بيده ياغلام من أبوك؟ فقال الراعى فندموا على ما كان منهم واعتذروا إليه وقال نبنى صومعتك من ذهب أو قال من فضة فأبى عليهم و بناها كما كانت ، وأما الصبىّ الآخر فان امرأة كان معها صبىّ لها ترضعه إذ مرّ بها

(وهذا الذى نختاره) ولا يورث احتمال التغير فى العاقبة شكا فى كونه وليا أو مؤمنا فى الحال و إلا لالتبس الأمر علينا فلا نشترط فى صدق ذلك دوامه إلى الممات (يزايل الولىّ) أى يزول عنه (خوف المكر) أى مكر الله به (مصطلما) أى مستغرقا (فيما استولى عليه) من الأحوال التى طرقته فأين هو من الخوف الذى هو من صفة حاضر الحس (الحاضرين بهم) أى منهم (والتصاون) أى صون نفسه (المومسات) أى الزانيات (صومعته) أى صومعة جريج (فلما أعياها) جريج (قال محمد) هو ابن سيرين

شاب جميل الوجه ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبى اللهم لاتجعلنى مثله قال قال محمد قال أبو هريرة كأنى أنظر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم حين كان يحكى الغلام وهو يرضع ثم مرّ بها أيضا امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لاتجعل ابنى مثل هذه فقال اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك فقال إنّ الشاب جبار من الجبابرة و إن هذه قيل إنها زنت ولم تزن وقيل سرقت ولم تسرق وهى تقول حسبى الله» ، وهذا الخبر روى فى الصحيح، ومن ذلك حديث الغار وهو مشهور مذكور فى الصحاح . أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني قال حدّثنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحق قال حدّثنا محمد بن عوف ويزيد بن عبد الصمد الدمشقى وعبد الكريم بن القاسم الدبرعاقولى وأبو الحصيب بن المستنير الصيصى قالوا حدّثنا أبو اليمان قال حدّثنا شعيب عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا إنه والله لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لاأغبق قبلهما أهلا ولا مالا فعاقنى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فتحرجت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فقمت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت انفراجا لايستطيعون الخروج منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر اللهم انه كانت لى بنت عم وكانت أحبّ الناس إلىّ فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى و بين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لايحلّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىّ وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لايستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث اللهم إنى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب فثمرت أجره فجاءنى بعدحين فقال ياعبد الله أدّ إلىّ أجرتى فقلت له كل ماترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق فقال ياعبدالله لاتستهزئ بى فقلت إنى لاأستهزئ بك فأخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون» ، وهذا حديث صحيح متفق عليه ومن ذلك الحديث الذى قال صلى الله عليه وسلم فيه إن البقرة كلمتهم . أخبرنا أبو نعيم الاسفرايني قال أخبرنا أبو عوانة قال حدّثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدّثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال « بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت البقرة وقالت أما إنى لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث ، فقال الناس سبحان الله فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر » ، ومن ذلك حديث أويس القرنى وماشهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه من حاله وقصته ثم التقاؤه مع هرم بن حيان وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما وكل ذلك أحوال ناقضة للعادة وتركنا حديث أويس لشهرته وقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات مايبلغ حدّ الاستفاضة ، وقد صنف فى ذلك كتب كثيرة سنشير إلى طرف منها على وجه الإيجاز

(شارة) هيئة حسنة (فى ذلك) أى ماسببه (وهذا الخبر الخ) فهؤلاء الثلاثة تكلموا فى المهد وكلامهم خرق للعادة فكلام الأوّل كرامة لمريم وبراءة لها مما نسب إليها وكلام الثانى كرامة لجريج وبراءة له مما نسب إليه وكلام الثالث آية لوالدته وبراءة للمظلومة (أغبق) بضم الباء أى أسقى (وهذا حديث صحيح الخ) كما مرّت الإشارة إليه فى كلامه والكرامة فى ذلك استجابة دعائهم وإزالة الصخرة عنهم بقدرة الله خرقا للعادة والظاهر أن أقواهم الثانى فانه ترك شهوته مع تيسرها وكمال محبته لابنة عمه و بذله لها مابذله من المال الجزيل (سبحان الله) تعجبا (آمنت بهذا الخ) أى بأنه حق وأنه تعالى قادر عليه وأنه يفعله ووجه دخول ذلك فى كرامات الأولياء نصح البقرة لصاحبها حتى لايحملها مالاتطيقه

إن شاء الله عزّ وجلّ. فمن ذلك: أن ابن عمر كان فى بعض الأسفار فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال إنما يسلط على ابن آدم مايخافه ولوأنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وهذا خبر معروف . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى فى غزاة فحال بينه و بين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء . وروى أن عتاب بن بشير وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج . وروى أنه كان بين يدى سلمان وأبى الدرداء قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كم من أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله سبحانه وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا عن ذكر أسانيدها . وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال من زهد فى الدنيا أربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا فى ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم تظهر له فلعدم الصدق فى زهده فقيل لسهل كيف تظهر له الكرامة ؟ فقال يأخذ مايشاء كما يشاء من حيث يشاء أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا أبو مسلم قال حدثنا عمرو بن مرزوق قال حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون قال حدثنا وهب بن كيسان عن ابن عمر عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعدا فى السحاب فسمع صوتا فى السحاب أن اسق حديقة فلان فجاء ذلك السحاب إلى سرحة فأفرغ ماءه فيها فأتبع السحاب فإذا رجل قائم يصلى فى حديقة فقال ماسمك ؟ فقال فلان ابن فلان باسمه قال فما تصنع بحديقتك هذه إذ صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قال إنى سمعت صوتا فى السحاب أن اسق حديقة فلان قال أما إذ قلت فإنى أجعلها أثلاثا فأجعل لنفسى وأهلى ثلثا وأرد عليها ثلثا وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثا » . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول دخلنا تستر فرأينا فى قصر سهل بن عبد الله بيتا كان الناس يسمونه بيت السباع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا كان السباع تجيء إلى سهل وكان يدخلهم هذا البيت و يضيفهم و يطعمهم اللحم ثم يخليهم قال أبو نصر ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لاينكرونه وهم الجمع الكثير . سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبدالله ابن على الصوفى يقول سمعت حمزة بن عبد الله العلوى يقول دخلت على أبى الخير التيناتى وكنت اعتقدت فى نفسى أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاما فلما خرجت من عنده ومشيت قدرا فاذا به خلفى وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يافتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وأبو الخير التيناتى مشهور بالكرامات . حكى عن ابراهيم الرقى أنه قال قصدته مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى اسبع فعدت إليه وقلت إن الأسد قصدنى فخرج وصاح على الأسد وقال ألم أقل لك لاتتعرض لضيفانى وتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد . وقيل كان لجعفر الخلدى فص فوقع يوما فى دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد فدعا به فوجد الفصّ فى وسط أوراق كان يتصفحها . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السرّاج يقول : إن ذلك الدعاء ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع علىّ ضالتى قال أبو نصر السراج أرانى أبو الطيب العكى جزءا ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها وكان الجزء أوراقا كثيرة . سألت أحمد الطبرانى السرخسى رحمه الله تعالى فقلت له هل ظهر

(اعتقدت) أى قصدت (قصدته) أى أبا الخير (مستويا) لكن لايضر فى الصلاة كأن لحن لحنا لايغير المعنى وكان به عجمة منعته من التعلم (ضاعت سفرتى) لمن لايحسن قراءة الفاتحة (فوجد الفص الخ) الكرامة فيه وجوده الفص الذى سقط منه فى البحر بين الأوراق التى كان يتصفحها ولم يعرف من أتى به (إن ذلك الدعاء) الذى دعا به جعفر هو اللهم ياجامع الخ

لك شيء من الكرامات فقال فى وقت إرادتى وابتداء أمرى ربما كنت أطلب حجرا أستنجى به فلم أجد فتناولت شيئا من الهواء فكان جوهرا فاستنجيت به وطرحته ثم قال وأى خطر للكرامات إنما المقصود منه زيادة اليقين فى التوحيد فمن لايشهد غيره موجدا فى الكون فسواء أبصر فعلا معتادا أو ناقضا للعادة . سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا الحسين البصرى يقول كان بعبادان رجل أسود فقير يأوى إلى الخرابات فحملت معى شيئا وطلبته فلما وقعت عينه علىّ تبسم وأشار بيده إلى الأرض فرأيت الأرض كلها ذهبا تلمع ثم قال هات مامعك فناولته وهالنى أمره وهربت . سمعت منصورا المغربى يقول سمعت أحمد ابن عطاء الروذبارى يقول كان لى استقصاء فى أمر الطهارة فضاق صدرى ليلة لكثرة ماصببت من الماء ولم يسكن قلبى فقلت يارب عفوك فسمعت هاتفا يقول العفو فى العلم فزال عنى ذلك . سمعت منصورا المغربى يقول فرأيته يوما قعد على الأرض فى الصحراء وكان عليها آثار الغنم بلا سجادة فقلت أيها الشيخ هذه آثار الغنم فقال اختلف الفقهاء فيه . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبانصر السراج يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا سليمان الخوّاص يقول كنت راكبا حمارا يوما وكان الذباب يؤذيه فيطأطئ رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة فى يدى فرفع الحمار رأسه وقال اضرب فانك على رأسك هوذا تضرب قال الحسين فقلت لأبى سليمان لك وقع هذا فقال نعم كما تسمعنى . وذكر عن ابن عطاء أنه قال سمعت أبا الحسن النورى يقول كان فى نفسى شيء من هذه الكرامات فأخذت قصبة من الصبيان وقعت بين زورقين ثم قلت وعزتك لئن لم يخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقنّ نفسى قال فخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال فبلغ ذلك الجنيد فقال كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القوّاس ببغداد قال حدثنا محمد بن عطية قال حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال سمعت أبا بكر الصائغ قال سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال كنت بمكة فطال شعرى ولم يكن معى قطعة من حديد آخذ بها شعرى فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير وقلت تأخذ شعرى لله تعالى فقال نعم وكرامة . وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسنى وحلق شعرى ثم دفع إلىّ قرطاسا فيه دراهم وقال استعن بها على بعض حوائجك فأخذتها واعتقدت أن أدفع إليه أول شيء يفتح علىّ به قال فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض إخوانى وقال لى جاء بعض إخوانك بصرّة من من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلثمائة دينار قال فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين وقلت هذه ثلثمائة دينار وتصرفها فى بعض أمورك فقال لى ألا تستحى ياشيخ تقول لى احلق شعرى لله ثم آخذ عليه شيئا انصرف عافاك الله . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت ابن سالم يقول لما مات إسحق بن أحمد دخل سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها سفطا فيه قارورتان فى واحدة منهما شيء أحمر وفى الأخرى شيء أبيض ووجد شوشقة ذهب وشوشقة فضة قال فرمى بالشوشقتين فى الدجلة وخلط مافى القارورتين بالتراب وكان على إسحق دين قال ابن سالم قلت لسهل إيش كان فى القارورتين قال إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهبا والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة فقلت و إيش عليه لوقضى منه دينه فقال أى دوست خاف على إيمانه. وحكى عن النورى أنه خرج ليلة إلى شط دجلة فوجدها وقدالتزق الشيطان فانصرف وقال وعزتك لا أجوزها إلا فى زورق .

(سفطا) بفتح الفاء كالقفة (شوشقة) قطعة (أى دوست) بالعجمية أى ياصاحبى

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول أملى علينا الوجيهى حكاية عن محمد ابن يوسف البناء قال كان أبو تراب النخشبي صاحب كرامات فسافرت معه سنة وكان معه أربعون نفسا من أصابتنا مرة فاقة فعدل أبو تراب عن الطريق وجاء بعذق موز فتناولنا وفينا شاب فلم يأكل فقال له أبو تراب كل فقال الحال الذى اعتقدته ترك المعلومات وصرت أنت معلومى فلا أصحبك بعد هذا فقال له أبو تراب كن مع ما وقع لك . وحكى أبو نصر السراج عن أبى يزيد قال : دخل علىّ أبو على السدى وكان أستاذه و بيده جراب فصبها فاذا هى جواهر فقلت من أين لك هذا فقال وافيت واديا ههنا فاذا هو يضىء كالسراج فحملت هذا فقلت فكيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى فقال وقت فترة عن الحال التى كنت فيها وقيل لأبى يزيد فلان يمشى فى ليلة إلى مكة فقال الشيطان يمشى فى ساعة من المشرق إلى المغرب فى لعنة الله . وقيل له فلان يمشى على الماء و يطير فى الهواء فقال الطير يطير فى الهواء والسمك يمر على الماء ، وقال سهل بن عبد الله أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاقك . سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبدالله بن على الصوفى يقول سمعت ابن سالم يقول سمعت أبى يقول : كان رجل يقال له عبدالرحمن ابن أحمد يصحب سهل بن عبدالله فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدى قضبان ذهب وفضة فقال سهل أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة ليشتغلوا بها . سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبانصر السراج يقول أخبرنى جعفر بن محمد قال حدثنى الجنيد قال دخلت على السرى يوما فقال لى عصفور كان يجىء فى كل يوم فأفت له الخبز فيأكل من يدى فنزل وقتا من الأوقات فلم يسقط على يدى فتذكرت فى نفسى إيش السبب فذكرت أنى أكلت ملحا بأبزار فقلت فى نفسى لا آكل بعدها وأنا تائب منه فسقط على يدى وأكل . وحكى أبو عمرو الأنماطى قال كنت مع أستاذى فى البادية فأخذنا المطر فدخلنا مسجدا نستكن فيه وكان السقف يكف فصعدنا السطح ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف فقصر الخشب عن الجدار فقال أستاذى مدّه فمددتها فركبت الحائط من ههنا ومن ههنا . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت الرقى يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول كنت مارا فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لاتتبعها الشريعة فهى كفر وقال بعضهم كنت عند خير النساج فجاءه رجل وقال أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعت الغزل بدرهمين فجئت خلفك فحللتهما من طرف إزارك وقد صارت يدى منقبضة على كفى قال فضحك خيرا وأومأ بيده إلى يدى ففتحها ثم قال امض واشتر بهما لعيالك شيئا ولا تعد لمثله . وحكى عن أحمد بن محمد السلمى قال دخلت على ذى النون المصرى يوما فرأيت بين يديه طستا من ذهب وحوله الند والعنبر يسجر فقال لى أنت ممن يدخل على الملوك فى حال بسطهم ثم أعطانى درهما فأنفقت منه إلى بلخ . وحكى عن أبى سعيد الخراز قال كنت فى بعض أسفارى وكان يظهر لى كل ثلاثة أيام شىء فكنت آكله وأستقل به فمضى ثلاثة أيام وقتا من الأوقات ولم يظهر شىء فضعفت وجلست فهتف بى هاتف أيما أحب اليك سبب أو قوة فقلت القوة فقمت من وقتى ومشيت اثنى عشر يوما لم أذق شيئا ولم أضعف . وعن المرتعش قال سمعت الخوّاص يقول تهت فى البادية أياما فجاءنى شخص وسلم علىّ وقال لى تهت فقلت نعم فقال ألا أدلك على الطريق ومشى بين يدى خطوات ثم غاب عن عينى و إذا أنا على الجادة فبعد ذلك ماتهت ولا أصابنى فى سفر جوع ولا عطش . سمعت محمد بن عبدالله الصوفى يقول سمعت عمر بن يحيى الأردبيلى يقول سمعت الرقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول

(كن مع ماوقع لك) واعتقدته أى ابق عليه ولا تأكل علم منه أن معه قوة وزيادة يقين ومن قبيل قول الشاب فلا أصحبك بعد هذا ماوقع للخواص مع الخضر لما لقيه فى سفره وطلب منه الخضر الصحبة فامتنع خوفا من أن تسكن نفسه إليه فيفسد عليه توكله على ربه وقد قال أبو تراب لذلك الشاب ما تقول أصحابك فى الكرامات التى يكرم الله بها أولياءه فقال له ما أعرف أحدا ينكرها قال له أبو تراب من أنكرها فهو كافر ولكن بلغنى أن أصحابك يزعمون أنها خدع من الحق وليس الأمر كما ذكروه و إنما تكون خدعا لمن اختارها وسكن بقلبه إليها وأما من أعطيها ولم يسكن إليها فتلك مرتبة الربانيين (فهى كفر) أو بدعة لأنه صلى الله عليه وسلم رتب الحقيقة على الحق فى خبر حارثة فانه قال له « كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت مؤمنا حقا قال له إن لكل حق حقيقة » فرتبها على الحق والحق ماشهدت به الشريعة (الند) بفتح النون ماخلط من مسك وكافور (والعنبر يسجر) أى يوقد فى النار وفى نسخة يتبخر به أى بمجموع الأمرين

لما مات أبى ضحك على المغتسل فلم يجسر أحد يغسله وقالوا إنه حىّ حتى جاء واحد من أقرانه وغسله .
وسمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت طلحة القصائرى يقول سمعت المفتاحى صاحب سهل بن عبد الله يقول : كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوما وكان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوى وكان أبو عبيد البسرى إذا كان أوّل شهر رمضان يدخل بيتا ويقول لامرأته طينى علىّ الباب وألقى إلى كل ليلة من الكوّة رغيفا فاذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فاذا بثلاثين رغيفا فى زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولانام ولافاتته ركعة من الصلاة . وقال أبو الحرث الأولاسى مكثت ثلاثين سنة مايسمع لسانى إلا من سرى ثم تغيرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لايسمع سرى إلا من ربى . حدثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أبو الحسن غلام شعوانة قال سمعت على بن سالم يقول : كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة فى آخر عمره فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه فاذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانة . وحكى عن أبى عمران الواسطى قال انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح وقد ولدت فى تلك الحالة صبية فصاحت بى وقالت لى يقتانى العطش فقلت هوذا يرى حالنا فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهواء جالس وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا قال فأخذت الكوز وشربنا منه وإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت من أنت رحمك الله؟ فقال عبد لمولاك فقلت بم وصلت إلى هذا ؟ فقال تركت هواى لمرضاته فأجلسنى فى الهواء ثم غاب عنى ولم أره . أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا بكران بن أحمد الجيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول: رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت إنك تكثر الصلاة ! فقال أنتظر الإذن من ربى فى الانصراف قال فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق انصرف مغفورا لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخر وقال بعضهم كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده مع جماعة نتجارى الآيات ورجل ضرير بالقرب منا يسمع فتقدّم إلينا وقال أنست بكلامكم اعلموا أنه كان لى صبية وعيال وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب فخرجت يوما فرأيت شابا عليه قميص كتان ونعله فى أصبعه فتوهمت أنه تائه فقصدته أسلب ثوبه فقلت له انزع ماعليك فقال سر فى حفظ الله فقلت الثانية والثالثة فقال لابد فقلت لابد فأشار بأصبعيه من بعيد إلى عينى فسقطتا فقلت بالله عليك من أنت فقال إبراهيم الخواص .
وقال ذو النون المصرى كنت وقتا فى السفينة فسرقت قطيفة فاتهموا بها رجلا فقلت دعوه حتى أرفق به وإذا الشاب نائم فى عباءة فأخرج رأسه من العباءة فقال له ذوالنون فى ذلك المعنى فقال لى تقول ذلك أقسمت عليك يارب أن لاتدع واحدا من الحيتان إلاجاء بجوهرة قال فرأينا وجه الماء حيتانا فى أفواههم الجواهر ثم ألقى الفتى نفسه فى البحر ومر إلى الساحل وحكى عن إبراهيم الخواص قال دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه زنار فسألنى الصحبة فمشينا سبعة أيام فقال لى ياراهب الحنفية هات ماعندك من الانبساط فقد جعنا فقلت إلهى لاتفضحنى مع هذا الكافر فرأيت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت ياراهب النصارى هات ماعندك فقد انتهت النوبة إليك فانكبّ على عصاه ودعا فاذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى قال فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل فألح علىّ فلم أجبه

(ضحك على المغتسل) لما رآه عند نزع روحه مما استبشر به وسرّ به فبقيت صورة ضحكه وتبسمه فى وجهه كما قال تعالى ـ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ـ (فقال) أنا (إبراهيم الخواص) ولم يوفق من سأله بالله أن يسأله بالله أن يدعو له ليردّ الله عليه بصره وفيما ذكر إظهار الكرامة وتحذير العبد من أن يطلب ماتشتهيه نفسه من كل أحد من الناس ولا يخالف أحدا منهم مخالفة تؤدّيه إلى ضرر فربما جازاه الله بفعله من حيث لايشعر وربما كان بسبب من كان خالفه (قطيفة) يقال إنها قلادة فيها جواهر والمراد أنه سرق منها جوهرة

فقال كل فانى أبشرك ببشارتين إحداها أنى أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وحل الزنار والأخرى أنى قلت اللهم إن كان لهذا العبد خطر عندك فافتح علىّ بهذا ففتح قال فأكلنا ومشينا وحج وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات ودفن بالبطحاء وقال محمد بن المبارك الصورى كنت مع ابراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمان ياأبا إسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيئا فطأطأ إبراهيم رأسه فقال ثلاث مرات ثم قال ياأبا إسحق كن شفيعا إليه ليتناول منا شيئا فقلت ياأبا إسحق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما رجعنا مررنا بها فاذا هى شجرة عالية ورمانها حلو وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها رمان العابدين ويأوى إلى ظلها العابدون . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن الفرحان يقول سمعت الجنيد يقول سمعت أباجعفر الحصاف يقول : حدثنى جابر الرحبى قال أكثر أهل الرحبة علىّ الانكار فى باب الكرامات فركبت السبع يوما ودخلت الرحبة وقلت أين الذين يكذبون أولياء الله قال فكفوا بعد ذلك عنى . سمعت منصورا المغربى يقول : رأى بعضهم الخضر عليه السلام فقال له هل رأيت فوقك أحدا ؟ فقال نعم كان عبد الرزاق بن همام يروى الأحاديث بالمدينة والناس حوله يستمعون فرأيت شابا بالبعد منهم رأسه على ركبتيه فقلت له هذا عبد الرزاق يروى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم لاتسمع منه ؟ فقال إنه يروى عن ميت وأنا لست بغائب عن الله عز وجل فقلت له إن كنت كما تقول فمن أنا فرفع رأسه وقال أنت أخى أبو العباس الخضر فعلمت أن لله عبادا لم أعرفهم وقيل كان لابراهيم بن أدهم صاحب يقال له يحيى يتعبد فى غرفة ليس إليها سلم ولا درج فكان إذا أراد أن يتطهر يجىء إلى باب الغرفة ويقول لاحول ولا قوة إلا بالله ويمر فى الهواء كأنه طير ثم يتطهر فاذا فرغ يقول لاحول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته . أخبرنا محمد ابن عبد الله الصوفى قال سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازى بالبصرة قال سمعت أبا محمد جعفر الحذاء بشيراز قال كنت أتأدب بأبى عمر الاصطخرى فكان إذا خطر لى خاطر أخرج إلى إصطخر فربما أجابنى عما أحتاج إليه من غير أن أسأله وربما سألت فأجابنى ثم شغلت عن الذهاب فكان إذا خطر على سرى مسئلة أجابنى من اصطخر فيخاطبنى بما يرد على . وحكى بعضهم قال مات فقير فى بيت مظلم فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سراج فوقع من كوة ضوء فأضاء البيت فغسلناه فلما فرغنا ذهب الضوء كأنه لم يكن . وعن آدم بن أبى إياس قال كنا بعسقلان وشاب يغشانا ويجالسنا ويتحدث معنا فاذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلى قال فودعنى يوما وقال أريد الاسكندرية فخرجت معه وناولته دريهمات فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفا من الرمل فى ركوته واستقى من ماء البحر وقال كله فنظرت فاذا هو سويق بسكر كثير فقال من كان حاله معه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك ثم أنشأ يقول :

بحق الهوى ياأهل ودى تفهموا ... لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرّض للهوى ... يكون لغير الحق فيه نصيب

ولغيره :

ليس فى القلب والفؤاد جميعا ... موضع فارغ يراه الحبيب
هو سؤلى ومنيتى وحبيبى ... وبه ماحييت عيشى يطيب
وإذا ما السقام حل بقلبى ... لم أجد غيره لسقمى طبيب

(لم أعرفهم) يؤخذ من ذلك أن الخضر ولىّ وأنه حى وأن الولى إنما يعرف من فى درجته أو دونه لامن فوقه وقد أخبر بحياته جمع كثير من الصالحين منهم إبراهيم الخواص وإبراهيم بن أدهم (فيخاطبنى بما يرد على) فى ذلك دلالة على صحة الخواطر التى ينشئها الله فى قلوب أوليائه جوابا عما سألوا عنه أوعلقوا همهم به (ذهب الضوء كأنه لم يكن) الكرامة فيه ظهور الضوء عليه ليستكملوا به تنظيفه وحسن تجهيزه

وحكى

وحكى عن إبراهيم الآجرى قال : جاءنى يهودىّ يتقاضى علىّ فى دين كان له علىّ وأنا قاعد عند الأتون أوقد تحت الآجر فقال لى اليهودىّ يا إبراهيم أرنى آية أسلم عليها فقلت له تفعل قال نعم فقلت انزع ثوبك فنزع فلففته ولففت على ثوبه ثوبى وطرحته فى النار ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر فاذا ثيابى بحالها لم يصبها شىء وثيابه فى وسطها صارت حراقة فأسلم اليهودىّ ، وقيل كان حبيب العجمى يرى بالبصرة يوم التروية ويوم عرفة بعرفات . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغانى يقول : تزوّج عباس بن المهتدى امرأة ، فلما كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامة فلما أراد الدنوّ منها زجر عنها فامتنع من وطئها وخرج فبعد ثلاثة أيام ظهرلها زوج . قال الأستاذ : هذا هو الكرامة على الحقيقة حيث حفظ عليه العلم ، وقيل كان الفضيل على جبل من جبال منى ، فقال لو أن وليا من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد قال فتحرك الجبل فقال اسكن لم أردك بهذا فسكن الجبل وقال عبد الواحد بن زيد لأبى عاصم البصرى كيف صنعت حين طلبك الحجاج ؟ قال كنت فى غرفتى فدقوا علىّ الباب فدخلوا فدفعت بى دفعة فاذا أنا على أبى قبيس بمكة فقال لى عبد الواحد من أين كنت تأكل ؟ قال كانت تصعد إلىّ عجوز كل وقت إفطارى بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة فقال عبد الواحد تلك الدنيا أمرها الله تعالى أن تخدم أباعاصم ، وقيل كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئا وكان إذا أتى منزله رمى إليه بالدراهم فيكون بمقدار ما أخذه لم ينقص شيئا . سمعت أباعبد الله الشيرازى يقول سمعت أبا أحمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول سمعت أبا عمر الزجاجى يقول : دخلت على الجنيد وكنت أريد أن أخرج إلى الحج فأعطانى درهما صحيحا فشددته على مئزرى فلم أدخل منزلا إلا وجدت رفقاء ولم أحتج إلى الدرهم فلما حججت ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد فمدّ يده وقال هات فناولته الدرهم ، فقال كيف كان ؟ فقلت كان الحتم نافذا وحكى عن أبى جعفر الأعور قال : كنت عند ذى النون المصرى فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء ، فقال ذو النون : من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مكانه فيفعل قال فدار السرير فى أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه وكان هناك شاب فأخذ يبكى حتى مات فى الوقت ، وقيل إن واصلا الأحدب قرأ ـ وفى السماء رزقكم وما توعدون ـ فقال رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ، والله لاطلبته أبدا فدخل خربة ومكث يومين فلم يظهر عليه شىء فاشتدّ عليه ، فلما كان اليوم الثالث إذا بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن منه نية فصار معه فاذن قد صارتا دوخلتين فلم يزل ذلك حالهما حتى فرق بينهما الموت . وقال بعضهم : أشرفت على إبراهيم بن أدهم وهو فى بستان يحفظه وقد أخذه النوم وإذا حية فى فيها طاقة نرجس تروحه بها ، وقيل كان جماعة مع أيوب السجستانى فى السفر فأعياهم طلب الماء فقال أيوب أتسترون علىّ ماعشت فقالوا نعم فدوّر دائرة فنبع الماء فشربنا . قال فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد فقال عبد الواحد بن زيد شهدت معه ذلك اليوم ، وقال بكر بن عبد الرحمن كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقال أتشتهون الرطب وحرك الشجرة وقال أقسمت عليك بالذى ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطبا جنيا ثم حركها فنثرت رطبا جنيا فأكلنا وشبعنا ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكا . وحكى عن أبى القاسم بن مروان النهاوندى قال كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبى سعيد الخراز نمشى على ساحل البحر نحو

(أن تخدم أبا عاصم) الكرامة فيه مع مامرّ حصول الرغيفين له كل ليلة عند إفطاره من حيث لايحتسب (لم ينقص شيئا) هذه كرامة نزول البركة فى المال الحلال الذى مع الصالحين حيث لم ينقص شيئا بالتصدّق منه (رفقاء) أى رفقة كما فى نسخة ارتفق بهم فيما احتاجه من مأكل وغيره (فمدّ يده) إلىّ (وقال) لى مكاشفة بأن الدرهم معى ولم أحتج إليه (هات) أى الدرهم الذى أعطيتكه (الحتم) بالمهملة أى الأمر

صيدا فرأى شخصا من بعيد فقال اجلسوا لايخلو هذا الشخص أن يكون وليا من أولياء الله قال فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه و بيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة فالتفت أبو سعيد إليه منكرا عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له يافتى كيف الطرق إلى الله تعالى ؟ فقال ياأبا سعيد أعرف إلى الله طريقين طريقا خاصا وطريقا عاما فأما الطريق العام فالذى أنت عليه وأما الطريق الخاص فهلم ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقى أبو سعيد حيران مما رأى وقال الجنيد جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون فى الآيات فقال فقير منهم أعرف رجلا لو قال لهذه الأسطوانة كونى ذهبا نصفك ونصفك فضة كانت قال الجنيد فنظرت فاذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة وقيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى فعرض لهم سبع فقال سفيان لشيبان أما ترى هذا السبع فقال لا تخف فأخذ شيبان أذنه فعركها فبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ما هذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى إلا على ظهره حتى آتى مكة . وحكى أن السرى لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها فأبطأت يوما فقال لها السرى لم أبطأت فقالت لأن غزلى لم يشتر وذكروا أنه مخلط فامتنع السرى عن طعامها ثم إن أخته دخلت عليه يوما فرأت عجوزا تكنس بيته وتحمل كل يوم إليه رغيفين فحزنت أخته وشكت إلى أحمد ابن حنبل فقال أحمد بن حنبل للسرى فيه فقال لما امتنعت من أكل طعامها قيض الله لى الدنيا لتنفق علىّ وتخدمنى . أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا على بن هرون قال حدثنا على ابن أحمد التميمى قال حدثنا جعفر بن القاسم الخواص قال حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال كنت عند أبى محفوظ معروف الكرخى فدعا لى ورجعت إليه من الغد وفى وجهه أثر فقال له إنسان يا أبا محفوظ كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر فما هذا فقال سل عما يعنيك فقال الرجل بمعبودك أن تقول فقال صليت البارحة ههنا واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة وطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهى ماتراه وقيل كان عتبة الغلام يقعد فيقول ياورشان إن كنت أطوع لله عز وجل منى فتعال واقعد على كتفى فيجىء الورشان و يقعد على كفه. وحكى عن أبى على الرازى أنه قال مررت يوما على الفرات فعرضت لنفسى شهوة السمك الطرى فاذا الماء قد قذف سمكة نحوى و إذا رجل يعدو و يقول أشويها لك فقلت نعم فشواها فقعدت وأكلتها . وقيل كان إبراهيم بن أدهم فى رقعة فعرض لهم السبع فقالوا ياأبا إسحق قد عرض لنا السبع فجاء إبراهيم وقال ياأسد إن كنت أمرت فينا بشىء فامض و إلا فارجع فرجع الأسد ومضوا وقال حامد الأسود كنت مع الخواص فى البرّية فبتنا عند شجرة وجاء السبع فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذنى النوم ونام إبراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه ثم مضى فلما كانت الليلة الثانية بتنا فى مسجد فى قرية فوقعت بقة على وجهه فضربته فأنّ أنة فقلت هذا عجب البارحة لم تجزع من الأسد والليلة تصيح من البق فقال أما البارحة فتلك حالة كنت فيها بالله عز وجل وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها بنفسى . وحكى عن عطاء الأزرق أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ليشترى الدقيق لهم فخرج من بيته فلقى جارية تبكى فقال لها مابالك فقالت دفع إلىّ مولاى درهمين أشترى لهم شيئا فسقطا منى فأخاف أن يضربنى فدفع عطاء الدرهمين إليها ومر وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الساج وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته فقال له صاحبه خذ من هذه النشارة فى هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها فى سجر التنور إذ ليس يساعدنى الإمكان فى شىء آخر فحمل النشارة وفتح باب داره ورمى بالجراب ورد الباب ودخل

(لما وضعت زادى الخ) فيه دلالة على أن الكرامات إنما يظهرها الأولياء لأقرانهم ومن قاربهم ليقوى يقينهم وترتفع همتهم ولا شهرة فى ذلك . إنما الشهرة لمن لايقتدى به ولا ينتفع بها بل قد يتضرر بانكارها (قيض الله لى الدنيا) أى جاءنى بها على يد من شاء من أوليائه (تخدمنى) هى وأظهر ذلك لأخته فى صورة امرأة ليسكن قلبها وتطلع عليه وتعلم أنه تعالى لايضيع أخاها (ياورشان) بفتح الواو والراء طير (نحوى) أى جهتى

المسجد إلى مابعد العتمة ليكون النوم أخذهم ولاتستطيل عليه المرأة فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز فقال من أين لكم هذا الخبز ؟ فقالوا من الدقيق الذى كان فى الجراب لاتشتر غير هذا الدقيق قال أفعل إن شاء الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن بركات يقول : كنت أجالس الفقراء ففتح علىّ بدينار فأردت أن أدفعه إليهم ثم قلت فى نفسى لعلى أحتاج إليه فهاج بى وجع الضرس فقلعت سنا فوجعت الأخرى حتى قلعتها فهتف بى هاتف إن لم تدفع إليهم الدينار فلا يبقى فى فمك سن واحدة. قال الأستاذ :وهذا فى باب الكرامة أتم من أن كان يفتح عليه دنانير كثيرة بنقض العادة . وحكى أبوسليمان الدارانى قال : خرج عامر بن عبد قيس إلى الشام ومعه شكوة إذا شاء صبّ منها ماء يتوضأ للصلاة و إذا شاء صبّ منها لبنا يشربه . وروى عثمان بن أبى العاتكة قال : كنا فى غزاة فى أرض الروم فبعث الوالى سرية إلى موضع وجعل الميعاد يوم كذا قال فجاء الميعاد ولم تقدم السرية فبينا أبومسلم يصلى إلى رحله الذى ركزه فى الأرض جاء طير إلى رأس السنان وقال إن السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا فى وقت كذا فقال أبومسلم للطير من أنت رحمك الله تعالى ؟ فقال أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين فجاء أبومسلم إلى الوالى وأخبره ، فلما كان اليوم الذى قال أتت السرية على الوجه الذى قال . وعن بعضهم قال : كنا فى مركب فمات رجل كان معنا عليل فأخذنا فى جهازه وأردنا أن نلقيه فى البحر فصار البحر جافا ونزلت السفينة فخرجنا وحفرنا له قبرا ودفناه فلما فرغنا استوى الماء وارتفع المركب وسرنا . وقيل إن الناس أصابتهم مجاعة بالبصرة فاشترى حبيب العجمى طعاما بالنسيئة وفرّقه على المساكين وأخذ كيسه فجعله تحت رأسه فلما جاءوا يتقاضونه أخذه واذا هو مملوء دراهم فقضى منها ديونهم . وقيل أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة فأبوا إلا أن يعطيهم دينارا فصلى على الشط ركعتين وقال اللهم إنهم قد سألونى ماليس عندى فصار الرمل دنانير . حدّثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدّثنا عبدالعزيز بن الفضل قال حدثنا محمد بن أحمد المروزى قال حدثنا عبد الله بن سليمان قال قال أبوحمزة نصر بن الفرج خادم أبى معاوية الأسود قال : كان أبومعاوية ذهب بصره فاذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيردّ الله عليه بصره فاذا أطبق المصحف ذهب بصره . وقال أحمد بن الهيثم المتطيب : قال لى بشر الحافى قل لمعروف الكرخى إذا صليت جئتك قال فأدّيت الرسالة وانتظرته فصلينا الظهر ولم يجىء ثم صلينا العصر ثم المغرب ثم العشاء فقلت فى نفسى سبحان الله مثل بشر يقول شيئا ثم لايفعل لايجوز أن لايفعل وانتظرته وأنا فوق مسجد على مشرعة فجاء بشر بعد هوى من الليل وعلى رأسه سجادة فتقدّم إلى دجلة ومشى على الماء فرميت بنفسى من السطح وقبلت يديه ورجليه وقلت ادع الله لى فدعا لى وقال استره علىّ قال فلم أتكلم بهذا حتى مات . أخبرنا أبوعبد الله الشيرازى قال حدثنا أبوالفرج الورثانى قال سمعت على بن يعقوب بدمشق قال سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت قاسما الجرعى يقول : رأيت رجلا فى الطواف لايزيد على قوله : إلهى قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتى ، فقلت مالك لاتزيد على هذا الدعاء ؟ فقال أحدّثك اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى خرجنا إلى الجهاد فأسرنا الروم ومضوا بنا لنقتل فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين فقدم واحد منا فضربت عنقه فرأيت جارية منهنّ هبطت إلى الأرض بيدها منديل فقبضت روحه حتى ضرب أعناق ستة منا فاستوهبنى بعض رجالهم فقالت الجارية أىّ شىء فاتك يامحروم وغلقت الأبواب فأنا ياأخى متأسف متحسر على مافاتنى قال قاسم

(فلما فرغنا) من دفنه وركبنا السفينة (استوى الماء) كما كان وارتفع المركب عليه وسرنا إلى مقصدنا (فيردّ الله عليه بصره) إكراما له فإنّ فى القراءة فى المصحف زيادة أجر على القراءة بالغائب لاستعمال أكثر الأعضاء فيها ولأنها أقوى تدبرا (حتى مات) رضى الله عنه الكرامة فيه مشيه على الماء ، وقوله إذا صليت أتيتك كأنه بنية صلاة العشاء ومع ماعادته أن يصليه بعدها وظنّ الرسول أنه أراد عقب صلاة واجبة من الصلوات المذكورة فلما تخلف عن ذلك أساء به الظنّ

الجرعى : أراه أفضلهم لأنه رأى مالم يروا وعمل على الشوق بعدهم . وسمعته يقول سمعت أبا النجم أحمد بن الحسين بخورستان يقول سمعت أبا بكر الكتانى يقول كنت فى طريق مكة فى وسط السنة فإذا أنا بهميان ملآن يلتمع دنانير فهممت أن أحمله لأفرقه بمكة على الفقراء فهتف بى هاتف إن أخذته سلبناك فقرك . حدثنا محمد بن محمد بن عبدالله الصوفى قال حدثنا أحمد بن يوسف الخياط قال سمعت أباعلى الروذبارى يقول سمعت أباالعباس الشرفى يقول: كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه أنا عطشان فضرب برجله الأرض فإذا عين من ماء زلال فقال الفتى أحب أن أشرب فى قدح فضرب بيده إلى الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن مارأيت فشرب وسقانا ومازال القدح معنا إلى مكة فقال لى أبوتراب يوما مايقول أصحابك فى هذه الأمور التى يكرم الله بها عباده فقلت مارأيت أحدا إلاوهو يؤمن بها فقال من لم يؤمن بها فقد كفر إنما سألتك من طريق الأحوال فقلت ماأعرف لهم قولا فيه قال بلى قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق وليس الأمر كذلك إنما الخدع فى حال السكون إليها فأما من لم يقترح ذلك ولم يسا كنها فتلك مرتبة الربانيين . حدثنا محمد بن عبلة الصوفى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت محمد بن الحسين الخلدى بطرسوس قال سمعت أباعبدالله بن الجلاء يقول كنا فى غرفة سرى السقطى ببغداد فلما ذهب من الليل شىء لبس قميصا نظيفا وسراويل ورداء ونعلا وقام ليخرج فقلت إلى أين فى هذا الوقت فقال أعود فتحا الموصلى فلما مشى فى طرقات بغداد أخذه العسس وحبسوه فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقفت يده فلم يقدر أن يحركها فقيل للجلاد اضرب فقال بحذائى شيخ واقف يقول لاتضربه فتقف يدى لاتتحرك فنظروا من الرجل فإذا هو فتح الموصلى فلم يضربوه . أخبرنا الشيخ أبوعبدالرحمن السلمى قال حدثنا الحرث الخطابى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا على بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال كان أناس من قريش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد فأتوه يوما وقالوا إنا نخاف من الضيقة والحاجة فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إنى أسألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من أوليائك وتلهمه الصفىّ من أحبابك أن تأتينا برزق من لدنك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنان المنان القديم الاحسان اللهم الساعة الساعة قال فسمعت والله قعقعة للسقف ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم فقال عبدالواحد بن زيد استغنوا بالله عزّ وجل عن غيره فأخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد شيئا . سمعت أبا عبدالله الشيرازى يقول سمعت أباعبدالله محمد بن على الجوزى بجند يسابور(١) قال سمعت الكتانى يقول رأيت بعض الصوفية وكان غريبا ما كنت أثبته قد تقدم إلى الكعبة وقال يارب ما أدرى مايقول هؤلاء يعنى الطائفين فقيل له انظر مافى هذه الرقعة قال فطارت الرقعة فى الهواء وغابت . وسمعته يقول سمعت عبدالواحد ابن بكر الورثانى يقول سمعت محمد بن على بن الحسين المقرى بطرسوس يقول سمعت أبا عبدالله ابن الجلاء يقول اشتهت والدتى على والدى يوما من الأيام سمكا فمضى والدى إلى السوق وأنا معه فاشترى سمكا ووقف ينتظر من يحمله فرأى صبيا وقف بحذائه مع صبى فقال ياعم تريد من يحمله فقال نعم فحمله ومشى معنا فسمعنا الأذان فقال الصبى أذن المؤذن وأحتاج أن أتطهر وأصلى فان رضيت وإلا فاحمل السمك ووضع الصبى السمك ومر فقال أبى فنحن أولى أن نتوكل فى السمك فدخلنا المسجد فصلينا وجاء الصبى وصلى فلما خرجنا فإذا بالسمك موضوع مكانه فحمله الصبى ومضى معنا إلى دارنا فذكر والدى ذلك لوالدتى فقالت قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا

(١ قوله بجند يسابور) قال شيخ الإسلام لعله اسم مكان اه وفى تقويم البلدان لأبى الفداء من اللباب بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحت وفتح السين المهملة وألف وباء وواو وراء مهملة مدينة خصبة كثيرة الخير وبها قبر الملك يعقوب الصفار وهى من خوزستان ومنها إلى تستر ثمانية فراسخ وإلى مدينة السوس ستة فراسخ اه

فقلنا له فقال إنى صائم فقلنا فتعود إلينا بالعشى فقال إذا حملت مرة فى اليوم لا أحمل ثانيا ولكنى سأدخل المسجد إلى المساء ثم أدخل عليكم فمضى فلما أمسينا دخل الصبى وأكلنا فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة فتركناه فى بيت فلما كان فى بعض الليل كان لقريب لنا بنت زمنة فجاءت تمشى فسألناها عن حالها فقالت قلت يارب بحرمة ضيفنا أن تعافينى فقمت قالت فمضينا لنطلب الصبى فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجد الصبى فقال أبى فمنهم صغير ومنهم كبير . سمعت محمد بن الحسين يقول حدثنا أبو الحرث الخطابى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا على بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال أتيت عبدالواحد ابن زيد وهو جالس فى ظل فقلت له لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل فقال ربى أعلم بمصالح عباده ثم أخذ حصى من الأرض ثم قال اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا فعلت فإذا هى والله فى يده ذهب فألقاها إلى وقال أنفقها أنت فلا خير فى الدنيا إلا للآخرة . سمعت محمد بن عبدالله الصوفى يقول سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الدقى يقول سمعت أحمد بن منصور يقول قال لى أستاذى أبو يعقوب السوسى غسلت مريدا فأمسك إبهامى وهو على المغتسل فقلت يابنى خل يدى أنا أدرى أنك لست بميت و إنما هى نقلة من دار إلى دار فخلى يدى وسمعته يقول : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسى يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: صحبنى شاب حسن الإرادة فمات فاشتغل قلبى به جدا وتوليت غسله فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة فأخذها منى وناولنى يمينه فقلت صدقت يابنى أنا غلطت . وسمعته يقول سمعت أبا النجم المقرى البردعى بشيراز يقول سمعت الدقى يقول سمعت أحمد بن منصور يقول سمعت أبا يعقوب السوسى يقول : جاءنى مريد بمكة فقال يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفرلى بنصفه وكفنى بنصفه الآخر ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعته فى اللحد ففتح عينيه فقلت أحياة بعد موت ؟ فقال أنا حى وكل محب لله حى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول سمعت أبا على بن وصيف المؤدب يقول تكلم سهل بن عبد الله يوما فى الذكر فقال إن الذاكر لله على الحقيقة لو هم أن يحيى الموتى لفعل ومسح يده على عليل بين يديه فبرئ وقام . سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول أخبرنى على بن إبراهيم بن أحمد قال حدثنا عثمان بن أحمد قال حدثنا الحسين بن عمر قال سمعت بشر بن الحرث يقول : كان عمرو بن عتبة يصلى والغمام فوق رأسه والسباع حوله تحرك أذنابها . وسمعته يقول سمعت أباعبد الله بن مفلح يقول سمعت المغازلى يقول سمعت الجنيد يقول كانت معى أربعة دراهم فدخلت على السرى وقلت هذه أربعة دراهم حملتها إليك فقال أبشر ياغلام بأنك تفلح كنت أحتاج إلى أربعة دراهم فقلت اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك. وسمعته يقول حدثنى إبراهيم بن أحمد الطبرى قال حدثنا أحمد بن يوسف قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيى قال حدثنى أبى قال حدثنى أبو إبراهيم اليمانى قال خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتهينا إلى غيضة فيها حطب يابس كثير و بالقرب منه حصن فقلنا لإبراهيم بن أدهم لو أقمنا الليلة ههنا وأوقدنا من هذا الحطب فقال افعلوا فطلبنا النار من الحصن فأوقدنا وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل فقال واحد منا ماأحسن هذا الجمر لو كان لنا لحم نشويه عليه فقال إبراهيم بن أدهم إن الله تعالى لقادر على أن يطعمكموه قال فبينا نحن كذلك إذا بأسد يطرد إيلا فلما قرب منا وقع فاندقت عنقه فقام إبراهيم بن أدهم وقال اذبحوه فقد أطعمكم الله فذبحناه وشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت

(فمنهم) أى الأولياء (صغير ومنهم كبير) فى ذلك كرامات لاتخفى ودلالة على أن هذا الصبى كان وليا وأنه كان يأكل من كسبه وأنه إذا حمل مرة لايحمل ثانيا وأنه لما زهد فى أجرته وهان عليه تركها لأجل الصلاة لما أذن المؤذن أثر صدقه فى أصحاب السمك حتى تركوه وصلوا معه والسمك مكانه لم يصبه شىء (فألقاها إلى) ليعرفنى أن الله على كل شىء قدير (أناغلطت) الكرامة فى ذلك ظاهرة وفيه حفظ الغاسل والمغسول (أيلا) بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء الذكر من الأوعال قاله الجوهرى (فاندقت عنقه) ولم يصل إلى حركة المذبوح وفى نسخة ومدعنقه (فذبحناه وشوينا من لحمه الخ) الكرامة فى ذلك أنهم لما تمنوا من الله أن يأتيهم باللحم يشوونه و يأكلونه أتاهم الله به على الوجه المذكور

أبا القاسم عبد الله بن علىّ الشجرى يقول سمعت حامدا الأسود يقول : كنت مع إبراهيم الخوّاص فى البادية سبعة أيام على حالة واحدة ، فلما كان السابع ضعفت فجلست فالتفت إلىّ وقال مالك فقلت ضعفت فقال : أيما أغلب عليك الماء أوالطعام ؟ فقلت الماء ، فقال الماء وراءك فالتفت فاذا عين ماء كاللبن الحليب فشربت وتطهرت وإبراهيم ينظر ولم يقربه . فلما أردت القيام هممت أن أحمل منه فقال امسك فانه ليس مما يتزوّد منه . سمعت أباعبد الله بن عبد الله يقول سمعت أبا عبدالله الدباس البغدادى يقول: سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول سمعت زيتونة خادمة أبى الحسين النورى وكانت تخدمه ، وخدمت أبا حمزة والجنيد قالت : كان يوم بارد فقلت للنورى أحمل إليك شيئا ؟ فقال نعم ،فقلت إيش تريد؟ قال خبز ولبن فحملت وكان بين يديه فحم وكان يقلبها بيده وقد اشتعلت فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها سواد الفحم فقلت فى نفسى: ما أقذر أولياءك يارب مافيهم أحد نظيف . قالت فخرجت من عنده فتعلقت بى امرأة وقالت سرقت لى رزمة ثياب وجرونى إلى الشرطى فأخبر النورى بذلك فخرج وقال للشرطى لاتتعرّضوا لها فانها ولية من أولياء الله تعالى فقال الشرطى كيف أصنع والمرأة تدعى . قال فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة فاستردّ النورى المرأة وقال لها لاتقولين بعدها ما أقذر أولياءك ، قالت فقلت تبت إلى الله تعالى . سمعت محمد بن عبد الله الشيرازى يقول سمعت محمد بن فارس الفارسى يقول سمعت أبا الحسن خيرا النساج يقول سمعت الخوّاص يقول : عطشت فى بعض أسفارى وسقطت من العطش فاذا أنا بماء رشّ على وجهى ففتحت عينى فاذا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقانى الماء وقال كن رديفى وكنت بالحجاز فما لبثت إلا يسيرا فقال لى ماترى فقلت أرى المدينة فقال انزل وأقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل أخوك الخضر يقرئك السلام . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول قال أبو الحديد سمعت المظفر الجصاص يقول : كنت أنا ونصر الخراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط إن الذاكر لله تعالى فائدته فى أوّل ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله تعالى ذكره قال فخالفته فقال لو كان الخضر عليه السلام ههنا لشهد بصحته قال فاذا نحن بشيخ يجىء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم وقال صدق الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله تعالى له ذكره فعلمنا أنه الخضر عليه السلام . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول: جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال : إن الناس يقولون إنك تمشى على الماء فقال سل مؤذن المحلة فانه رجل صالح لا يكذب قال فسألته : فقال المؤذن لا أدرى هذا ولكنه كان فى بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهر فوقع فى الماء فلو لم أكن أنا لبقى فيه . قال الأستاذ أبو على الدقاق : إن سهلا كان بتلك الحالة التى وصف ، ولكن الله تعالى يريد أن يستر أولياءه فأجرى ماوقع من حديث المؤذن والحوض سترا لحال سهل وسهل كان صاحب الكرامات ، وفى قريب من هذا المعنى ماحكى عن أبى عثمان المغربى قال رأيته بخط أبى الحسين الجرجانى قال أردت مرة أن أمضى إلى مصر فخطر لى أن أركب السفينة ثم خطر ببالى أنى أعرف هناك خفت الشهرة فمرّ مركب فبدا لى فمشيت على الماء ولحقت بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون ولم يقل أحد إن هذا ناقض للعادة أوغير ناقض فعرفت أن الولىّ مستور وإن كان مشهورا . ومما شاهدنا من أحوال الأستاذ أبى على الدقاق رضى الله عنه معاينة أنه كان به علة حرقة البول وكان يقوم فى ساعة غير مرة حتى كان يجدّد الوضوء غير مرة لركعتى فرض وكان يحمل معه قارورة فى طريق المجلس ور بما كان يحتاج

(قالت فقلت تبت إلى الله تعالى) فى ذلك كرامة لها وله أما لها فتعجيل أدبها فى الدنيا على ما قالت له وأما له فمكاشفته لما قالت

إليها

إليها فى الطريق مرات ذاهبا وجائيا وكان إذا قعد على رأس الكرسى يتكلم لايحتاج إلى الطهارة ولوامتد به المجلس زمانا طويلا وكنا نعاين ذلك منه سنين ولم يقع لنا فى حياته أن هذا شىء ناقض لعادته و إنما وقع لى هذا وفتح على علمه بعد وفاته . وفى قريب من هذا مايحكى عن سهل بن عبدالله أنه كان قد أصابته زمانة فى آخر عمره وكان ترد عليه القوة فى أوقات الفرض فيصلى قائما ومن المشهور أن عبد الله الوزان كان مقعدا وكان فى السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع .سمعت محمد ابن عبد الله الصوفى يقول حدثنا إبراهيم بن محمد المالكى قال حدثنا يوسف بن أحمد البغدادى قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال حججت أنا وأبو سليمان الدارانى فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة منى فقلت لأبى سليمان فقدت السطيحة و بقينا بلا ماء وكان برد شديد فقال أبو سليمان ياراد الضالة و ياهاديا من الضلالة اردد علينا الضالة فاذا واحد ينادى من ذهبت له سطيحة قال فقلت أنا فأخذتها فبينا نحن نسير وقد تدرعنا بالفراء لشدة البرد فاذا نحن بانسان عليه طمران وهو يترشح عرقا فقال أبو سليمان تعال ندفع إليك شيئا مما علينا من الثياب فقال ياأباسليمان أتشير إلى بالزهد وأنت تجد البرد أنا أسيح فى هذه البرية منذ ثلاثين سنة ماانتفضت ولا ارتعدت يلبسنى الله فى البرد فيحا من محبته و يلبسنى فى الصيف مذاق برد محبته ومر . وسمعته يقول سمعت أبا بكر محمد بن على التكريتى يقول سمعت محمد بن على الكتانى بمكة يقول سمعت الخواص يقول كنت فى البادية مرة فسرت فى وسط النهار فوصلت إلى شجرة و بالقرب منها ماء فنزلت فاذا أنا بسبع عظيم أقبل فاستسلمت فلما قرب منى إذا هو يعرج فحمحم و برك بين يدى ووضع يده فى حجرى فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح وشددت على يده خرقة ومضى فاذا أنابه بعد ساعة ومعه شبلان يبصبصان لى وحملا إلى رغيفا . وسمعته يقول حدثنا أحمد بن على السائح قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال حدثنا محمد بن الحسن العسقلانى قال حدثنا أحمد ابن أبى الحوارى قال اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماءه وانطلقنا به إلى الطبيب وكان نصرانيا فبينا نحن بين الحيرة والكوفة استقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا إلى أين تريدون فقلنا نريد فلانا الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله أضربوا به الأرض وارجعوا إلى بن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل ـ و بالحق أنزلناه و بالحق نزل ـ ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل فعوفى فى الوقت فقال ذلك كان الخضر عليه السلام . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفى يقول سمعت عمى البسطامى يقول كنا قعودا فى مجلس أبى يزيد البسطامى فقال قوموا بنا نستقبل وليا من أولياء الله تعالى فقمنا معه فلما بلغنا الدرب فاذا إبراهيم بن شيبة الهروى فقال له أبو يزيد وقع فى خاطرى أن أستقبلك وأشفع لك إلى ربى فقال إبراهيم بن شيبة لوشفعك فى جميع الخلق لم يكن بكثير إنما هم قطعة طين فتحير أبو يزيد من جوابه قال الأستاذ وكرامة إبراهيم فى استصغار ذلك أتم من كرامة أبى يزيد فيما حصل له من الفراسة وصدق له من الحالة فى باب الشفاعة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سأله سالم المغربى عن أصل توبته فقال خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق ثم انتبهت وفتحت عينى فاذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة وفى إحداها سمسم وفى الأخرى ماء ورد فأكلت من هذه وشربت من هذه

(يقوم ويستمع) فى كل من هذه الحكايات الثلاث كرامة وعون لصاحبها على مطلوبه ودلالة على صدقه فى طاعة الله (السطيحة) أى القربة (قال فقلت أنا وأخذتها منه) هذه كرامة إجابة دعاء أبى سليمان (طمران) أى ثوبان خلقان (وهو يترشح عرقا) هذه كرامة حيث لايبالى بحر ولا برد لكمال شغله بربه (فحمحم) أى صوت لطلب ماينفعه يقال حمحم الفرس إذا صوت لطلب علفه (ووضع يده فى حجرى) كأنه يشتكى مابه (فى باب الشفاعة) ولا يخفى أن الشفاعة فى جميع الخلق خاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام وعلى هذا فكرامة أبى يزيد أتم (فأكلت من هذه وشربت من هذه) رزقها الله ذلك مع أنها لاتستطيع حيلة فى الرزق

فقلت حسبى تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى وقيل أصاب عبد الواحد بن زيد فالج فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء فقال من ههنا فلم يجبه أحد فخاف فوت الوقت فقال يارب أحلانى من وثاقى حتى أقضى طهارتى ثم شأنك وأمرك قال فصح حتى أكمل طهارته ثم عاد إلى فراشه وصار كما كان وقال أيوب الجمال كان أبو عبد الله الديلمى إذا نزل منزلا فى سفر عمد إلى حماره وقال فى أذنه كنت أريد أن أشدك فالآن لاأشدك وأرسلك فى هذه الصحراء لتأكل الكلأ فاذا أردنا الرحيل فتعال فاذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار . وقيل زوج أبو عبد الله الديلمى ابنته واحتاج إلى مايجهزها به وكان له ثوب يخرج به كل وقت فيشترى بدينار فخرج له ثوب فقال له البياع إنه يساوى أكثر من دينار فلم يزالوا يزيدون فى ثمنه حتى بلغ مائة دينار فجهزها وقال النضر بن شميل ابتعت إزارا فوجدته قصيرا فسألت ربى تعالى أن يمغط لى ذرعا ففعل قال الأستاذ أى يمد من مغط القوس وهو مده قال النضر ولو استزدته لزادنى وقيل كان عامر بن عبد قيس سأل أن يهون عليه طهوره فى الشتاء فكان يؤتى به وله بخار وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لايبالى بهن وسأله أن يمنع الشيطان من قلبه وهو فى صلاته فلم يجب إليه وقال بشر بن الحرث دخلت الدار فاذا أنا برجل فقلت من أنت دخلت دارى بغير إذنى فقال أخوك الخضر فقلت ادع الله لى فقال هوّن الله عليك طاعته فقلت زدنى فقال وسترها عليك وقال إبراهيم الخواص دخلت خربة فى بعض الأسفار فى طريق مكة بالليل فاذا فيها سبع عظيم خفت فهتف بى هاتف اثبت فانك حولك سبعين ألف ملك يحفظونك أخبرنا محمد بن الحسين قال أخبرنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت أبا الحسن على بن محمد الصوفى يقول سمعت جعفرا الدبيلى يقول دخل النورى الماء فجاء لص فأخذ ثيابه ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده فقال النورى قد ردّ علينا الثياب فرد عليه يده فعوفى وقال الشبلى اعتقدت وقتا أن لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى إليها لآكل فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لاتأكل منى فانى ليهودى وقال أبو عبد الله ابن خفيف دخلت بغداد قاصدا إلى الحج وفى رأسى نخوة الصوفية ولم أكل الخبز أربعين يوما ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب الماء إلى زبالة وكنت على طهارتى فرأيت ظبيا على رأس البئر وهو يشرب وكنت عطشانا فلما دنوت من البئر ولى الظبى وإذا الماء فى أسفله فمشيت وقلت ياسيدى مالى محل هذا الظبى فسمعت من خلفى جرّ بناك فلم تصبر ارجع وخذ الماء فرجعت فاذا البئر ملأى ماء فملأت ركوتى وكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد ولما استقيت سمعت هاتفا يقول إن الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت مع الركوة والحبل فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد علىّ قال لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك لو صبرت صبر ساعة .

سمعت حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى يقول سمعت أبا أحمد بن عدىّ الحافظ يقول سمعت أحمد بن حمزة بمصر يقول حدثنى عبد الوهاب وكان من الصالحين قال قال محمد بن سعيد البصرى بينا أنا أمشى فى بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا فالتفت فاذا الجمل قد وقع ميتا ووقع الرحل والقتب فمشيت ثم التفت فاذا الأعرابى يقول يامسبب كل سبب ويامولى من طلب ردّ علىّ ماذهب من جمل يحمل الرحل والقتب وإذ الجمل قائم والرحل والقتب فوقه . وقيل إن شبلا المروزى اشتهى لحما فأخذ بنصف درهم فاستقبلته منه حدأة فى الطريق فدخل شبل مسجدا ليصلى فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحما فقال من أين هذا فقالت تنازعت حدأتان فسقط هذا منهما فقال شبل الحمد لله الذى لم ينس شبلا وإن كان شبل كثيرا ينساه

(حسبى) أى كفانى (قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى) ربى أطلعه ربه على هذه الخوارق تقوية ليقينه وتوكله وكمالا لشغله بربه وإعراضا عما سواه (فسقط هذا منهما) فى دارنا ووضعته له فعرف أنه لحمه وأن الحدأة لما رأتها حدأة أخرى تنازعتا فسقط اللحم منهما إذ لولم يعرف أنه لحمه لوجب تعريفه لكونه لقطة (وإن كان شبل كثيرا ينساه) الكرامات فيه من حيث إن الله حفظ عليه قوته وقوت عياله عند الحاجة إليه

أخبرنا

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثانى قال سمعت محمد بن داود يقول سمعت أبا بكر بن معمر يقول سمعت ابن أبى عبيد البسرى يحدث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين فخرج فى السرية فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية فقال يارب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى يعنى قريته فإذا المهر قائم فلما غزا ورجع إلى بسرى قال يابنى خذ السرج عن المهر فقلت إنه عرق فان أخذت السرج داخله الريح فقال يابنى إنه عارية قال فلما أخذت السرج وقع المهر ميتا وقيل كان بعضهم نباشا فتوفيت امرأة فصلى الناس عليها وصلى هذا النباش ليعرف القبر فلما جن عليه الليل نبش قبرها فقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفورة قال هبى أنك مغفور لك فأنا من أين فقالت إن الله تعالى غفر لى ولجميع من صلى علىّ وأنت قد صليت علىّ فتركتها ورددت التراب عليها ثم تاب الرجل وحسنت توبته . سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن إسمعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الحيرى بالحيرة يقول رأيت ذا النون المصرى وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان والآخر من الرعية فعدا الذى من الرعية عليه فكسر ثنيته فتعلق الجندى بالرجل وقال بينى وبينك الأمير فجازوا بذى النون فقال لهم الناس اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه فعرفوه ما جرى فأخذ السن ثم بلها بريقه وردها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت فيه وحرك شفتيه فتعلقت باذن الله تعالى فبقى الرجل يفتش فاه فلم يجد الأسنان إلا سواء . حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطان ببغداد قال حدثنا أبو على إسمعيل بن محمد بن إسمعيل الصفار قال حدثنا الحسين بن عرفة بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن إدريس الأودى عن إسمعيل بن أبى خالد عن أبى سبرة النخعى قال أقبل رجل من اليمن فلما كان فى بعض الطريق نفق حماره فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم إنى جئت مجاهدا فى سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور لا تجعل لأحد علىّ منة اليوم أطلب منك أن تبعث حمارى فقام الحمار ينفض أذنيه . سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا بكر النابلسى يقول سمعت أبا بكر الهمذانى يقول بقيت فى برية الحجاز أياما لم آكل شيئا فاشتهيت باقلا حارا وخبزا من باب الطاق فقلت أنا فى البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة فلم أتم خاطرى إلا وأعرابى من بعيد ينادى باقلا حار وخبز فتقدمت إليه فقلت عندك باقلا حار وخبز فقال نعم وبسط مئزرا كان عليه وأخرج خبزا وباقلا وقال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت فلما قال فى الرابعة قلت بحق الذى بعثك إلى إلا ما قلت لى من أنت فقال الخضر وغاب عنى فلم أره . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول جئت الثعلبية وهى خراب ولى سبعة أيام لم آكل شيئا فدخلت القبة وجاء قوم خراسانيون أصابهم جهد فطرحوا أنفسهم على باب القبة فجاء أعرابى على راحلة وصب تمرا بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لى شيئا ولم يرنى الأعرابى فلما كان بعد ساعة فاذا بالأعرابى جاء وقال لهم معكم غيركم فقالوا نعم هذا الرجل داخل القبة قال فدخل الأعرابى وقال لى إيش أنت لم لم تتكلم مضيت فعارضنى إنسان فقال لى قد خلفت إنسانا لم تطعمه ولم يمكنى أن أمضى وتطولت علىّ الطريق لأنى رجعت عن أميال وصب بين يدى التمر الكثير ومضى فدعوتهم فأكلوا وأكلت . سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا طاهر الرقى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول كلمنى جمل فى طريق مكة رأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت أعناقها فى الليل فقلت سبحان من يحمل عنها ماهى فيه فالتفت إلىّ جمل وقال

(ليعرف القبر) فيأخذ كفن صاحبه (جن عليه الليل) أى أظلم (نبش قبرها) ليأخذ كفنها (مغفورة) أى مغفور لها (وغاب عنى فلم أره) فى ذلك كرامتان رؤيته الخضر وإتيانه بما يحتاجه خارقا للعادة لأنه كان بموضع خال عن ذلك (فأكلوا وأكلت) معهم فى ذلك من الكرامة لأبى جعفر رجوع الأعرابى إليه بعد أميال وإيثاره مع الحاجة فانه لما جعل التمر بين يديه دعا القوم فأكلوا معه ولم يأكل وحده كما فعلوا به

لى قل جل الله فقلت جل الله . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت الحسن بن أحمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت أبا بكر بن معمر يقول سمعت أبا زرعة الجنبى يقول مكرت بى امرأة فقالت ألا تدخل الدار فتعود مريضا فدخلت فأغلقت الباب ولم أر أحدا فعلمت مافعلت فقلت اللهم سودها فاسودت فتحيرت وفتحت الباب فخرجت فقلت اللهم ردها إلى حالها فردها إلى ما كانت . سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا محمد الغطريفى يقول سمعت السراج يقول سمعت أبا سليمان الرومى يقول سمعت خليلا الصياد يقول غاب عنى ابنى محمد فوجدنا عليه وجدا شديدا فأتيت معروفا الكرخى فقلت ياأبا محفوظ غاب ابنى وأمه واجدة فقال ماتشاء فقلت ادع الله أن يرده فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك ائت بمحمد قال خليل فأتيت باب الشام فاذا هو واقف فقلت يامحمد فقال يا أبت كنت الساعة بالأنبار . قال الأستاذ واعلم أن الحكايات فى هذا الباب تربو على الحصر والزيادة على ماذكرناه تخرجنا عن المقصود من الايجاز وفيما ذكرناه مقنع فى هذا الباب .

باب رؤيا القوم

قال الله تعالى ـ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ـ قيل هى الرؤيا الحسنة يراها المرء أوترى له . أخبرنا أبو الحسن الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إسحق ابن إبراهيم المنقرى قال حدثنا منصور بن أبى مزاحم قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبى صالح عن أبى الدرداء قال «سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ـ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ـ قال صلى الله عليه وسلم ماسألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له» . أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال أخبرنا أبو على الحسن ابن محمد زيد قال حدثنا على بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن يحيى ابن سعيد عن أبى سلمة عن أبى قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فاذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره وليتعوذ فانها لن تضره» . أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى قال حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار قال حدثنا عياش ابن محمد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن موسى قال حدثنا إسرائيل عن أبى إسحق عن أبى الأحوص وأبى عبيد عن أبى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لايتمثل فى صورتى» ومعنى الخبر أن تلك الرؤيا رؤيا صدق وتأويلها حق وأن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور فى الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيتوهم الانسان عند اليقظة أنه كان رؤية فى الحقيقة وإنما كان ذلك تصورا وأوهاما تقررت فى قلوبهم وحين زال عنهم الاحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها فاذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التى تصورها بالاضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ومثاله كالذى يكون فى ضوء السراج عند اشتداد الظلمة فاذا طلعت الشمس عليه غلبت ضوء السراج فيتقاصر نور السراج بالاضافة إلى ضياء الشمس فمثال حال النوم كمن هو فى ضوء السراج ومثال المستيقظ كمن تعالى عليه النهار فانّ المستيقظ يتذكر ما كان متصوّرا له فى حال نومه ثم إنّ تلك الأحاديث والخواطر

(فقلت جل الله) الكرامة فيه كلام الحيوان العجم وتقدم مثلها (وأن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات) وعلامة صحة رؤياه صلى الله عليه وسلم أن من رآه لايسمع منه ما يخالف ما جاءت به الشريعة بأن يكون له تأويل صحيح عند علماء هذا الفن وحقيقة الرؤيا الحسنة أن يخلق الله فى قلب النائم أو فى حواسه الأشياء كما يخلقها فى اليقظان فربما يقع ذلك فى اليقظة كما رآه وربما جعل مارآه علما لأمور أخر يخلقها فى ثانى الحال أوكان قد خلقها فتقع تلك كما جعل الله الغيم علامة للمطر

التى كانت ترد على قلبه فى حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان ومرة من هواجس النفس ومرة بخواطر الملك ومرة تكون تعريفا من الله عزّ وجل بخلق تلك الأحوال فى قلبه ابتداء وفى الخبر « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا » واعلم أن النوم على أقسام نوم غفلة ونوم عادة وذلك غير محمود بل هو معلول لأنه أخو الموت . وفى بعض الأخبار المروية : «النوم أخو الموت» وقال الله عزّ وجل - وهو الذى يتوفاكم بالليل و يعلم ماجرحتم بالنهار - وقال تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها - . وقيل : لو كان فى النوم خير لكان فى الجنة نوم . وقيل : لما ألقى الله على آدم النوم فى الجنة أخرج منه حوّاء وكل بلاء به إنما حصل حين حصلت حوّاء . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : لما قال إبراهيم لإسمعيل عليهما السلام - يابنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك - قال يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه ولولم تنم لما أمرت بذبح الولد . وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام كذب من ادّعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى والنوم ضد العلم ولهذا قال الشبلى : نعسة فى ألف سنة فضيحة . وقال الشبلى : اطلع الحق علىّ فقال من نام غفل ومن غفل حجب . وكان الشبلى يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم ، وفى معناه أنشدوا :

عجبا للمحب كيف ينام ... كل نوم على المحب حرام

وقيل : المريد أكله فاقة ونومه غلبة وكلامه ضرورة . وقيل لما نام آدم عليه السلام بالحضرة قيل له هذه حوّاء لتسكن إليها هذا جزاء من نام بالحضرة . وقيل إن كنت حاضرا فلاتنم فإنّ النوم بالحضرة سوء أدب و إن كنت غائبا فأنت من أهل الحسرة والمصيبة والمصاب لايأخذه النوم ، وأما أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله عليهم وأن الله عزّ وجل يباهى بالعبد إذا نام فى سجوده يقول انظروا إلى عبدى روحه عندى وجسده بين يدى قال الأستاذ يعنى روحه فى محل النجوى و بدنه على بساط العبادة . وقيل كل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله عزّ وجل قال الله تعالى - وجعلنا نومكم سباتا - . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : شكا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة النوم فقال اذهب واشكر الله تعالى على العافية فكم من مريض فى شهوة غمضة من النوم الذى تشكومنه . وقيل : لاشىء أشدّ على إبليس من نوم العاصى يقول متى ينتبه و يقوم حتى يعصى الله . وقيل : أحسن أحوال العاصى أن ينام إن لم يكن الوقت له لم يكن عليه . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول : تعوّد شاه الكرمانى السهر فغلبه النوم مرّة فرأى الحق سبحانه فى النوم فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له فى ذلك فقال :

رأيت سرور قلبى فى منامى ... فأحببت التنعس والمناما

وقيل : كان رجل له تلميذان فاختلفا فيما بينهما فقال أحدهما النوم خير لأن الإنسان لايعصى فى تلك الحالة . وقال الآخر : اليقظة خير لأنه يعرف الله تعالى فى تلك الحالة فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال أما أنت الذى قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة ، وأما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك من الموت . وقيل اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال افرشى الفراش فقالت المملوكة يامولاى ألك مولى ؟ قال نعم فقالت ينام ؟ قال لا قالت ألاتستحى أن تنام ومولاك لم ينم . وقيل قالت بنية لسعيد بن جبير لم لاتنام ؟ فقال إنّ جهنم لاتدعنى أن أنام . وقيل قالت بنت لمالك بن دينار لم لاتنام ؟ فقال إن أباك يخاف البيات . وقيل لما مات الربيع بن خيثم قالت بنية لأبيها من جيرانه يا أبت الأسطوانة التى كانت فى دار جارنا أين ذهبت ؟ فقال إنه كان جارنا الصالح يقوم من أوّل الليل إلى آخره فتوهمت البنية أنه كان سارية لأنها كانت لاتصعد السطح إلا بالليل

(متى ينتبه و يقوم حتى يعصى الله) فنومه رحمة له لأنه لايعصى فى نومه لأنه غير مكلف فيه (إن لم يكن الوقت له) بأن يعمل فيه خيرا (لم يكن عليه) لأنه لم يعمل فيه شرا (فالحياة خير لك من الموت) فلا خلاف و إنما ذلك محمول على حالين بعد الإتيان بالواجب والرواتب فمن خاف خللا فى العمل فالنوم خير له و إلا فاليقظة خير له ، ولهذا لما ضعف عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وخشى على نفسه من ضعف العمل تمنى الموت لخوف الخلل فى العمل

فتجده قائما ، وقال بعضهم فى النوم معان ليست فى اليقظة منها أنه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الماضين فى النوم ولا يراهم فى اليقظة وكذلك يرى الحق فى النوم وهذه مزية عظيمة وقيل رأى أبو بكر الآجرى الحق سبحانه فى النوم فقال له سل حاجتك . فقال : اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال أنا أولى بهذا منك سل حاجتك وقال الكتانى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى من تزين للناس بشىء يعلم الله تعالى منه خلافه شانه الله وقال الكتانى أيضا رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت ادع الله أن لا يميت قلبى فقال قل كل يوم أربعين مرة ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت فان الله يحيى قلبك ورأى الحسن بن على رضى الله عنهما عيسى ابن مريم عليهما السلام فى المنام فقال إنى أريد أن أتخذ خاتما فما الذى أكتب عليه فقال : اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين فانه فى آخر الإنجيل وروى عن أبى يزيد أنه قال رأيت ربى عز وجل فى المنام فقلت كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال وقيل رأى أحمد بن خضرويه ربه فى المنام فقال يا أحمد كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد فانه يطلبنى وقال يحيى بن سعيد القطان رأيت ربى فى المنام فقلت يارب كم أدعوك فلا تستجيب لى فقال تعالى ياىحيى إنى أحب أن أسمع صوتك وقال بشر ابن الحرث رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت ياأمير المؤمنين عظنى فقال ماأحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا لثواب الله تعالى وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى فقلت له ياأمير المؤمنين زدنى فقال :

قد كنت ميتا فصرت حيا ... وعن قريب تصير ميتا
عز بدار الفناء بيت ... فابن بدار البقاء بيتا

وقيل رؤى سفيان الثورى فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال رحمنى فقيل ماحال عبدالله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين . سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول رأى الأستاذ أبوسهل الصعلوكى أباسهل الزجاجى فى المنام وكان الزجاجى يقول بوعيد الأبد فقال له مافعل الله بك فقال الزجاجى الأمر ههنا أسهل مما كنا نظنه . ورؤى الحسن بن عاصم الشيبانى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال وإيش يكون من الكريم إلا الكرم ورؤى بعضهم فى المنام فسئل عن حاله فقال:

حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فأعتقوا

ورؤى حبيب العجمى فى المنام فقيل له مت ياحبيب العجمى فقال هيهات ذهبت العجمة وبقيت النعمة وقيل دخل الحسن البصرى مسجدا ليصلى فيه المغرب فوجد إمامهم حبيبا العجمى فلم يصل خلفه لأنه خاف أن يلحن لعجمة فى لسانه فرأى فى المنام تلك الليلة قائلا يقول له لم لم تصل خلفه لو صليت خلفه لغفر لك ماتقدم من ذنبك . ورؤى مالك بن أنس فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت ورؤى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله تعالى وهو عنه راض . سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول رأيت الأستاذ أباسهل الصعلوكى فى المنام على حالة حسنة فقلت يا أستاذ بم وجدت هذا فقال بحسن ظنى بربى . وقيل رؤى الجاحظ فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال :

فلا تكتب بخطك غير شىء ... يسرك فى القيامة أن تراه

وقيل رأى الجنيد إبليس فى منامه عريانا فقال له ألا تستحى من الناس فقال هؤلاء لا ناس إنما الناس أقوام فى مسجد الشونيزية أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت غدوت

(الأمر ههنا) أى فى الآخرة (أسهل مما كنا نظنه) أى فى الدنيا فوجد أن الحق خلاف ما كان يقول به وهو كذلك لأن الله تعالى قال ـ إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ (لأنه خاف أن يلحن) لحنا يضر الصلاة وليس كذلك وإنما كان يلحن لحنا يسيرا (وهو عنه راض) فيه دلالة على فضيلته وهى معلومة من حاله فى الدنيا (لا ناس) أى ليسوا بناس يستحى منهم .

إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رءوسهم على ركبهم متفكرين فلما رأونى قالوا لايغرنك حديث الحبيب ورؤى النصراباذى بمكة بعد وفاته فى النوم فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا ياذا الجلال فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بالأحد ورؤى ذو النون المصرى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال : كنت أسأله ثلاث حوائج فى الدنيا فأعطانى البعض وأرجو أن يعطينى الباقى كنت أسأله أن يعطينى من العشرة التى على يد رضوان واحدا ويعطينى بنفسه وأن يعذبنى عن الواحد الذى بيد مالك بعشرة ويتولى هو وأن يرزقنى أن أذكره بلسان الأبدية . وقيل رؤى الشبلى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى إلا على شىء واحد قلت يوما لاخسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لى وأىّ خسارة أعظم من خسارة لقائى . سمعت الأستاذ أبا على يقول : رأى الجريرى الجنيد فى المنام فقال كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات ومانفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات وقال النباجى : تشهيت يوما شيئا فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول : أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه مايريد . وقال ابن الجلاء دخلت المدينة وبى فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت أنا ضيفك فغفوت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وقد أعطانى رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت و بيدى النصف وقال بعضهم رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول : زوروا ابن عون فانه يحب الله ورسوله وقيل رأى عتبة الغلام حوراء فى المنام على صورة حسنة فقالت له يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر أن لاتعمل من الأعمال شيئا يحال بينى و بينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لارجعة لى عليها حتى ألقاك . سمعت منصورا المغربى يقول رأيت شيخا فى بلاد الشام كبير الشأن وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لى إن أردت أن ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل رزقك الله الحور العين فانه يرضى منك بهذا الدعاء فسألت عن سببه فقيل إنه رأى شيئا من الحور فى منامه فبقى فى قلبه شىء من ذلك فمضيت وسلمت عليه وقلت رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معى وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاص فدخل ذهليزا لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها فرأى بعضهم الميت فى المنام فقال له مافعل الله بك فقال غفر لى وقال لى قل لأيوب السختيانى ـ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الانفاق ـ وقيل رؤى الليلة التى مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت وقائلا يقول ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة وقال بعضهم رأيت الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة صعودا وملائكة نزولا فقلت أى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه . قال الأستاذ أبو القاسم: رأيت الأستاذ أبا على الدقاق فى المنام فقلت له مافعل الله بك فقال ليس للمغفرة هنا كبير خطر أقل من حضر ههنا خطرا فلأن أعطى كذا وكذا وقع لى فى المنام أن ذلك الإنسان الذى عناه قتل نفسا بغير حق . وقيل لمامات كرز ابن و برة رأى فى المنام كان أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل ماهذا قيل إن أهل القبور كسوا ثيابا جددا لقدوم كرز عليهم ورؤى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا فقال لأنى ماخلطت جدا بهزل قط ورؤى عبد الله الزراد فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحدا استحييت أن أقربه فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقيل له وماذاك فقال نظرت يوما إلى شخص جميل فاستحييت أن أذكره . سمعت أباسعيد الشحام يقول رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت أيها الشيخ فقال دع الشيخ فقلت وتلك الأحوال التى شاهدتها فقال

(متفكرين) فى خلق السموات والأرض ويذكرون الله تعالى (فانه يحب الله ورسوله) فيه كرامة لابن عون بقول النبى صلى الله عليه وسلم زوروه وشهادة له منه بأنه يحب الله ورسوله (حوراء) من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها (لارجعة لى عليها حتى ألقاك) فيه دلالة على فضيلة عتبة بكمال زهده فى الدنيا واشتغاله بالآخرة (فبقى فى قلبه شىء من ذلك) فكان لايزال مهموما بأمر الآخرة حتى يذكر له الحور العين فينبسط ويشرح ويستبشر بلقائهن .

لم تغن عنا شيئا فقلت مافعل الله تعالى بك فقال غفر لى بمسائل كانت يسأل عنها العجز . سمعت أبا بكر الرشيدى الفقيه يقول رأيت محمدا الطوسى المعلم فى المنام فقال قل لأبى سعيد الصفار المؤدب:

وكنا على أن لانحول عن الهوى ... فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجران ماهكذا كنا
لعلّ الذى يقضى الأمور بعلمه ... سيجمعنا بعد الممات كما كنا

قال فانتبهت وقلت ذلك لأبى سعيد الصفار فقال كنت أزور قبره كل يوم جمعة فلم أزره هذه الجمعة وحكى عن بعضهم أنه قال رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الفقراء فبينما هو كذلك إذ نزل من السماء ملكان و بيد أحدهما طست و بيد الآخر إبريق فوضع الطست بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا أيديهم ثم وضع الطست بين يدى فقال أحدهما للآخر لاتصبّ على يده فانه ليس منهم فقلت يارسول الله أليس قد روى عنك أنك قلت «المرء مع من أحب فقال بلى فقلت وأنا أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم» ، وحكى عن بعضهم أنه كان يقول أبدا العافية العافية فقيل له مامعنى هذا الدعاء فقال كنت حمالا فى ابتداء أمرى وكنت حملت يوما صدرا من الدقيق فوضعته لأستريح فكنت أقول يارب لو أعطيتنى كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفى بهما فاذا رجلان يختصمان فتقدمت أصلح بينهما فضرب أحدهما رأسى بشىء أراد أن يضرب به خصمه فدمى وجهى فجاء صاحب الربع فأخذهما فلما رآنى ملوّثا بالدم أخذنى وظن أنى ممن تشاجر فأدخلنى السجن و بقيت فى السجن مدة أوتى كل يوم برغيفين فرأيت ليلة فى المنام قائلا يقول لى إنك سألت الرغيفين كل يوم من غير نصب ولم تسأل العافية فانتبهت وقلت العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع وقيل أين عمر الحمال وخلوا سبيلى ، وحكى عن الكتانى أنه قال كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه فقيل له ألا تعالجها فقال عزمت أن لاأعالجها حتى تبرأ قال رأيت فى المنام كأن قائلا يقول لوكان هذا العزم على أهل النار كلهم لأخرجناهم من النار . وحكى عن الجنيد أنه قال رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس فوقف علىّ ملك فقال أقرب ماتقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفّ بميزان وفى قال فولى الملك عنى وهو يقول كلام موفق والله وقال رجل للعلاء بن زياد رأيت فى النوم كأنك من أهل الجنة فقال لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه فأشخص إلىّ رجلا بعينه وقيل رؤى عطاء السلمى فى النوم فقيل له لقد كنت طويل الحزن فما فعل الله تعالى بك فقال أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقيل له ففى أى الدرجات أنت فقال ـ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ـ الآية وقيل رؤى الأوزاعى فى المنام فقال مارأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين وقال النباجى قيل لى فى المنام من وثق بالله فى رزقه زيد فى حسن خلقه وسمحت نفسه فى نفقته وقلت وساوسه فى صلاته وقيل رؤيت زبيدة فى المنام فقيل لها مافعل الله تعالى بك فقالت غفر لى فقيل بكثرة نفقتك فى طريق مكة فقالت لا أما إن أجرها عاد إلى أربابها ولكن غفر لى بنيق ورؤى سفيان الثورى فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك قال وضعت أول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة وقال أحمد بن أبى الحوارى رأيت فى النوم جارية مارأيت أحسن منها يتلألأ وجهها نورا فقلت ما أنور وجهك فقالت تذكر الليلة التى بكيت فيها فقلت نعم فقالت حملت إلى دمعتك فمسحت بها وجهى فصار وجهى هكذا وقيل رأى يزيد الرقاشى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقرأ عليه فقال هذه القراءة فأين البكاء وقال الجنيد رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لى

(فإنه منهم) حكما ، فيه دلالة على أن صحبة العبد للأخيار تنفعه و إن يكن معهم فى المنزلة (بعضهم) وهو عمر الحمال كما يأتى (أكتفى بهما) ولم أعذب نفسى بهذا العمل (الربع) أى المحلة (وخلوا سبيلى) فى ذلك دلالة على أنه ينبغى للعبد أن لايختار لنفسه شيئا كما فعل الحمال حيث كره ما كان فيه من الحمل واختار غيره بل يرضى بكل مايجريه الله عليه و إن سأل فليسأل العافية فى الدين والدنيا والآخرة

ماالصدق فقلت الوفاء بالعهد فقال الآخر صدق ثم صعدا ورؤى بشر الحافى فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال غفر لى وقال أما استحييت يابشر منى كنت تخافنى ذلك الخوف وقيل رؤى أبوسليمان الدارانى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى وما كان شىء أضرّ علىّ من إشارات القوم وقال علىّ بن الموفق كنت أفكر يوما فى سبب عيالى والفقر الذى بهم فرأيت فى المنام رقعة فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك فلما كان وقت الغلس أتانى رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال خذها إليك ياضعيف اليقين وقال الجنيد رأيت فى المنام كأنى واقف بين يدى الله تعالى فقال لى ياأبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذى تقول فقلت لاأقول إلا حقا فقال صدقت وقال أبو بكر الكتانى رأيت فى المنام شابا لم أر أحسن منه فقلت من أنت فقال التقوى قلت فأين تسكن قال فى كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون فقلت من أنت فقالت الضحك فقلت وأين تسكنين فقالت فى كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت أن لاأضحك إلا غلبة. وحكى عن أبى عبد الله بن خفيف أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام كأنه قال لى من عرف طريقا إلى الله تعالى سلكه ثم رجع عنه عذبه الله تعالى عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين . ورؤى الشبلى فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال ناقشنى حتى أيست فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته وقال أبو عثمان المغربى رأيت فى النوم كأن قائلا يقول لى ياأبا عثمان اتق الله فى الفقر ولو فى قدر سمسمة . وقيل كان لأبى سعيد الخراز ابن مات قبله فرآه فى المنام فقال له بنى أوصنى فقال يأبت لاتعامل الله على الجبن فقال يابنى زدنى فقال لاتخالف الله تعالى فيما يطالبك به فقال زدنى فقال لاتجعل بينك و بين الله قميصا قال فما لبس القميص ثلاثين سنة وقيل كان بعضهم يقول فى دعائه اللهم الشىء الذى لايضرك و ينفعنا لاتمنعه عنا فرأى فى المنام كأنه قيل له وأنت فالشىء الذى يضرك ولا ينفعك فدعه . وحكى عن أبى الفضل الأصفهانى أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله سل الله أن لايسلبنى الإيمان فقال صلى الله عليه وسلم ذاك شىء قد فرغ الله تعالى منه. وحكى عن أبى سعيد الخراز قال رأيت إبليس فى المنام فأخذت عصاى لأضربه فقيل لى إنه لايفزع منها إنما يفزع هذا من نور يكون فى القلب وقال بعضهم كنت أدعو لرابعة العدوية فرأيتها فى النوم تقول هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ويروى عن سماك ابن حرب أنه قال كف بصرى فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى ائت الفرات فانغمس فيه وافتح عينيك قال ففعلت فأبصرت وقيل رؤى بشر الحافى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال لما رأيت ربى عزّ وجلّ قال لى مرحبا يابشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على الأرض أحب إلىّ منك .

باب الوصية للمريدين

قال الأستاذ لما أثبتنا طرفا من سير القوم وضممنا إلى ذلك أبوابا من المقامات أردنا أن نختم هذه الرسالة بوصية للمريدين نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها وأن لايحرمنا القيام بها ولا يجعلها حجة علينا فأول قدم للمريد فى هذه الطريقة ينبغى أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فان الشيوخ قالوا إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول كذلك سمعت الأستاذ أبا على يقول فتجب البداءة بتصحيح اعتقاد بينه و بين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع صادر عن البراهين والحجج و يقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة وليس انتساب الصوفى إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية

(قلب حزين) على التقصير فى القيام بما ينبغى لرب العباد لدلالة التقوى على كمال الخشية من الله تعالى قال تعالى - إن الله مع الذين اتقوا - (فرح) أى مشروح (مرح) أى شديد الفرح لدلالتهما على كمال الغفلة وتمكن القسوة قال الله تعالى - إن الله لايحب الفرحين - والمراد الفرح بالدنيا أما الفرح بنعم الله و بما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال تعالى - فرحين بما آتاهم الله من فضله - (لم يعذبه أحدا من العالمين) فيه دلالة على أن عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل

إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة فان هؤلاء حججهم فى مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس إما أصحاب النقل والأثر و إما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور والذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى
فالناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الاسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد و إمامة القوم ألا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به ولولا مزية وخصوصية لهم و إلا كان الأمر بالعكس هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعى رضى الله عنهما فجاء شيبان الراعى فقال أحمد أريد ياأباعبدالله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال الشافعى لاتفعل فلم يقنع فقال لشيبان ماتقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولايدرى أى صلاة نسيها ماالواجب عليه ياشيبان فقال شيبان ياأحمد هذا قلب غفل عن الله تعالى فالواجب أن يؤدب حتى لايغفل عن مولاه بعد فغشى على أحمد فلما أفاق قال له الشافعى رحمه الله ألم أقل لك لاتحرك هذا وشيبان الراعى كان أميا منهم فاذا كان الأمى منهم هكذا فما الظن بأئمتهم وقد حكى أن فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشبلى فى جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران وكان تتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلى فسأل أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسئلة فى الحيض وقصدوا إخجاله فذكر مقالات الناس فى تلك المسئلة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلى وقال يا أبا بكر استفدت فى هذه المسئلة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندى من جملة ماقلت ثلاثة أقاويل وقيل اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد رحمهما الله تعالى فسمع كلامه فقيل له ماتقول فى هذا الكلام فقال لاأدرى مايقول ولكنى أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل وقيل لعبدالله بن سعيد بن كلاب أنت تتكلم على كلام كل أحد وههنا رجل يقال له الجنيد فانظر هل تعترض عليه أم لا فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه فتحير عبدالله وقال أعد على ماقلت فأعاد لا بتلك العبارة فقال عبدالله هذا شىء آخر لم أحفظه تعيده على مرة أخرى فأعاد بعبارة أخرى فقال عبدالله ليس يمكننى حفظ ماتقول أملة علينا فقال إن كنت أجزته فأنا أمليه فقام عبدالله وقال بفضله واعترف بعلوشأنه فاذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس وعلماؤهم أعلم الناس فالمريد الذى له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة و إن كان يريد طريقة الاتباع وليس بمستقل بحاله و يريد أن يعرج فى أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقيق فليقلد سلفه وليجر على طريقة هذه الطبقة فانهم أولى به من غيرهم ولقد سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الشبلى يقول ماظنك بعلم العلماء فيه تهمة وسمعته يقول سمعت محمد بن أبى على بن محمد المخرمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول لو علمت أن لله علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا و إخواننا لسعيت إليه ولقصدته و إذا أحكم المريد بينه و بين الله تعالى عقده فيجب أن يحصل من علم الشريعة إما بالتحقيق و إما بالسؤال عن الأئمة مايؤدى به فرضه و إن اختلف

(ارتقوا) بعمارة باطنهم بالأخلاق الحميدة و بعدهم عن الأخلاق الذميمة ومراقبتهم لربهم فى أعمالهم (عن هذه الجملة) أى جملة القسمين فى سدف الظلام بضم السين وفتح الدال جمع سدفة بفتح السين و إسكان الدال وهى الظلمة (استسلموا) أى انقادوا بالعكس يعنى كانوا هم مستسلمين لأئمة ذلك الوقت (كان أميا منهم) وقد أجرى الله على لسانه الحق حتى انتفع به العلماء (تتعطل عليهم) أى على أبى عمران وأصحابه (ولقصدته) لأنال فضيلته و بركته (أحكم) أى أتقن

عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط ويقصد أبدا الخروج من الخلاف فان الرخص فى الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ولهذا قيل إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله تعالى ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فان لم يكن له أستاذ لايفلح أبدا هذا أبو يزيد يقول من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان وسمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق لكن لا تثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد هواه لايجد نفاذا ثم إذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله سبحانه من كل زلة فيدع جميع الزلات سرها وجهرها وصغيرها وكبيرها ويجتهد فى إرضاء الخصوم أولا ومن لم يرض خصومه لا يفلح له من هذه الطريقة بشئ وعلى هذا النحو جروا ثم بعد هذا يعمل فى حذف العلائق والشواغل فان بناء هذا الطريق على فراغ القلب وكان الشبلى يقول للحصرى فى ابتداء أمره إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية التى تأتينى فيها غير الله تعالى فحرام عليك أن تحضرنى وإذا أراد الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال فان ذلك الذى يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل فى هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرته تلك العلاقة عن قريب إلى مامنه خرج فاذا خرج عن المال فالواجب عليه الخروج عن الجاه فان ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة ومالم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لايجئ منه شئ بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث وهو بعد لم يصحح الإرادة فكيف يصح أن يتبرك به بخروجهم من الجاه واجب عليهم لأن ذلك سم قاتل لهم فاذا خرج عن ماله وجاهه فيجب أن يصحح عقيدته بينه وبين الله تعالى وأن لايخالف شيخه فى كل مايشير عليه لأن الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره .ومن شرطه أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه فاذا خطر ببال المريد أن له فى الدنيا والآخرة قدرا أو قيمة أو على بسيط الأرض أحدا دونه لم يصح له فى الإرادة قدم لأنه يجب أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدرا وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه إما فى عاجله وإما فى آجله ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زرة إلا عن شيخه ولو كتم نفسا من أنفاسه عن شيخه فقد خانه فى حق صحبته ولو وقع له مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه فى الوقت ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته إما بسفر يكلفه أو أمر تما يراه ولايصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى ومالم يتجرد المريد عن كل علاقة لايجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار بل يجب أن يقدم التجربة له فاذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم حينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله فى هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأن لاينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضر والذل والفقر والأسقام والآلام وأن لا يجنح بقلبه إلى السهولة ولا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات ولايؤثر الدعة ولايستشعر الكسل فان وقفة المريد شر من فترته والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل مريد وقف فى ابتداء إرادته لايجئ منه شئ فاذا جر به شيخه فيجب عليه أن يلقنه ذكرا من الأذكار على مايراه شيخه فيأمر أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يسوى قلبه مع لسانه ثم يقول له اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبدا بقلبك ولايجرى على لسانك غير هذا الاسم ماأمكنك ثم يأمره أن يكون أبدا فى الظاهر على الطهارة وأن لا يكون نومه إلا غلبة وأن يقلل من غذائه على

(الخروج من الخلاف) وهل يجوز تقدير المفضول فقيل نعم ورجحه ابن الحاجب وقيل لا والمختار عند التاج السبكى جوازه لمن اعتقده أفضل من غيره أومساويا له بخلاف من اعتقده مفضولا ولا يتتبع الرخص من المذاهب بل يأخذ من كل منها ماهو الأسهل فيما يقع من المسائل كما لا يأخذ الصوفى إلا بالأحوط كما مر (لايفلح أبدا) لعدم معرفته الأحكام (باستحلاء حالات الكسل) واستلذاذها وإذا استلذها لم ينتقل عنها لمحبته لها بخلاف الفترة فان صاحبها يرجى له الرجوع إلى ما كان عليه (لايجئ منه شئ) يعتد به لأنه يعتقد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال إلى ماهو أعلى

التدريج شيئا بعد شيء حتى يقوى على ذلك ولا يأمره أن يترك عادته بمرة فان فى الخبر «إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» ثم يأمره بايثار الخلوة والعزلة و يجعل اجتهاده فى هذه الحالة لا محالة فى نفى الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة للقلب . واعلم أن فى هذه الحالة قلما يخلو المريد فى أوان خلوته فى ابتداء إرادته من الوساوس فى الاعتقاد لاسيما إذا كان فى المريد كياسة قلب وكل مريد لا تستقبله هذه الحالة فى ابتداء إرادته وهذا من الامتحانات التى تستقبل المريدين فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية فان بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه من الوساوس و إن تفرس شيخه فيه القوة والثبات فى الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع فى قلبه أنوار القبول وتطلع فى سره شموس الوصول وعن قريب يكون ذلك ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريدين فأما الغالب فأن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد . واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب وذلك أنهم إذا خلوا فى مواضع ذكرهم أو كانوا فى مجالس سماع أو غير ذلك يهجس فى نفوسهم و يخطر ببالهم أشياء منكرة يتحققون أن الله سبحانه منزه عن ذلك وليس تعتريهم شبهة فى أن ذلك باطل ولكن يدوم ذلك فيشتد تأذيهم به حتى يبلغ ذلك حدا يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر بحيث لا يمكن المريد إجراء ذلك على اللسان و إبداؤه لأحد وهذا أشد شيء يقع لهم ، فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر واستدامة الذكر والابتهال إلى الله عز وجل باستدفاع ذلك وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان و إنما هى من هواجس النفس فاذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن يلازم موضع إرادته وأن لا يسافر قبل أن تقبله الطريق وقبل الوصول بالقلب إلى الرب فان السفر للمريد فى غير وقته سم قاتل ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر فى غير وقته و إذا أراد الله بمريد خيرا ثبته فى أول إرادته و إذا أراد الله بمريد شرا ردّه إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته و إذا أراد الله بمريد محنة شرده فى مطارح غربته هذا إذا كان المريد يصلح للوصول . فأما إذا كان شابا طريقته الخدمة فى الظاهر بالنفس للفقراء وهو دونهم فى هذه الطريقة رتبة فهو وأمثاله يكتفون بالترسم فى الظاهر فينقطعون فى الأسفار وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حجات يحصلونها وزيارات لمواضع يرتحل إليها ولقاء شيوخ بظاهر سلام فيشاهدون الظواهر و يكتفون بما فى هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لا تؤدّيهم الدعة إلى ارتكاب محظور فان الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان فى معرض الفتنة و إذا توسط المريد جمع الفقراء والأصحاب فى بدايته فهو مضرله جدا و إن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للأصحاب وترك الخلاف عليهم والقيام بما فيه راحة فقير والجهد أن لا يستوحش منه قلب شيخ و يجب أن يكون فى صحبته مع الفقراء أبدا خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم و يرى لكل واحد منهم عليه حقا واجبا ، ولا يرى لنفسه واجبا على أحد ، و يجب أن لا يخالف المريد أحدا و إن علم أن الحق معه يسكت و يظهر الوفاق لكل أحد ، وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فانه لا يجيء منه شيء ، و إذا كان المريد فى جمع من الفقراء إما فى سفر أو حضر فينبغى أن لا يخالفهم فى الظاهر لا فى أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة بل يخالفهم بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله عز وجل و إذا أشاروا عليه بالأكل مثلا يأكل لقمة أو لقمتين ولا يعطى النفس شهوتها وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد بالظاهر فان القوم فى مكابدة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفى الغفلة عن قلوبهم لا فى تكثير أعمال البر الذى لا بد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة فأما الزيادات

(شيئا بعد شيء) لا بأن ينقصه كل يوم لقمة لقمة بل ينقصه لقمة و يستمر عليها أياما ثم أخرى و يستمر عليها أياما وهكذا (حتى يقوى على ذلك) الذى أمره به وخف نومه و ينشط للعبادة وحد ذلك ما أشار إليه ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه (كان فى معرض الفتنة) وفى نسخة الفترة أى معرضا لها تميل نفسه إلى التزويج وشغل قلبه بالأهل والولد والشهوات الدنيوية فالسفر لهؤلاء أولى لهم لأنهم يباشرون فى كل وقت من أحوال المشايخ على اختلاف آدابهم وعلومهم ومعاملتهم لربهم ماينتفعون به (فهو مضر له جدا) لمنافاته ما مر من أنه مأمور بملازمة الخلوة إن كانت واشتغاله بكمال المناجاة فكما أنه لا يسافر لا يخالط الناس (وترك الخلاف عليهم) مع دوام الحذر منهم والخوف من فوات المطلوب (راحة فقير) بأن يوافقه فى أغراضه الجائزة

من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم ورأس مال المريد الاحتمال عن كل أحد بطيبة النفس وتلقى مايستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة فى القليل والكثير فيما هو حظ له ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فان من اشتهى مايشتهيه الناس فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كدّ اليمين وعرق الجبين ، وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فان وجد فى خلوته مالايجده قبله إما فى النوم وإما فى اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع أو معنى يشاهد مما يكون نقضا للعادة فينبغى أن لايشتغل بذلك ألبتة ولايسكن إليه ولاينبغى أن ينتظر حصول أمثال ذلك فان ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه ولابدله فى هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغا عن ذلك ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره فيكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك فى عينه فان ذلك كله اختبارات والمساكنة إليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك .

واعلم أن أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه فى سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته عليه بأنى خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فانه لوقال بترك هذا فعن قريب سيختطف عن ذلك مما يبدوله من مكاشفات الحقيقة وشرح هذه الجملة باثباته فى الكتب معتذر ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به فى موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب فى وقته لارشاد المريدين ثم يقيم عليه ولايبرح عن سدته إلى وقت الاذن . واعلم أن تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب فلولا معرفة رب البيت ماوجبت زيارة البيت والشبان الذين يخرجون إلى الحج من هؤلاء القوم من غير إشارة الشيوخ فهى بدلالات نشاط النفوس فهم متوسمون بهذه الطريقة وليس سفرهم على أصل والذى يدل على ذلك أنه لايزداد سفرهم إلا وتزداد تفرقة قلوبهم فلوأنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى لهم من ألف سفرة ومن شرط المريد إذا زار شيخا أن يدخل عليه بالحرمة وينظر إليه بالحشمة فان أهله الشيخ لشىء من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة .

(فصل) ولاينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن ويراعى مع الله تعالى حدّه فيما يتوجه عليه من الأمر والعلم كافيه فى التفرقة بين ماهو محمود وماهو معلول

(فصل) وكل مريد بقى فى قلبه لشىء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز وإذا بقى فى قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعا من أنواع البر أو شخصا دون شخص فهو متكلف فى حاله وبالخطر أن يعود سريعا إلى الدنيا لأن قصد المريد فى حذف العلائق الخروج منها لاالسعى فى أعمال البر وقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة وينبغى أن يستوى عنده وجود ذلك وعدمه حتى لاينافر لأجله فقيرا ولايضايق به أحدا ولو مجوسيا .

(فصل) وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن ردّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غبّ ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لايخطى

(فصل) ومن أصعب الآفات فى هذه الطريقة صحبة الأحداث ومن ابتلاه الله تعالى بشىء من ذلك فباجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء لما فى الخبر تلويح بذلك أليس قدشغل ذلك القلب بمخلوق وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعد ذلك يسيرا وقدقال الله تعالى ـ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ـ وهذا الواسطى رحمه الله يقول إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء

(فصل : ولاينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة) وإن كانوا محفوظين لأن ذلك يخالف الواقع ولأنه يؤدّى إلى نفرته منهم وعدم انتفاعه بهم اذا صدر منهم ذنب والفرق بين العصمة والحفظ أن العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب والحفظ لايمنع منه ولأن الله تعالى يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لأن الأولياء لايقدح زللهم فى قواعد الدين بخلاف الأنبياء فان المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى وفيما يفعلونه بيانا للتكليف فعلم أنه ليس للمريد أن يعتقد العصمة فى المشايخ اه

الأنتان والجيف سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت أباعبدالله الحصرى يقول سمعت فتحا الموصلى يقول صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدّون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى إياهم وقالوا اتق معاشرة الأحداث ومخالطتهم ومن ارتقى فى هذا الباب عن حالة الفسق وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لايضر وماقالوه من وساوس القائلين بالشاهد وإيراد حكايات عن بعض الشيوخ لما كان الأولى بهم إسبال الستر على هناتهم وآفاتهم فذلك نظير الشرك وقرين الكفر فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء .

(فصل) ومن آفات المريد مايتداخل النفس من خفىّ الحسد للإخوان والتأثر بما يفرد الله عزوجل به أشكاله من هذه الطريقة وحرمانه إياه ذلك وليعلم أن الأمور قسم وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحق وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه فكل من رأيت أيها المريد قدم الحق سبحانه رتبته فاحمل أنت غاشيته فان الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم .

(فصل) واعلم أن من حق المريد إذا اتفق وقوعه فى جمع إيثار الكل بالكل فيقدم الجائع والشبعان على نفسه ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ وإن كان هو أعلم منه ولايصل إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوّته وتوصله إلى ذلك بطول الحق ومنته .

(فصل) وأما آداب المريد فى السماع فالمريد لا تسلم له الحركة فى السماع بالاختيار ألبتة فان ورد عليه وارد حركة ولم يكن فيه فضل قوّة فبمقدار الغلبة يعذر فاذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون فان استدام الحركة مستجلبا للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح فان تعوّد ذلك يبقى متخلفا لايكاشف بشىء من الحقائق فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبه وفى الجملة أن الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله مريدا كان أو شيخا إلا أن يكون باشارة من الوقت أو غلبة تأخذ عن التمييز فان كان مريدا أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على إشارته فلا بأس إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله وأما إذا أشار عليه الفقراء بالمساعدة فى الحركة فيساعدهم فى القيام وفى أداء مالايجد منه بدّا مما يراعى عن الاستيحاش لقلوبهم ثم إن صدقه فى حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم عند المساعدة معهم وأما طرح الخرقة فحق المريد أن لايرجع فى شىء خرج منه ألبتة ، اللهمّ إلا أن يشير إليه شيخ بالرجوع فيه فيأخذه على نية العارية بقلبه ثم يخرج عنه بعده من غير أن يستوحش قلب ذلك الشيخ وإذا وقع بين قوم عادتهم طرح الخرق وعلم أنهم يرجعون فيها فان لم يكن فيهم شيخ تجب حشمته وحرمته وكان طريق هذا المريد أن لايعود فى الخرقة فالأحسن أن يساعدهم فى الطرح ثم يؤثر به القوال إذا رجعوا هم فيها ولو لم يطرح فانه يجوز إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا فان القبيح إنما هو سنتهم فى العود إلى الخرق لافى مخالفته لهم على أن الأولى الطرح على الموافقة ثم ترك الرجوع فيه ولايسلم للمريد ألبتة التقاضى عن القوال لأن صدق حاله يحمل القوال على التكرار ويحمل غيره على الاقتضاء ومن تبرك بمريد فقد جار عليه لأنه يضره لقلة قوته فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه وإثباته

(فصل) وإن ابتلى مريد بجاه أو معلوم أو صحبة حدث أو ميل إلى امرأة أواستنامة إلى معلوم وليس هناك شيخ يدله على حاله يتخلص من ذلك فعند ذلك حلّ له السفر والتحوّل عن ذلك الموضع ليشوّش على نفسه تلك الحالة ولاشىء أضر لقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم ومن آداب المريد أن لايسبق علمه فى هذه الطريقة منازلته فانه إذا تعلم سير هذه الطائفة وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه بها بالمنازلة والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعانى

(فيساعدهم) لأن أحوالهم تتزايد برؤية بعضهم بعضا وكل ذلك بشرط السلامة مما يخالف الشريعة من رياء وعجب ونحوهما (ثم إن صدقه الخ) يعنى أن صدقه لايحوجهم لسؤال بل يحمله على مساعدتهم بغير سؤال منهم (استنامة) بتاء فوقية ثم نون أى سكون

ولهذا قال المشايخ : إذا حدث العارف عن المعارف جهلوه فان الاخبار عن المنازل دون المعارف ، ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم لاصاحب سلوك ،

(فصل) ومن آداب المريدين أن لايتعرضوا للتصدر ، وأن يكون لهم تلميذا ومريدا فان المريد إذا صار مرادا قبل خمود بشريته وسقوط آفته فهو محجوب عن الحقيقة لاتنفع أحدا إشارته وتعليمه .

(فصل) و إذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم إليه فلاينبغى أن يخالف المريد ماحكم باطنه عليه من الخلوص فى الخدمة و بذل الوسع والطاقة .

(فصل) ومن شأن المريد إذا كان طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه وأن يعتقد أنه يبذل روحه فى خدمتهم ثم لايحمدون له أثرا فيعتذر من تقصيره و يقر بالجناية على نفسه تطييبا لقلوبهم و إن علم أنه برىء الساحة و إذا زادوه فى الجفاء فيجب أن يزيدهم فى الخدمة والبر . سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول: إن فى المثل إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سندانا ، وفى معناه أنشدوا :

ربما جئته لأسلفه العـــذ ر لبعض الذنوب قبل التجنى

(فصل) و بناء هـذا الأمر وملاكه على حفظ آداب الشريعة وصون اليد عن المدّ إلى الحرام والشبهة وحفظ الحواس عن المحظورات وعد الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات وأن لايستحلّ مثلا سمسمة فيها شبهة فى أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحات . ومن شأن المريد دوام المجاهدة فى ترك الشهوات فان من وافق شهوته عدم صفوته ، وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى .

(فصل) ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى فان نقض العهد فى طريق الإرادة كالردّة عن الدين لأهل الظاهر ، ولاينبغى للمريد أن يعاهد الله تعالى على شىء باختيار ما أمكنه فان فى لوازم الشرع مايستوفى منه كل وسع . قال الله تعالى فى صفة قوم ـ ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها ـ

(فصل) ومن شأن المريد قصر الأمل فان الفقير ابن وقته فاذا كان له تدبير فى المستقبل وتطلع لغير ماهو فيه من الوقت ، وأمل فيما يستأنفه لايجىء منه شىء .

(فصل) ومن شأن المريد أن لايكون له معلوم و إن قلّ لاسيما بين الفقراء فان ظلمة المعلوم تطفىء نور الوقت .

(فصل) ومن شأن المريد بل من طريقة سالكى هذا المذهب ترك قبول رفق النسوان فكيف التعرض لاستجلاب ذلك ، وعلى هذا درج شيوخهم و بذلك نفذت وصاياهم ، ومن استصغر هذا فعن قريب يلقى مايفتضح فيه .

(فصل) ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فان صحبتهم سمّ مجرّب لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى ـ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ـ وأن الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقرّبا إلى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله تعالى.

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى رضى الله عنه: فهذه وصيتنا إلى المريدين ، نسأل الله الكريم لهم التوفيق وأن لايجعلها وبالا علينا، وقد نجز لنا إملاء هذه الرسالة فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة نسأل الله الكريم أن لايجعلها حجة علينا ووبالا بل تكون لنا وسيلة ونوالا ، إن الفضل منه مألوف ، وهو بالعفو موصوف .

والحمد لله حقّ حمده وصلواته وبركاته ورحمته على رسوله سيدنا محمد النبى الأمىّ وآله الطاهرين ، وصحبه الكرام المنتخبين ، وسلم تسليما دائما كثيرا :

(للتصدر) للتعلم وجذب القاصدين إلى الله تعالى لضعفهم فيخشى عليهم الهلاك لجهلهم بطريق الرياضة ولأنهم فى مقام من يتعلم لامن يعلم (لاتنفع أحدا إشارته وتعليمه) لعدم أهليته لما دخل فيه. ومن آدابه أن لايتبع من المشايخ إلا من يقع له فى قلبه هيبة وحرمة و يعلم أنه يؤدّبه و يهديه وأنه أعلم منه بالطريق (هذا الأمر) أى التصوّف (وملاكه) بفتح الميم وكسرها وهو مايقوم به (عن المدّ) أى مدّها (المحظورات) أى المحرمات (عن الغفلات) أى لينكف عنها بأن يعبد الله كأنه يراه وهو مقام الإحسان (كالردّة الخ) من حيث إن كلا منهما يختل عما اتصف به مما سبق من أحواله ومقاماته قال تعالى ـ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ـ الآية (ابن وقته) لاالتفات له إلى ماض ولا مستقبل (التوفيق) خلق قدرة الطاعة فى العبد (وبالا) أى هلاكا (نوالا) أى رحمة .

فهـــرس

كتاب الرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى

صحيفة	
٢	خطبة الكتاب
٣	فصل : فى بيان اعتقاد هذه الطائفة فى مسائل الأصول فى التوحيد
٧	فصل : قال الأستاذ زين الإسلام أدام الله عزّه ، وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم فى مسائل التوحيد
٨	باب فى ذكر مشايخ هذه الطريقة ومايدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة فمنهم أبو إسحق إبراهيم بن أدهم
٩	ومنهم أبو الفيض ذوالنون المصرى
«	أبو على فضيل بن عياض
١٠	« أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى
«	أبو الحسن سرى بن المغلس السقطى
١١	« أبو نصر بشر بن الحرث الحافى
١٢	« أبو عبد الله بن الحرث بن أسد المحاسبى
١٣	« أبو سليمان داود بن نصير الطائى
١٤	« أبو على شقيق بن إبراهيم البلخى
«	أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى
١٥	« أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى
١٦	« أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى
١٧	« أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان ويقال حاتم بن يوسف الأصمّ
«	أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ
«	أبو حامد بن خضرويه البلخى

صحيفة	
١٨	ومنهم أبو الحسين أحمد بن أبى الحوارى
«	أبو حفص عمر بن مسلمة الحدّاد
«	أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى
١٩	« أبو محمد عبد الله بن خبيق
«	أبو على أحمد بن عاصم الأنطاكى
«	أبو السرى منصور بن عمار
«	أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار
٢٠	« أبو القاسم الجنيد بن محمد
٢١	« أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى
«	أبو الحسين أحمد بن محمد النورى
٢٢	« أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء
«	أبو محمد رويم بن أحمد
«	أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخى ساكن سمرقند
٢٣	« أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير
«	أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكى
«	سمنون بن حمزة
«	أبو عبيد محمد بن حسان البسرى
٢٤	« أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى
«	أبو يعقوب يوسف بن الحسين
«	أبو عبد الله محمد بن على الترمذى
«	أبو بكر محمد بن عمر الورّاق الترمذى
«	أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز
«	أبو عبد الله محمد بن إسمعيل المغربى
٢٥	« أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق
«	أبو الحسن على بن سهل الأصبهانى
«	أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى

صحيفة

٢٥ ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل ابن عطاء الأدمى
« أبو إسحق إبراهيم بن أحمد الخواص
٢٦ « أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز
« أبو الحسن بنان بن محمد الحمال
« أبو حمزة البغدادى البزاز
« أبو بكر محمد بن موسى الواسطى
« أبو الحسن بن الصائغ
٢٧ « أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقى
« ممشاد الدينورى
« خير بن عبد الله النساج
« أبو حمزة الخراسانى
« أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى
٢٨ « أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش
« أبو على أحمد بن محمد الروذبارى
« أبو محمد عبد الله بن منازل
« أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى
« أبو الخير الأقطع
٢٩ « أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكتانى
« أبو يعقوب إسحق بن محمد النهرجورى
« أبو الحسن على بن محمد المزين
« أبو على بن الكاتب
« مظفر القرمسينى
« أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهرى
« أبو الحسين بن بنان
« أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرمسينى
٣٠ « أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار
« أبو سعيد بن الأعرابى
« أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى
« أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير
« أبو العباس السيارى

صحيفة

٣٠ ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقى
« أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى
٣١ « أبو عمرو إسمعيل بن نجيد
« أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى
« أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى
« أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازى
« أبو بكر الطمستانى
« أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى
٣٢ « أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى
« أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى
« أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى البصرى
« أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى
٣٣ باب فى تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة و بيان مايشكل منها
فمن ذلك الوقت
٣٤ ومن ذلك المقام
« « الحال
٣٥ « « القبض والبسط
٣٦ « « الهيبة والأنس
« « التواجد والوجد والوجود
٣٨ « « الجمع والفرق
٣٩ « « الفناء والبقاء
٤٠ « « الغيبة والحضور
٤١ « « الصحو والسكر
٤٢ « « الذوق والشرب
« « المحو والإثبات
« « الستر والتجلى
٤٣ « « المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة
« « اللوائح والطوالع واللوامع

صحيفة	
٤٤	ومن ذلك البواده والهجوم
	« « التلوين والتمكين
٤٥	« « القرب والبعد
٤٦	« « الشريعة والحقيقة والطريقة
	« « النفس بفتح الفاء
	« « الخواطر
٤٧	« « علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
	« « الوارد
	« « لفظ الشاهد
٤٨	« « النفس بإسكان الفاء
	« « الروح
	« « السرّ
٤٩	باب التوبة
٥٢	« المجاهدة
٥٤	« الخلوة والعزلة
٥٦	« التقوى
٥٨	« الورع
٦٠	« الزهد
٦٢	« الصمت
٦٤	« الخوف
٦٧	« الرجاء
٧١	« الحزن
٧٢	« الجوع وترك الشهوة
٧٤	« الخشوع والتواضع
٧٧	« مخالفة النفس وذكر عيوبها
٧٩	« الحسد
٨٠	« الغيبة
٨١	« القناعة
٨٢	« التوكل
٨٨	« الشكر
٩٠	« اليقين

صحيفة	
٩٢	باب الصبر
٩٥	« المراقبة
٩٦	« الرضا
٩٩	« العبودية
١٠٠	« الإرادة
١٠٣	« الاستقامة
١٠٤	« الإخلاص
١٠٥	« الصدق
١٠٧	« الحياء
١٠٩	« الحرية
١١٠	« الذكر
١١٣	« الفتوة
١١٥	« الفراسة
١٢٠	« الخلق
١٢٢	« الجود والسخاء
١٢٦	« الغيرة
١٢٨	« الولاية
١٣٠	« الدعاء
١٣٤	« الفقر
١٣٨	« التصوّف
١٤٠	« الأدب
١٤٢	« أحكامهم فى السفر
١٤٥	« الصحبة
١٤٧	« التوحيد
١٥٠	« أحوالهم عند الخروج من الدنيا
١٥٤	« المعرفة بالله
١٥٧	« المحبة
١٦٢	« الشوق
١٦٤	« حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم
١٦٦	« فى السماع
١٧٣	« إثبات كرامات الأولياء

صحيفة

١٧٥ فصل ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة

« فان قيل فما معنى الولى ؟

« « « فهل يكون الولى معصوما ؟

« « « فهل يسقط الخوف عن الأولياء ؟

« « « فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة ؟

١٧٦ « فان قيل فهل يجوز أن يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته ؟

« فان قيل فهل يزايل الولى خوف المكر ؟

« فان قيل فما الغالب على الولى فى حال صحوه

١٩٢ باب رؤيا القوم فى النوم

١٩٧ « الوصية للمريدين

٢٠١ فصل ولا ينبغى للمريد أن يعتقد فى فى المشايخ العصمة

« وكل مريد بقى فى قلبه لشىء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز

« وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته

« ومن أصعب الآفات فى هذه الطريقة صحبة الأحداث

صحيفة

٢٠٢ فصل ومن آفات المريد ما يتداخل النفس من خفى الحسد الخ

« واعلم أن من حق المريد إذا اتفق وقوعه فى جمع إيثار الكل بالكل الخ

« وأما آداب المريد فى السماع بالاختيار ألبتة

« و إن ابتلى مريد بجاه الخ

٢٠٣ « ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر

« و إذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم إليه

« ومن شأن المريد إذا كانت طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه

« و بناء هذا الأمر وملاكه على حفظ آداب الشريعة

« ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى

« ومن شأن المريد قصر الأمل

« ومن شأن المريد أن لا يكون له معلوم

« ومن شأن المريد بل من طريقة سالكى هذا المذهب ترك قبول رفق النسوان

« ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا .

بحمد الله تعالى قد تمّ طبع كتاب [الرسالة القشيرية] للإمام « أبى القاسم عبد الكريم ابن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيرى النيسابورى » و بهامشه [منتخبات] من شرح شيخ الإسلام « أبى يحيى زكريا الأنصارى » ، مصححا بمعرفتى ؟

رئيس التصحيح

أحمد سعد على

من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة فى يوم الخميس ٣ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٩ هـ / الموافق ١١ إبريل سنة ١٩٤٠ م]

ملاحظ المطبعة

محمد أمين عمران

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبى

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
C28(946)M100			

892.891 Ab353

10150973

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58900942
892.891 Ab353 Risalah al-Qushayri